



مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

جامعة تعاونية... وبنك استثمار

وأحديفيني

روابط من طلاق

هار الدين

مهدى

بز

بز

السنة الرابعة والعشرون : العدد الخامس والتسعون - ذو الحجة ١٤٣٧ هـ / (أيلول - سبتمبر) ٢٠١٦ م

أفق ثقافة والتراث

مجلة
فصالية
ثقافية
تراثية

تصدر عن قسم الدراسات
والنشر والشؤون الخارجية
بمركز جمعة الماجد
للثقافة والتراث

حل الرموز والأسقام في كشف علوم أصول لغات الأقلام

المؤلف: ثوبان بن إبراهيم ذو النون المصري

واعلم أن المسند السادس للنعمان

الذى يرافقه اصل العصمة الثالث الذى ينادى به زيد بن معاذ
قد حرسه والمرجع الأدق وهو قوله في خط رجب المصور عليه
كتبه من المؤلفين الراشدين والوصي على الائمة والمرجعية بالكتاب والسنن
ورغم ما يذكره عزام الورى للمتاز بالخطابة ستة الآيات على من
الدعا والآيات كلها ملهمة وملهمة ومحفظة والمعنى العظيم

وهذه صفة الريقة الطيبة التي



المسند السادس بالروايات الحكيم

١	العاشر	٢	الحادي عشر
٣	الحادي	٤	الثانية
٥	الثالث	٦	الرابعة
٧	الخامس	٨	السادسة
٩	السابعة	١٠	الثانية
١١	الثانية	١٢	الرابعة

المسند السادس للنعمان لابن سطiven

Hallurrumuz wa al-asqam fi kashfi ulumi usuli lughatil aqlam

By. Thauban bin Ibrahim Zunnun al-Misri

ناشد والأخير

الحمد لله رب العالمين طاهر شريبي ويس العبد كثير ويعمه بينه سعيد محمد

باب السلام

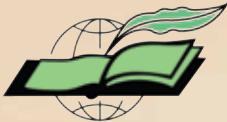
شروط النشر في المجلة

- ١ - أن يكون الموضوع المطروق متميّزاً بالجدة والموضوعية والشمول والإثراء المعرضي، وأن يتناول أحد أمرين:
 - قضية ثقافية معاصرة، يعود بحثها بالفائدة على الثقافة العربية والإسلامية، وتسهم في تجاوز المشكلات الثقافية.
 - قضية تراثية علمية، تسهم في تنمية الزاد الفكري والمعرفي لدى الإنسان العربي المسلم، وتشري الثقافة العربية والإسلامية بالجديد.
- ٢ - ألا يكون البحث جزءاً من رسالة الماجستير أو الدكتوراه التي أعدّها الباحث، وألا يكون قد سبق نشره على أيٍ نحو كان، ويشمل ذلك البحوث المقدمة للنشر إلى جهة أخرى، أو تلك التي سبق تقديمها للجامعات أو الندوات العلمية وغيرها، ويثبت ذلك بإقرار بخط الباحث وتوقيعه.
- ٣ - يجب أن يُراعى في البحوث المتضمنة لنصوص شرعية ضبطها بالشكل مع الدقة في الكتابة، وعزو الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة.
- ٤ - يجب أن يكون البحث سليماً خالياً من الأخطاء اللغوية وال نحوية، مع مراعاة علامات الترقيم المتعارف عليها في الأسلوب العربي، وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط.
- ٥ - يجب اتّباع المنهج العلمي من حيث الإحاطة، والاستقصاء، والاعتماد على المصادر الأصيلة، والإسناد، والتوثيق، والحوالشي، والمصادر، والمراجع، وغير ذلك من القواعد المرعية في البحوث العلمية، مع مراعاة أن تكون مراجع كلّ صفحة وحواشيها أسفلاها.
- ٦ - بيان المصادر والمراجع العلمية ومؤلفيها في نهاية كلّ بحث مرتبة ترتيباً هجائياً تبعاً للعنوان مع بيان جهة النشر وتاريخه.
- ٧ - أن يكون البحث مجموعاً بالحاسوب، أو مرقوناً على الآلة الكاتبة، أو بخطٍ واضح، وأن تكون الكتابة على وجهٍ واحد من الورقة.
- ٨ - على الباحث أن يرفق ببحثه نبذة مختصرة عن حياته العلمية مبيّناً، اسمه الثلاثي ودرجه العلمية، ووظيفته، ومكان عمله من قسم وكالة وجامعة، إضافةً إلى عنوانه وصورة شخصية ملونة حديثة.
- ٩ - يمكن أن يكون البحث تحقيقاً لمخطوطه تراثية، وفي هذه الحالة تتبع القواعد العلمية المعروفة في تحقيق التراث، وترفق بالبحث صور من نسخ المخطوط المحقق الخطية المعتمدة في التحقيق.
- ١٠ - أن لا يقلّ البحث عن خمس عشرة صفحة، ولا يزيد عن ثلاثة.

ملاحظات

- ١ - ترتيب البحوث في المجلة يخضع لاعتبارات فنية.
- ٢ - لا تُرد البحوث المرسلة إلى المجلة إلى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.
- ٣ - لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه بعد عرضه على هيئة تحرير المجلة إلا لأسباب تقتضي بها هيئة التحرير، وذلك قبل إشعاره بقبول بحثه للنشر.
- ٤ - تستبعد المجلة أي بحث مخالف للشروط المذكورة.
- ٥ - تدفع المجلة مكافآت مقابل البحوث المنشورة، أو مراجعات الكتب، أو أي أعمال فكرية.
- ٦ - يعطى الباحث نسختين من المجلة.

أفق الثقافة والتراث



تصدر عن قسم الدراسات والنشر والشؤون الخارجية
بمركز جمعة الماجد للثقافة والترا

دبي - ص.ب. ٥٥١٥٦

هاتف +٩٧١ ٤ ٢٦٢٤٩٩٩

فاكس +٩٧١ ٤ ٢٦٩٦٩٥٠

دولة الإمارات العربية المتحدة

البريد الإلكتروني: info@almajidcenter.org

الموقع الإلكتروني: www.almajidcenter.org

السنة الرابعة والعشرون : العدد الخامس والتسعون - ذو الحجة ١٤٣٧ هـ / (أيلول - سبتمبر) ٢٠١٦ م

هيئة التحرير

مدير التحرير

د. عز الدين بن زغيبة

سكرتير التحرير

أ. مني مجاهد المطري

هيئة التحرير

أ.د. فاطمة الصايغ

أ. د. حمزة عبد الله الماليباري

أ. د. سلامة محمد الهرفي البلوي

د. محمد أحمد القرشي

رقم التسجيل الدولي للمجلة

ردم ٢٠٨١ - ٢٠٠٧

المجلة مسجلة في دليل
أول ريخ الدولي للدوريات
تحت رقم ٣٤٩٣٧٨

المقالات المنصورة على صفحات المجلة تعبر عن آراء كاتبها
ولا تمثل بالضرورة وجهة نظر المجلة أو المركز الذي تصدر عنه
يُخضع ترتيب المقالات لأمور فنية

داخل الإمارات	خارج الإمارات
المؤسسات ١٠٠ درهماً	١٥٠ درهماً
الأفراد ٧٠ درهماً	١٠٠ درهماً
الطلاب ٤٠ درهماً	٧٥ درهماً

الاشتراك السنوي

الفهرس

من موارد السهو والخطأ والإخلال
في تحقيق النصوص التراثية

٩٧ د. محمد رضوان الدائمة

آراء العزف في وحدات الكيل الإسلامية

١٢٦ د. مقتدر حمدان عبد المجيد الكبيسي

تحقيق المخطوطات

رسالة في ترتيب مملكة الديار المصرية وأمرائها
وأركانها وأرباب الوظائف لمؤلف مجهول
دراسة وتحقيق

١٤٩ د. محمد الزاهي

١٩٨

الملاحق

الافتتاحية

السعى السديد لإصلاح واقع أمتنا

مدير التحرير ٤

المقالات

ظاهرة الإجهاض (إسقاط الجنين) في الأندلس

٦ د. بودالية تواتية

المشتشرق الفرنسي روبيير برنشفيج

Robert Brunschwig وآثاره (١٩٩٠ - ١٩٠١ م)

٢٣ عبد الواحد جهادني

دراسة استخدام حسن العطار للأبيات الشعرية

في مخطوطة راحة الأبدان في نُزْهَة الأذهان

٣٩ د. أيمن ياسين عطّع

أثر الحواس في تشكيل

الصور الشعرية في شعر ابن حميس

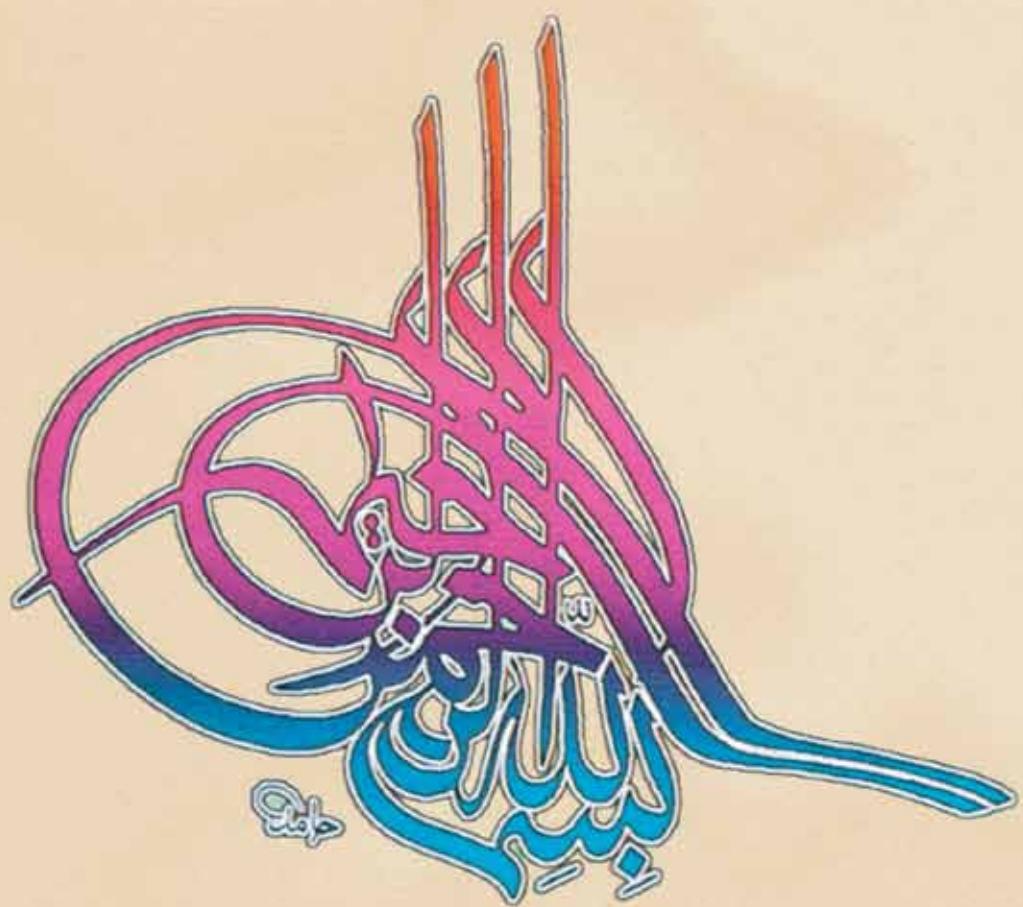
٥٥ د. أحمد عقون

جمالية التوازن بين الشدة والرقة في ديوان أطلس

المعجزات لصالح الحرفي القراري الريتوني

الجزائري (١٩٣٢ - ٢٠٠١ م)

٨٣ د. عبد الطيف حني



السعي السديـد لإصلاح واقع أمتنا

إن الواقع الذي تمر به أمتنا لا يخفي على أحد من أبنائها، كما أنه لا يُرضي أي أحد فيهم، وكلنا يتساءل ما الذي يجب علينا القيام به لإصلاح هذا الواقع، ومعالجة تلك الأوضاع، وترميم ذاك البناء الحضاري الآيل إلى السقوط، وتدارك العقد الجامع قبل انفراطه؟

وإنني لأتصور أن إعادة البناء الحضاري للأمة واسترجاعها لمقام العزة والشهادة للذين شرفها الله بهما، يحتاج لإقامة العناصر الآتية:

١ - تحقيق المثل الأعلى الذي نهتدي به في عملنا، ونستثير بنوره في بناء الواقع المنشود، وبالنسبة لي يتمثل هذا العنصر في إعادة كتابة السيرة النبوية بالصورة الملائمة، فكل ما كتب عن السيرة النبوية، حتى الآن، بما في ذلك التي تحصلت على جائزة الملك فيصل، لم تسلم من الخل، فالغالبية العظمى لمصادر السيرة النبوية ومراجعها تحدثت عن أوضاعها الاستثنائية، ولم تتحدث عن حياته صلى الله عليه وسلم اليومية العادلة، تناول جعل حياته صلى الله عليه وسلم كلها نشاطات عسكرية، من غزوة بدر، إلى غزوة الخندق إلى غيرها من الغزوات تخللها عدد من السرايا، مع أنه بين بدر والخندق ست سنوات لا نعرف عنها شيئاً في السيرة إلا النذر القليل الذي نطق به بعض علماء السيرة، وكأن الرسول صلى الله عليه وسلم جاء للحرب فقط؛ ولذلك فإننا نريد فريق بحث يملأ هذا الفراغ، بالاعتماد على كتب التفاسير، وعلى كتب الحديث والسنّة، وعلى كتب السياسة الشرعية والآداب والأخلاق والمنح المرعية، وما ألفه العلماء في القضاء والحكومات النبوية نريده أن يقدم لنا سيرة ترسم حياة رسول الله اليومية لا الاستثنائية؛ لأن الحياة الاستثنائية المتمثلة في الحرب لستنا أهلاً لها الآن نحن المغلوبون على أمرنا، فنحن محتاجون إلى هديه صلى الله عليه وسلم مع أصحابه، ومع أهله، ومع عشيرته، ومع كل من كان يتعامل معه، وهذا ما نحتاج إليه اليوم، فإنه سيكون بمثابة المنارة التي نستثير بها في بناء الواقع.

٢ - تأسيس منهجي لعمل فعال، ندرج في سلمه لإنجاز عملية البناء اعتماداً على مصادر المعرفة المعصومة وغير المعصومة، والتجارب والواقع المنقول، ونعني بها - فقه النوازل - الذي وجد

لمعالجة وقائع وتوازل مختلفة ومتنوعة، أحدها الناس أو نزلت بهم عبر العصور وفي أصقاع إسلامية متعددة، تحتاج منا إلى جمعها على تنوع مذاهبها ودراستها وتحليلها ومقارنتها مع المدونات التي ألفت في موضوعها، وكذا دراسة المنهجية التي اعتمدت في معالجتها؛ لنتتمكن من استخلاص الضوابط والآليات التي استعملت في تنزيل الأحكام على الواقع المتعدد، عسى أن نستفيد من تلك المنهجية وتلك الآليات في بناء واقعنا، مع مراعاة التنظير اللازم لذلك الآن.

٣ - استكمال الركن الذي تأوي إليه عند انعدام النص في استنباط الأحكام، وأريد بذلك استكمال بناء صرح الفكر المقاصدي؛ فلا شك أن الكتابات في علم المقاصد حديثة، وأول من نادى بإحيائه الشيخ الطاهر بن عاشور، ثم توالت من بعده الكتابات؛ ليعرف هذا العلم بعد ذلك إنتاج غزير ونفعه يسير بسبب الاجترار والتكرار، وخلط الغث فيه بالسمين والخوض به في غير موطنه، وإجرائه في غير مسالكه، مما أدى إلى عدم استكمال جوانب كثيرة منه، فلنستكمل هذا البناء، وسيكون مفيداً ونافعاً ويعيناً لنا نحن في بلاد الإسلام، وصالحاً وملائماً لإخواننا في الغرب.

٤ - تشيد المصدر الذي نستقي منه المعلومات والمعطيات المتعلقة بإخواننا في بلادنا الإسلامية وببلاد الغرب ومعرفة أخبارهم وأحوالهم، فلابد من إنشاء بنك للمعلومات يهتم بتتبع كل ما سلف ذكره، كما يكون من ضمن عمله ترجمة الأعمال التي أنجزها علماء الغرب حول الإسلام، وتوسّس جماعة من العلماء تنتقد الدراسات التي تم ترجمتها، والتي تفيينا نحن المسلمين في تحسين واقعنا ونستشف من خلالها نظرة الغير لنا.

٥ - استغلال كافة وسائل التواصل الاجتماعي والإعلام والاتصال لإطلاع الرأي العام في كل بلاد الإسلام وغيرها، على ما تم إنجازه، وصناعة السلوك العام للمجتمع؛ لأن ذلك يقوى الروح المعنوية ويعزز الشعور بوحدة الأمة، ويُسَعِّف النفوس في التغلب على إرهاقات الإنجازات ويعين الناس على تحمل أعباء المرحلة، ووعلاء الطريق المحتوم، للخروج إلى الرحب الفسيح، الذي تتفتح فيه الأبصار على ضياء حضارتنا، وهو يعود من نور صحيح، عندها يدرك الناس، أن سعينا الرجيم قد أثمر المتجر الريبي، وانتقلنا بفضل الله وقوته من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

حيث يفرح المؤمنون يومئذ بتوفيق الله، ألا إن توفيق الله من الصادقين قريب.

مدير التحرير

د. عز الدين بن زغيبة

ظاهرة الإجهاض (إسقاط الجنين) في الأندلس

د. بودالية تواتية

جامعة معسكر - الجمهورية الجزائرية

تعد مسألة الإجهاض قديمة قدم وجود الإنسان على وجه الأرض، ومن المسائل الحساسة في المجتمعات المعاصرة؛ لأنها تتعلق بمصير إنسان، سواء أكانت الأم أم الجنين، ولقد أفتى الفقهاء بمختلف مذاهبهم بتحريم الإجهاض بعد نفخ الروح، وإلى جانب الفقه كان الطب عنصراً فاعلاً في هذه العملية بعدها مهمة إنسانية تتمثل في إنقاذ حياة اهتداء بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَانَهَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾^(١).

وظلت مسألة الإجهاض دوماً من أهم الموضوعات التي شغلت اهتمام الإنسان على مر العصور، وطرح نفسها بقوة في الفكر الإسلامي المعاصر، وتنوعت الدراسات التي اختصت في ذلك، بينما الدراسات ذات البعد التاريخي فهي غائبة. ومن ناحية أخرى تعد الظاهرة من المسائل الحساسة المكبوتة والمسكوت عنها والتي غيرتها جل الدراسات الوسيطية. ومن هنا حاولنا معالجة مسألة الإجهاض من الناحية التاريخية وبالضبط على المجتمع الأندلسي وتقديم رؤية تاريخية قد تنسجم في مضامينها مع الزمن المعاصر.

نصية أماتت اللثام عن بعض الحقائق التاريخية
التي تختص بعلم الأجنحة.

أولاً: تعريف الإجهاض لغة واصطلاحاً

أ- الإجهاض لغة:
يقال أحضرته، أي أزالته عن مكانه،
والإجهاض الإزلاق ويقال للسقوط جهیض^(٢).

وحتى تكتمل الصورة التي تحاكي هذه الظاهرة تم الاستعانة بكتب الأحكام والنوازل الفقهية التي تحمل في مضامينها دلالات تاريخية وقانونية عن هذه الظاهرة قل نظيرها في المصادر التاريخية. وإلى جانب ذلك شغلت كتب الطب حيزاً مميزاً لما تحويه من مادة دسمة وثروة

٢- الجنين اصطلاحاً

الجنين: هو حمل المرأة ما دام في بطنها، قال تعالى: ﴿إِذَا أَنْشَأْتُكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذَا أَنْتُمْ أَحْيَنَّهُ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُرَدِّكُوا أَفْسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ أَنْتُمْ﴾^(١)، فإن خرج حياً فهو مولود، وإن خرج ميتاً فهو سقط. ويسمى، الجنين جنيناً منذ التقاء الحيوان المنوي بالبويضة إلى حين ولادته (من ستة إلى تسعه أشهر) فإن خرج ميتاً بعد نفح الروح فيه فإنه يصلى عليه و إلا فلا^(٢).

ثالثاً: لمحـة عن الإجهاض في القديـم

كان قدماء المصريين ينظرون إلى الإجهاض على أنه تصرف طبيعي من حق كل من الأبوين، وأقدم تسجيل لكيفية إجراء الإجهاض وجد مسجلاً على أوراق البردي في مصر، في برديات الكهنة والتي يعود تاريخها إلى ١٧٥٠ سنة قبل الميلاد^(٣). وكانت شريعة حمورابي من أقدم الشرائع الوضعية التي تختلف ذلك؛ حيث كانت تمنع الإجهاض وتعاقب عليه، ويظهر ذلك في القسم التاسع من قوانين حمو رابي المختصة في عقوبات القصاص والغرامات، وضمت المواد الآتية: ٢١٣-٢١١-٢١٠-٢٠٩ - ٢١٤ على ضرورة معاقبة الجاني المجهض الذي اعتدى على المرأة الحامل بالضرب وأسقط جنينها^(٤). وعلى غرار ذلك كان الآباء في إسبارطة يقتلون أولادهم عقب الولادة إذا وجدوا ما يدل على عدم كفاءة أجسامهم للحياة المتألية، وكان مثل هذا النظام سائداً في آثينا وفي روما، وقد أقرّه فلاسفة اليونان أنفسهم. وتقرر العقاب على الإجهاض من بعدهم، وبخاصة أبقراط الذي قدم قسماً للطبيب يعد فيه أن الإجهاض

وقال ابن منظور: "أَجْهَضَتِ النَّاقَةُ إِجْهَاضًا، وَهِيَ مُجْهِضٌ أَلْقَتِ ولَدَهَا لَغِيرِ تَمَامِ وَالْجَمْعِ مَاجَاهِيْضُ"^(٥). وقال الأصممي في المجهض: إنه يسمى مجھضاً إذا لم يستثن خلقه^(٦). ويطلق على الولد السقط أو ما تم خلقه ونفح فيه الروح من غير أن يعيش، ويطلق على الناقة إذا ألقت ولدتها وقد نبت وبره^(٧).

ب- الإجهاض اصطلاحاً:

يعرف الإجهاض في الاصطلاح الفقهي بأنه خروج الجنين من رحم أمه سواء كان الجنين تام الخلقة والمدة أم ناقصهما، وسواء أكان بفعل المرأة الحامل أم بفعل غيرها^(٨). وفي المنحى ذاته قال المناوي: "الإجهاض إسقاط الجنين"^(٩). ويتبين مما سبق أن كلمة الإجهاض والإسقاط تدخل في معنى واحد، وهو إلقاء الجنين قبل تمامه. وإن كان المصطلح الغالب في كتب الطب والفقه هي كلمة الإسقاط.

يعرف الإجهاض من الوجهة الطبية الشرعية، بأنه خروج محتويات رحم المرأة الحامل في أي وقت قبل تام شهر الحمل^(١٠). كما يقصد به إخراج الجنين من بطن أمه، سواء أكان ذلك بعد اكتمال خلقه أم قبله^(١١).

ثانيًا: مفهـوم الجنـين

١- الجنـين لـغـة

الجنين في اللغة: مأخوذ من الستر والخفاء، وأجـنـ الشـيء في صدره؛ أي أـكـنه، والـجـنـينـ الـولـدـ ما دـامـ في بـطـنـ أـمـهـ، يـقالـ: أـجـنـتـ المـرـأـةـ ولـذاـ، وجـمـعـ الجـنـينـ: الأـجـنـةـ، والـجـنـةـ: السـتـرـةـ، والـاجـتنـانـ: الاستـنـارـ^(١٢).

بين جنسه الذكر والأنثى، وعلة كون الولد الضعيف من الولد الجسم وسبب زيادة الأعضاء ونقصانها.

الباب السادس: ويبحث في مدة الحمل وعدد شهوره وأيامه والمولودين لسبعة أشهر وثمانية وكلام الأوائل من الأطباء وأهل التجيم فيما يخلق منهم أو يموت على الأعم.

الباب السابع: يبحث في تدبير الحالى وحفظ قواهن ومداواة، وما يمرض لهن من أول الحمل إلى وقت الوضع والقول في الإسقاط وأسبابه وتلا في أعراضه بالأغذية والأدوية.

الباب الثامن: في دلائل الوضع وتسهيل الولادة وأحكام قبول الجنين وتدبير النساء واستخراج المشيمة.

والجدير بالذكر، أن كتاب خلق الجنين وتدبير الحالى والمولودين أول كتاب طبى أندلسى يبحث بطريقة علمية شاملة تطور الجنين وأحوال الولادة والعناية بالحالى والأمهات وتدبير الأطفال بعد الولادة في أيام طفولتهم والعناية بطعمتهم وشرابهم وشؤون صحتهم العامة.

٢- أبو القاسم بن خلف الزهراوى (ت٤٤٠هـ/١٤٠٤م)

يعد أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوى عمدة الجراحين في الأندلس، قضى حياته طبيباً في بلاط عبد الرحمن الناصر؛ له كتاب مشهور كثير الفائدة، سماه "كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف"^(١٩). ويعد كتابه موسوعة عظيمة ضمت عدة فصول ومقالات، وصل عددها إلى ثلثين مقالة، كل مقالة ضمت موضوع

عمل غير أخلاقي، وينص هذا القسم "لا أعطي إذا طلب مني دواء قتالاً، ولاأشير أيضاً بمثل هذه المشورة، كذلك لا أرى أن أدنى من النسوة فرزجة تسقط الجنين"^(١٥).

أما المجتمع العربي في الجاهلية، فقد كان متغللاً فيما هو أشد من هذا وأبعد؛ إذ كان كثير من العرب لا يرون بأساساً في أن يدفن الأب ابنه أو ابنته بعد أن يخرج إلى الحياة الدنيا إما خوفاً من الفقر أو غيره على العرض^(١٦).

ثالثاً: الإجهاض في التراث الطبى الأندلسى

تدخل مسألة الإجهاض في علم الأجنة، وهو من العلوم الدقيقة التي تعالج عملية حدوث الحمل وكذلك تدبير الجنين والوليد والطفل. ومن عالجوها هذه الحالة في التراث الطبى الأندلسى ذكر:

١- عريب بن سعيد القرطبي (٣٥٢-٩١٨هـ/١٤٠٤م):

عرب بن سعد القرطبي، من الأطباء اللامعين في الأندلس. أخذ بعلمه عن أبقراط، وديسقوريدس، وجالينوس وعن أطباء الهند و كذلك أخذ عن إسحاق الإسرائيلي، وكان شديد العناية بكتب الأقدمين والمحدثين^(١٧). وبعد كتاب "خلق الجنين وتدبير الحالى والمولودين"^(١٨) قمة التطور الطبى وأعظم عمل قدم للحضارة الإنسانية بمعلوماته وإبداعاته في علم الأجنة، واحتوى الكتاب خمسة عشر باباً أهمها حسب موضوعنا:

الباب الخامس: في تكوين الجنين والتفريق

وبالموازاة، شددت السنة النبوية في مجال المحافظة على النفس على حرمة الدماء؛ فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي ﷺ قال: "الا من قتل نفساً معاهده له ذمة الله وذمة رسوله، فقد أخفر بذمة الله، فلا يُرَح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفاً" ^(٢٦)؛ وذلك لأنّ النفس ملك الله عز وجل، وهذه الأمانة تقتضي منه وجوب حفظها.

تعد ظاهرة إسقاط الجنين من جملة المسائل المتعلقة بالمرأة التي رفعت "الونشريسي"، وهي قضية إسقاط الجنين قبل أربعة أشهر "إن اتفق الزوج والزوجة على إسقاط الجنين قبل أربعة أشهر هل يسوغ ذلك أم لا؟ وإذا قلتم بجوازه هل يجوز ذلك للزوجة، وإن لم يوافق الزوج أم لا؟ وإن قلتم بالمنع و فعلت ذلك المرأة وأسقطته هل تلزمها الغرة أم لا؟" ^(٢٧).

وأفتى "الونشريسي" بما أفتى الأئمة المالكية بمنع الإسقاط وحرمته ولو قبل الأربعين يوماً على ما هو المعتمد في المذهب مستدلاً بما جاء في الأحكام للقاضي أبي بكر العربي. في حين اتفق العلماء على تحريم إسقاط الجنين بعد نفح الروح إذا لم يكن هناك ضرورة لإسقاطه؛ لأن في إجهاضه قتل للنفس المحرمة بغير حق، وقد نقل الإجماع على حرمة الإجهاض بعد نفح الروح الفقيه المالكي ابن جزي الغرناطي؛ حيث قال: "إذا قبض الرحم المنى لم يجز التعرض له، وأشد من ذلك إذا تخلق، وأشد من ذلك إذا نفح فيه الروح فإنه قتل نفس إجماعاً" ^(٢٨).

وثبتت جنائية القتل العمدى للجنين بعد نفح الروح- أي بعد مئة وعشرين ليلة- فيما ورد عند

منفصل عن الآخر من ضمنها طب الأمراض النسائية؛ حيث طور المعالجات الدوائية التي تخص المرأة، وأوجد لمسات جديدة للولادة في حالة سقوط يد أو ركبة الجنين أو وضعه المسمى بالقرصي والوضع الوجهى ^(٢٩). واستخدم آلة جديدة في توسيع باب الرحم للعمليات ^(٣٠). وأشار باستخدام مساعدات وممرضات من النساء عند إجراء العمليات الجراحية وتكون "امرأة قابلة محسنة في أمور النساء" ^(٣١)، وذلك لغرض الطمأنينة والراحة النفسية. ووضح للمرأة في موسوعته الطبية الموسومة بـ "التصريف لمن عجز عن التأليف" بعض المسائل المتعلقة بالحمل وعلامات الحامل وتدييرها وكذلك طفاتها وطعامه ونموه وتربيته ومسائل تعليم الطفل.

رابعاً: حكم اسقاط الجنين

حرّم الإسلام قتل النفس الإنسانية بغير حق، تحريمًا قاطعًا، وذلك فيما ورد من تصريح النص القرآني لقوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَاوَنُوا أَتَلُمْ
حَرَمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَإِلَوَالَّيْنَ
إِحْسَنُوا وَلَا تَنْقُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقِهِمْ
وَإِبَاهُمْ وَلَا تَقْرِبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ
وَلَا تَنْقُلُوا النَّفَسَ أَلَّى حَرَمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُو وَصَنْكُمْ
بِهِ لَعْلَكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ^(٣٢) وفيه دلالة واضحة حول تحريم القتل سواء بالنسبة للصغير أو الكبير. وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَكَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا أَخْرَى
وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفَسَ أَلَّى حَرَمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَرْتَبِطُ وَمَنْ
يَفْعَلْ ذَلِكَ يَأْتِ أَثَاماً﴾ ^(٣٤)، وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا
الْمُؤْمِنَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ۝﴾ ^(٣٥). وهذه نصوص صريحة في أن الإسلام جعل للنفس البشرية حرمتها وكرامتها.

يعرض للمرأة كالحمى أو التزحر الشديد أو استقراغ دم كثير أو حركات قوية كالسقطة أو الصربة والوثبة أو لعارض من عوارض النفس كالغضب والغم الدائم أو لإفراط المرأة في اشتاء شيء يمتع نيله أو لاستنشاق رائحة منتنة^(٣١). والملفت للانتباه أن الزهراوي حدد العوارض الطبية التي تؤدي بإسقاط الجنين، وتمثل أساساً في مرض يصيب المرأة الحامل كالحميات، وتعرضها لحركة قوية، والاضطراب النفسي، فضلاً عن سوء التغذية التي تحدث في الغالب نتيجة الفقر أو في فترات الجوع التي لحقت بلاد الأندرس من حين لآخر، وهو في الواقع يساهم في إيذاء النساء الحوامل بسبب سوء التغذية، فانعدام المأكل للمرأة الحامل سوف يفقد الجنين، وتتفشى في ظل هذه الأزمات ظاهرة موت الأجنة.

٢- الاضطراب النفسي

من دون شك أن الحالة النفسية للمرأة تجمع بين علاج البدن وعلاج الروح، فقد يكون الإسقاط بسبب اعتلال النفس، وقد يكون تقوية النفس أعظم أثراً في الشفاء من الأدوية المعتادة. وينصح ابن خاتمة في علاج الاكتئاب بعض الأساليب العلاجية بقوله: "أصلحها التعرض للمسرات والأفراح وبسط النفس، وانشراح الصدر، وامتداد الآمال، فليستدعا ذلك بما أمكن من الأمور المباحة، ومجالسة من تلهج النفس بحديثه وينصرف الفكر إليه، ولا جليس أنس من كتاب الله عز وجل. وقال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْ مِنَ الْفُرْqَانِ مَا هُوَ شَفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَرِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾^(٣٢)، ومن لم يوفق في ذلك فعليه بمطالعة كتب التاريخ وخصوصاً أخبار الفكاهات ومناشدة الأسعار الغزلية وما في معناها، وليرز

ابن حزم في المحل بقوله: "فإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَا تَقُولُونَ فِيمَنْ تَعْدِتُ قَتْلَ جَنِينَهَا وَقَدْ تَجاوزَتْ مِئَةَ لَيْلَةٍ وَعَشْرِينَ لَيْلَةً فَقَتْلَتْهُ أَوْ تَعْدِتْ أَجْنِبِيَ قَتْلَهُ فِي بَطْنِهَا فَقَتْلَهُ، فَمَنْ قَوْلُنَا: أَنَّ الْقَوْدَ - يَعْنِي الْقَصَاصَ - وَاجِبٌ فِي ذَلِكَ وَلَا بَدُ، وَلَا غَرَةٌ فِي ذَلِكَ حِينَئِذٍ، إِلَّا أَنْ عَفَى عَنْهُ، فَتَجُبُ الْغَرَةُ فَقَطُّ؛ لِأَنَّهَا دِيَةٌ، وَلَا كُفَّارَةٌ فِي ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ عَمَدُ، وَإِنَّمَا وَجَبَ الْقَوْدُ؛ لِأَنَّهُ قَاتَلَ نَفْسًا مُؤْمِنَةً عَدَّا، فَهُوَ نَفْسٌ بِنَفْسِهِ، وَأَهْلُهُ بَيْنَ خَيْرَتَيْنِ، إِمَّا الْقَوْدُ، وَإِمَّا الْدِيَةُ أَوْ الْمَفَادَاةُ، كَمَا حَكَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَنْ قُتِلَ مُؤْمِنًا"^(٣٣).

وبحسب التفصيل الفقهي الذي اتفق عليه بالتحريم المطلق بعد نفخ الروح، وبالكرامة قبل ذلك، مع الإشارة إلى قول فقهاء المالكية بتحريم الإجهاض منذ اليوم الأول للحمل، وجعل الإسلام للجنين المقتول خطأ دية معلومة في الشريعة؛ ليقدم أعظم تشريع لقيمة الحياة الإنسانية وحق الحياة. وهذا التحرير يشمل إسقاط الجنين بالإجهاض وإن كان ابن زنا، إلا إذا كان في ذلك إنفاذ لحياة الأم التي هي أصل حياته وكان ذلك ضرورة لازمة شرعاً وعقلاً وصحة^(٣٤).

خامسًا: أسباب الإجهاض في بلاد الأندرس:

١- العوارض الطبيعية والصحية

للأطباء دور كبير في تحديد مختلف العوارض التي تصيب المرأة الحامل وذلك حفاظاً على صحتها الجسدية، وفي هذا الشأن للزهراوي الفضل في تعداد هذه الأسباب التي تحول دون نجاح الحمل، وتمثل في "إفراط الرطوبة أو اليأس أو بلغم غليظ في فم الرحم أو مرض

استعمل النخاسون عدة حيل لإخفاء عيوب الإمام والجواري^(٣٨). وأكثر من ذلك وصل الأمر إلى الإجهاض، فقد أراد رجل أن يبيع أمته فوجدها حاملاً فقام بإجهاضها^(٣٩). ويتبين من هذه النازلة الدافع المادي للإجهاض، فالسيد من أجل أن تتم صفقةه في بيع جاريته لابد له أن يتخلص من أهم عيوب الإمام في البيع والشراء، وهي أن تكون حاملاً أو معها ولد، فإذاً بإجهاضها يجد من يشتريها وبسعر يناسبه. وهو الأمر الذي تنبه إليه الونشريسي، فيمن أطلق عليهم "سفلة التجار" ويقصد تاجر الرقيق الذين يسوقون الإمام أدوية للإجهاض رغبة في الحصول على البيع والربح السريع^(٤٠).

٥- تسوية وضعية قانونية

كان الجواري أكثر الفئات الالئي يتعرضن إلى الإجهاض بالقوة؛ وذلك خوفاً من أن تصير الأمة أم ولد فيقع عتقها وتحريرها بعد وفاة سيدتها، وهذا ما أشار إليه صاحب "المعيار" "أمة يموت سيدتها وهي حامل منهن، متى تجب لها الحرية؟ فأجاب: تجب لها الحرية بظهور الحمل"^(٤١). أما ابن جزي فسر حقها بالحرية سواء ولدت ولداً كاملاً أو أُسقطته ناقصاً وحدده بأطوار تكون الجنين في بطن أمه بقوله: " فمن وطى أمته فحملت صارت له أم ولد، سواء وضعته كاملاً أو مضغة أو علقة أو دما"^(٤٢). ويضيف ابن زرب تكون الأمة أم ولد: إذا ولدت من سيدتها أو أُسقطت أو طرحت شيئاً مما تستيقن النساء أنه ولد من دم أو مضغة أو غيره^(٤٣)، وعليه تفصح جل القرائن أن الجنين له حرمة التخليق سواء أُنفخت فيه الروح أم لا لقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثَةِ﴾

التعرض للغير، وكل ما يجلب الغم وينهى عن ذلك بكل وجهه^(٤٤).

٦- أثر المناخ في إسقاط الأجنة

تشكل التقلبات المناخية إحدى العوامل المؤثرة في إسقاط الأجنة، ولقد نوه إلى ذلك ابن سينا بقوله: "البلدان الباردة جداً لا باعتدال، والفصول الباردة جداً يكثر الإسقاط فيها، وكذلك الجبال والبلاد الجنوبية يكثر فيها الإسقاط، وكذلك الأهوية الجنوبية، ويقل منها في الشمالي منها إلا أن يكون البرد شديداً مؤذياً للجنين. وإذا سلف شتاء جنوبى حار، وربيع قليل المطر، أُسقط الحالى اللواتي يضعن عند الربيع بأدنى سبب، وولدن ضعافاً^(٤٥)".

ومن جهة أخرى بعد فساد الهواء كما ذكر الزهراوى آنفًا من جملة العوارض التي تقتل وتُسقط الأجنة، فمتى خرج الهواء المعهود الطبيعي حدثت بلايا بحسب خروجه^(٤٦)، وذلك عندما "ترتفع أبخرة فاسدة متعفنة من السباح والبطائح المتغيرة المياه والخنادق والأجسام الرّية الراكدة الهواء، والنبات والبقول المتعفنة وأقدار الناس وفضلاتهم وجيف القتلى في الملائم، والدواوب التي أصابها الموتان"^(٤٧)، ويتذكر الهواء تحدث الحميات الوبائية^(٤٨)، وهي من الأمور المسقطة للأجنة.

٤- دوافع مادية

لقد كانت تجارة الإمام والجواري في الأندرس مزدهرة لما فيه من مغالة في بيعهن بأثمان باهظة، وبخاصة الالئي يتمتعن بقدر كبير من الجمال، وعليه كانت تحدث مشاكل عديد بين البائع والمشتري فيما يخص العيوب، فقد

فَإِنَّا حَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخْلَقَةٍ وَغَيْرَ مُخْلَقَةٍ^(٤٩)

٦- تفشي الفاحشة وانتشارها

اتخذته مكاناً للدعارة^(٤٩).

ولم تكن بيوت الدعارة كافية لفعل الفاحشة، والمقصود هنا الكنائس التي سهلت على الناس ممارسة الرذائل مع الإفرنجيات " فإنّهن يأكلن ويشربن ويزنّين مع القسيسين، وما منهم إلا وعنه اثنان أو أكثر، ببيت معهن، وقد صار هذا عرفاً عندهم؛ لأنّهم حرموا الحلال، واستحلوا الحرام"^(٥٠)؛ لذلك منع المسلمات من دخول الكنائس؛ لأنّ القسيسين فسقة، زناة لوطنية"^(٥١).

كما وجد بعض النساء الفاسدات اللائي كن يهربن من أسرهن بالحواضر إلى الجبال المجاورة صحبة شباب من العزاب، سئل فقيه بجایة علي بن عثمان عن امرأة هرب بها رجل وخلا بها زماناً ثم ردها للإستبراء ثم خطبها وزعم أنه كان يزني بها أيام الإستبراء^(٥٢). وجد قلة من الناس يتزوجون زواج متنة إلى أجل غير ولد والصدق نصف درهم من هذه القرارات بشهادة رجلين مقطوع بهما في الحقوق، فطبعية هذا الزواج لا يحتاج فيه إلى أكثر من إذن المرأة لمؤاجرتها؛ حيث تصبح كسلعة^(٥٣).

وبطبعية الحال لا يمكن أن نقى اللوم على النساء في ممارسة الرذيلة برضاهما؛ فمنهن من أكرهن بالقوة على ذلك، وبخاصة السبايا من النساء في الحروب وانتهاك العدو للحرمات، والنماذج في هذا الأمر كثيرة في التاريخ الأندلسي، ذكر على سبيل الذكر أنه أثناء الفتنة البربرية نهبت ديار البربر بقرطبة وهنّاك حريمهم وسيبي نسائهم وباعوهن في دار البنات، وقتلوا النساء الحوامل^(٥٤). ويضيف ابن عذاري في موضع آخر في حديثه عن صراع ابن عباد

يعود الإجهاض إلى الحمل غير المشروع وإلى ارتفاع نسبة الزنا والبغى عند المنحلات أخلاقياً متزوجات أو غير متزوجات، كما هو الحال في المجتمع الأندلسي فقد مثلت الممارسات الأخلاقية قمة الانحراف عن القيم الدينية مما ترتب عنه تطورات اجتماعية خاضعة لهيمنة الخطيبة والأنشطة المحرمة في العديد من المدن الأندلسية؛ فكان أهل برشانة " أولوا عداوة لأخلاق البداو... فللمجنون به سوق، وللفسوق ألف سوق..."^(٥٥)، ويضيف ابن الخطيب عن نسائها " ولهم بالسفارة في القراء علاقة... وحياتها تكمّن حية الجور فيه"^(٥٦)، تكمّن هذه الإشارة بكثرة الوسيطات اللائي كن يسفرن بين الرجال والنساء تشجيعاً للدعارة^(٥٧).

وبالموازاة، إذا تعذر سبل العيش الكريم وتفاقمت حالة العوز والفقير، فإنّ بعض النساء لم يترددن في بيع أعراضهن وأجسادهن، والارتماء في أحصان الدعارة والبغاء لتصريف أزمتهن^(٥٨). وبذلك ساهم هذا التحول الاجتماعي في وجود مهن غير مشروعة أو محظمة لم يستطع الفقهاء إدانتها فمن النساء من احترفن هذه المهنة المشينة، فيذكر الونشري وصاحب أحكام السوق أن قاضي المالكية الإمام سحنون بن سعيد (١٦٠-٢٤٠هـ/٨٥٤-٧٧٧م) أمر بضرب وسجن امرأة حكمة كانت تجمع بين الرجال والنساء في بيتهما، وأمر برحيل امرأة أخرى وسد باب بيتها بالطين والطوب بعدما اتضح أنها

هذه الحالة إذا مرضت الأم أو مات جنينها في بطنها فيجب على الطبيب استعمال الأدوية المسقطة منها المفردة والمركبة؛ فالمفردة كابهيل، وهو صنف من العرعر كبير الحب، وهو شجر كبير له ورق شبيهة بورق الطرفاء وثمرته حمراء دسمة تشبه التبغ في قدرها ولونها وما دخله مصوّف له نوى ولوّنه أحمر، وهو أكثر من كل دواء يفسد الأجنة الأحياء ويخرج الأجنة الموتى^(٥٩)، وقيل أن المرأة الحامل إذا أمسكت آذريون (هو صنف من الأقحوان منه ما نواره أصفر ومنه ما نواره أحمر) بيدتها مطبقة واحدة على الأخرى نال الجنين ضرر عظيم شديد، وإن أدامت إمساكه واستتمامه أُسقطت^(٦٠)، وبالمثل إذا ضرب المرأة الحبل بطنها بأقصيما (شجرة شبيهة بشجرة الكمثري البري) رفيقاً بأصل هذه الشجرة ثلاث مرات وإذا لطخ بها أُسقطت الجنين، وإذا كان الولد ميناً من ثلاثة أشهر أو أربعة فيؤخذ الجاوشير، ويعمل منه فتيلة وتحملها المرأة فإنها تلقيه سريعاً^(٦١).

ومن الأدوية المركبة المسقطة والجيدة أونوما (ومعناه المسقط للأجنة)؛ وهذا الدواء مركب من جوهر حاد حريف مر، ولذلك قد وثق الناس منه بأنه يقتل الأجنة ويخرجها من الأرحام إذا شرب ورقه بالشراب^(٦٢). وقد حذر ابن سينا من الأغذية الحرفية والمرة والكبير والزيتون الفج وكذلك المدرّة للطمث كاللوبيا والحمص؛ لأنها مسقطة للأجنة^(٦٣).

ومن الناحية الفقهية تذكر إحدى النوازل أن بعض الفئات الميسورة من التجار التي تمتلك العديد من الخدم والجواري تقوم بعملية إسقاط الأجنة؛ حيث يفرض السيد على الأمة تناول

معبني برزال سنة ٤٥٨ هـ ودخولهم إلى حصن بنى دمر؛ حيث "هتكوا الأستار وفتوكوا بالأبكار حتى كانت دمائهن تسيل على أقدامهن عاريات باكيات واستحوذ السودان وسفال العسكر على النساء فكانت أختي THEM مملوقة منه إلى أن برح باديس بعد ثلاثة أيام عليهن فطردوهن عاريات حافيات"^(٦٤). وبالموازاة تقيد إحدى النوازل إقبال الإمام على ممارسة البغاء تحت ضغوط السادة^(٦٥).

والملحوظ أن ممارسة هذه المهن غير مشروعة سوف تؤدي بطبيعة إلى الحمل من الزنا، وحتى تحمي المرأة نفسها من الفضيحة تقوم بإجهاض الجنين.

سادساً: وسائل الإجهاض

يلخصها الزهراوي في الوسائل الآتية" وأكثر أسباب موت الجنين ما يعرض من خارج كالسقطة أو الضربة أو الحركة العنيفة أو استقرار الدم المفرط أو شرب دواء سموي قاتل أو فقد الغذاء تماماً أو عارض من عوارض النفس إذا حدث بعنته من خوف شديد أو فزع^(٦٧). وسنقسم هذه الوسائل حسبما تتوفر لنا من نصوص فقهية وطبية، ويمكن حصرها كالتالي:

١- استعمال الأدوية

تعد مسألة استعمال الأدوية قضية جد معقدة لما يشوبها من مثالب في حكم شرب الأدوية لإسقاط الجنين، والمشكلة تكمن اختلاف الطب والفقه في هذه المسألة، فمن الناحية الطبية يحدث الإجهاض إلا للضرورة القصوى التي تتوجب حماية المرأة أو جنينها من أجل إنقاد حياة لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَانَّا أَحْيَا النَّاسَ كُلِّيًّا﴾^(٦٨)، وفي

الحرة فألقت جنinya ذكرًا أو أنثى- عبدًا أو أمة- وتتمثل في الغرة التي تقدر خمسون دينار^(٦٩)، ومن النوازل التي تؤكّد على هذه الوسيلة، سئل أبو إبراهيم التجبي عن ثلاثة رجال اشتركوا في التجارة، واشتروا من رأس مالهم الذي اشتركوا به جارية، فوقع عليها أحدهم فأحبّلها فلما علم بذلك الشريك الثاني قام عليها يضربها، فطير عينها في ضربة في بينما هما كذلك إذا دخل عليها الشريك الثالث، فركضها برجله فطرحت جنinya ميّتاً، وماتت الجارية أيضًا من تلك الضربة^(٧٠)، وبالمثل حكى ابن جزي عن امرأة "ماتت من الضرب ثم سقط الجنين ميّتاً"^(٧١).

ب) شق البطن

وهي الوسيلة التي يلجأ إليها الأطباء لإنقاد حياة الأم أو جنinya؛ فعلى وجه التعبير عندما تموت الأم بعد اكتمال خلق الجنين، يضطر الطبيب إلى شق بطنها لاستخراج الجنين قبل موته، وفي هذا الصدد قال ابن حزم "لو ماتت امرأة حامل، والولد حي يتحرك قد تجاوز ستة أشهر فإنه يشق عن بطنها طولاً، ويخرج الولد؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَانَآ أَحْيَا أَنَاسَ جَمِيعاً﴾، ومن تركه عمداً حتى يموت فهو قاتل نفس"^(٧٢). أما الحالة الجنائية وغير شرعية تحدث من أجل القتل العمد في الحروب كما حدث في الفتنة القرطبية بالأندلس؛ حيث قام البربر بسببي النساء وشق بطون الحوامل^(٧٣)، وهذا العمل هو انتهاك لحرمة متيقنة^(٧٤).

ج) أسلوب الصدمة العصبية

وتكون هذه الوسيلة قولاً صادراً من الشخص، وهذا يشمل شتم الحامل والتهديد والتروع

بعض الأدوية لإسقاط الجنين^(٧٥) بالرغم من أن الفقهاء منعوا أن تستعمل المرأة أدوية لمنع الحمل وتفسده للإسقاط^(٧٦).

وبالموازاة، قال ابن حزم فيمن شربت دواء فأسقطت حملها: "إن كان لم ينفع فيه الروح فالغرة عليها، وإن كان قد نفع فيه الروح فإن كانت لم تعمد قتلها فالغرة أيضاً على عاقلتها، والكافارة عليها، وإن كانت عدت قتلها فالقد عليها أو المفادة في مالها"^(٧٧)، ويفصل في هذه المسألة بقوله: "إن شربت الحامل دواء، فألقت به جنinya، فعليها غرة؛ لا ترث منها شيئاً، وعليها عتق رقبة؛ وذلك لأنها أسقطت الجنين بفعلها وجنايتها، فلزمها ضمانة بالغرة، ولا ترث منها شيئاً؛ لأن القاتل لا يرث المقتول، وتكون الغرة لسائر ورثته، وأما عتق الرقبة فهو كفارة لجنايتها، وكذلك لو كان المسقط للجنين أباً، فعليه غرة لا يرث منها شيئاً، ويعتق رقبة فإن لم يجد صام شهرين متتابعين توبة من الله"^(٧٨).

٢- استعمال العنف:

وهو النشاط العضوي الإرادي الإيجابي أو السلبي الذي يأتيه الجناني مستهدفاً فضم العلاقة التي تربط الجنين بجسم أمه لتهيي حالة الحمل قبل موعد الولادة الطبيعي بطرح الجنين خارج الرحم أو بموته داخله^(٧٩). وتتمثل هذه الوسائل فيما يأتي:

أ) الضرب:

يعد الضرب من الوسائل العدوانية التي تتم بالاعتداء على المرأة الحامل، ويتعذر أثره إلى الجنين بالإجهاض والقتل ووجب في هذه الحالة على الجناني دفع دية الجنين إذا ضربت المرأة

يعرض للمرأة كالحمى أو التزحر الشديد أو استفراغ دم كثير أو حركات قوية كالسقطة أو الضربة والوثبة أو لعارض من عوارض النفس كالغصب والغم الدائم أو لإفراط المرأة في اشتاء شيء يمتنع نيله أو لاستنشاق رائحة منتة^(٧٨).

٢- الإجهاض المتكرر

وهو الذي يحدث دون سبب ظاهر، ويكون الإجهاض متكرراً دون أن يقوم شخص ما بإحداثه؛ وذلك بسبب إصابة الأم بأمراض مزمنة، وقد شاهد الزهراوي امرأة أُسقطت سبعة وأخرى خمسة عشر كلها مصورين^(٧٩). ومن الناحية الفقهية تثبت عند "المازوني" إسقاط الأجنة في الشهور الأولى، وفيما ورد عنه أن "رجل تزوج امرأة فمكثت عنده سبعة أشهر وأُسقطت جنيناً"^(٨٠)، ويبدو أن المرأة الحامل تسقط الأجنة في الأشهر الأخيرة من حملها.

٣- الإجهاض العلاجي

يكون الإجهاض العلاجي ضرورة طبية عندما يموت الجنين في رحم الأم، ويبقى الجنين في الرحم فترة قد تطول أو تقصر، وقد يقذف الرحم الجنين ذاتياً أو يخرج الجنين طبيعياً، وقد حدد ابن سينا الأوقات التي يحتاج فيها إلى الإسقاط وذلك عندما تكون الحبل صغيرة، يخاف عليها من الولادة الهلاك، ومنها عندما يكون في الرحم آفة وزيادة لحم يضيق على الولد الخروج^(٨١)، وفي هذا الصدد عالج الزهراوي حالة ورم امرأة تسقط الأجنة بقوله: "عالجت امرأة كانت حبلة فمات الجنين في جوفها ثم حبلت عليه مرة أخرى ثم مات الجنين الآخر"^(٨٢). ومن الجانب الفقهي أفتى الفقهاء بسقوط الجنين الميت في بطن أمه؛

وتخييف الحامل بالضرب والقتل، والصياغ عليها فجأة، فتفزع وتجهض بالفزع، وفي الغالب أن الإجهاض بمثل هذه الأقوال يكون لمن عندها قبلية الإجهاض لوجود مرض سابق، وأن طبيعتها سرعة التأثير، فيحدث الإجهاض بهذا السبب^(٧٥)، وصدرت هذه الوسيلة في نوازل الونشريسي بقوله: "روح المرأة الحبل حتى تسقط، إما بصيحة أو علاها بحديدة أو أتاها بمن تفزع منه بحرسي أو غيره، ومن تلك الحيل أدخل رجل على امرأة خدمة ظالم فاختلعت فأُسقطت"^(٧٦).

ومما لا غرو فيه فإن مختلف وسائل العنف تشتراك في نقطة أساسية تتعلق بقيام شخص ما بإسقاط الحمل، وذلك إما برضى من المرأة الحامل أو بالقوة، وإن رضاء الحامل بالإجهاض يجعلها مسؤولة جنائياً بعدها فاعلة أصلية في جريمة الإجهاض.

سابعاً: أنواع الإجهاض

١- الإجهاض الطبيعي

هو الإجهاض الذي يحدث بشكل طبيعي دون أي تأثير خارجي وأسبابه داخلية محضة نتيجة أمراض في الأُم الحامل والجنين، وينصح ابن سينا في أرجوزته المرأة الحامل بقوله: "ولتحذر في هذه الأشهر الأولى الإسقاط فإنه كثيراً ما يعتري فيها، وأكثر ما يكون سببه ضعف المرأة وكبر الطفل فلتتحرر من الوثوب والرياضة القوية ومن الأمور المفزعة فإن هذه كثيراً ما تسقط"^(٧٧). ويضيف الزهراوي أن إجهاض المرأة يعود إلى "إفراط الرطوبة أو اليأس أو بلغم غليظ في فم الرحم أو مرض

- شداح يشدخ به رأس الجنين الميت في بطن أمه.

- أنبوبة من قصب توصل البخار من قدر تغلي به أعشاب معينة مع الماء إلى فم الرحم لإخراج المشيمة المحتبسة بعد الولادة.

ويتمتد عمل القوابيل من الجانب الطبي إلى الجانب القضائي ومساعدة القاضي في الكشف عن بعض الحالات المتعلقة بإثبات الحمل والإجهاض وولادة طفل حي وميت، ومن تلك الحالات مهمتها اتجاه الإمام اللواتي لا بد أن يحصلن على إستثناء من الحمل بعد أن يفحصن من قبل القوابيل حتى تباع إلى سيد آخر وإن كانت حاملاً وبيعت فلا يقربها السيد الجديد حتى تضع حملها^(٨٨). فقد أراد رجل أن يبيع أمه فوجدها حاملاً فقام بإجهاضها فأقامت دعواها أمام القاضي، وقد تصدى بهذه الواقعية ثلاثة من القوابيل التي تقدمت بهن الأمة للشهادة فشهدت اثنتان منهن أن الجارية أحضرت عند مولها وشهدت الثالثة أنها رأت السقط ولم يحضر (السيد) إسقاطه، وعليه قبل القاضي شهادتهن^(٨٩).

ورصد التفصيلات يقود إلى أن مسألة الإجهاض حالة تاريخية برؤية معاصرة لم تتغير وضعيتها لا من الناحية الشرعية ولا الطبية إلا في التقنيات والوسائل المعاصرة المطبقة عليها. ومن جهة أخرى ما تزال هذه المسألة يشوبها الكثير من المثاليب نظراً لتوسيع مسائلها في المجتمعات المعاصرة، وأصبحت في عداد الجنينات وبالخصوص جنائية القتل العمد، وهذه الدراسة التاريخية تحيل باستمرارية هذه الظاهرة بالرغم من المعالجات الفقهية والطبية لها.

لأن بطنها صار كفناً له، وصار داء في بطنها يحتاج إلى دفعه عنها بالدواء^(٨٣).

٤- الإجهاض غير الم مشروع

وهو تفريغ رحم الأم من محتوياته باستعمال وسائل مختلفة مثل تعاطي الأدوية واستعمال العنف كما ذكرنا آنفاً، وتعمل هذه الأساليب على إخراج محتويات رحم الحامل لسبب غير إنفاذ حياة الأم الحامل كإجهاض الحمل الناتج عن الزنا، فقد ذكر ابن رشد أن امرأة حملت من الزنا مرتين وأنها قتلت ما حملت^(٨٤).

ثامناً: القابلة دورها في عملية الإجهاض

تقوم القابلة بمهمة التوليد وما يتبعها من رعاية الأم الحامل قبل الولادة طوال أشهر الحمل وأثناء الولادة ولإنجاح هذه المهمة تحاول القابلة التصرف إزاء المواقف التي تتعرض لها مثل: عسر الولادة، اختناق الطفل، خروج الجنين على غير الوضع الطبيعي (الرأس أولًا) وكيف تتصرف إذا لم تخرج المشيمة أو مات الجنين في بطن أمه، ثم إلى العناية بالأم بعد الولادة وكذلك العناية بالمولود^(٨٥). وفي بعض الحالات التي يموت فيها الجنين في بطن أمه أثناء الولادة، فعلى القابلة أن تقوم بإخراجه باستخدام أدوات خاصة بذلك. وشرح الزهراوي في كتابه التصريف طريقة إخراج الجنين الميت للقابلة وكيفية الحفاظ على سلامته المراة^(٨٦)، وبين لها الأدوات التي تستعملها لإخراج الجنين، وهي^(٨٧):

- مبضع لقص المشيمة.

- مدفع يستعان به على دفع الجنين.

الإسلامية للعلوم الطبية، ١١ شعبان، ١٤٠٣ هـ،
ص ٢٨٨.

١٣- إبراهيم بن محمد قاسم بن محمد رحيم، أحكام الإجهاض في الفقه الإسلامي، سلسلة إصدارات الحكمة، العدد ١٣، ط ٢٠٠٢م)، ص ٩٦.

١٤- عبد المالك سلطانية، عبد الحميد حراويبة، ساجية حمانى، تاريخ النظم في الحضارات القديمة وأثرها على التشريعات والمواثيق الدولية، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة (الجزائر)، ط ٢٠٠٧م)، ص ١٢٢.

١٥- ابن أبي أصيبيعة، أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي (ت ٦٦٨هـ/١٢٦٩م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ط ١٩٦٥م)، ص ٤٥.

١٦- محمد سعيد رمضان البوطي، مسألة تحديد النسل وقالية وعلاجاً، الوكالة العامة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢(د.ت)، ص ١١٨ / بشار شعلان عمر النعيمي، ظاهرة الإجهاض بين الحكم الفقهي والضرر الاجتماعي والتربوي، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد ٦، العدد ٦، ١٦٢.

١٧- السامرائي كمال، مختصر تاريخ الطب العربي، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد(د.ت)، ج ٢، ص ١٦٠.

١٨- نشر وتحقيق: نور الدين عبد القادر والحكيم هنري جاهية منشورات كلية الطب والصيدلة بالجزائر.

١٩- ابن أبي أصيبيعة، المصدر السابق، ص ٤٨٣-٤٨٤ /٤٨٤-٤٨٣هـ، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر(ت ٩٥٠م)، جذوة المقبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق صلاح الدين الھواري، المكتبة العصرية، بيروت، ط ٢٠٠٤م)، ص ٢٠٩ / ابن بشکوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك(ت ١١٨٣هـ/٥٧٨)، كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق صلاح الدين الھواري، المكتبة العصرية بيروت، ط ٢٠٠٣م)، ص ١٤٧ (رقم ٣٧٣) / حداد فريد، الزھراوی جراح العرب الأعظم، مجلة العلوم، العدد الثاني، مصر، (١٩٦٧م)، ٢٩.

٢٠- الزھراوی، أبو القاسم خلف بن عباس(ت ٤٠٤هـ/١٤١٤م)، التصریف لمن عجز عن التألهف فی

١- سورة المائدة، الآية ٣٢.

٢- الإمام ضياء الدين أبي السعادات ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الآخر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمد محمود محمد، دار الفكر، بيروت، ط (١٩٧٩م)، باب الجيم مع الهاء، ج ١، ص ٣٢٢.

٣- الإمام أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط ١، (د.ت)، ج ٧، ص ٣١.

٤- المصدر نفسه، مادة جهض، ج ١، ص ١٣١.

٥- الإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الجيل، بيروت، (د.ت)، ج ٢، ص ٣٣٨.

٦- الإمام محمد بن إدريس الشافعي، الأم، تحقيق محمد زهري النجار، دار المعرفة، بيروت، ط ٣(د.ت)، ج ٦، ص ١٠٧ / الإمام عبد الله بن أحمد بن محمد الحنبل، المغني، دار الفكر، بيروت، ط ١٩٨٤م)، ج ٨، ص ٩٧ / الإمام زين العابدين إبراهيم بن محمد الحنفي، البحر الرائق، تحقيق الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٩٩٧م)، ج ٢، ص ٣٣١ - ٣٣٢.

٧- محمد بن عبد الرؤوف المناني، التوفيق على مهمات التعاريف، تحقيق محمد رضوان الدياية، دار الفكر المعاصر، بيروت (١٩٩٠م) ٣٨/١).

٨- الطب الشرعي والسموميات تأليف مجموعة أساتذة الطب الشرعي في كليات الطب في الجامعات العربية، طبع في الإسكندرية بمصر، ط (١٩٩٣م)، ص ١٢١.

٩- محمد بن محمد المختار الشنقيطي، أحكام الجراحة الطبية والأثار المترتبة عليها، مكتبة الصحابة، جدة، ط ٢(١٩٩٤م)، ص ١٥٤.

١٠- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت (١٩٩٥م)، ص ٤٨.

١١- سورة النجم، الآية ٣٢.

١٢- الشاذلي حسن علي، حق الجنين في الحياة، ورقة مقدمة لمؤتمر الإنجاب في ضوء الإسلام، المنظمة

- مخطوطه بالخزانة الحسينية، الرباط، تحت رقم ٥٢٥٥، ورقة ٣٧.
- ٣٤- ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن ابن علي، (ت ٤٢٨ هـ / ١٠٣٧ م) القانون في الطب، تحقيق وتعليق سعيد اللحام، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط (١٩٩٩ م)، ص ٧٧٤.
- ٣٥- ابن زهر، أبو مروان عبد الملك (ت ٥٥٧ هـ / ١٦٢ م) كتاب التيسير في المداواة والتدبر، تحقيق محمد ابن عبد الله الروداني، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، مطبعة فضالة، الرباط، ط (١٩٩١ م)، ص ٤٥٣.
- ٣٦- ابن خاتمة، المصدر السابق، ورقة ١٣.
- ٣٧- الرازي، أبو بكر محمد بن زكرياء (ت ٩٣٣ هـ / ٢٢٠ م)، سر صناعة الطب، تحقيق خالد حربي، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية، (د.ت.)، ص ٩٣.
- ٣٨- السقطي، أبو عبد الله محمد بن محمد، كتاب في آداب الحسبة، نشره جورج كولان وليفي بروفنسال، تقديم حسن حافظي علوى، المطبعة الأمنية، الرباط، ط (٢٠١١ م)، ص ٣٧.
- ٣٩- الونشريسيي أحمد بن يحيى (ت ٩١٤ هـ / ١٥٠٨ م)، المعيار المغرب والمجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس والمغرب، تحت إشراف محمد الحجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت (١٩٨١ م)، ج ٩، ص ٢١٣.
- ٤٠- الونشريسيي، المصدر نفسه، ج ٤، ص ٢١٤.
- ٤١- نفسه، ج ٩، ص ٢١٤.
- ٤٢- ابن جزي، المصدر السابق، ٦٣١.
- ٤٣- أبو بكر محمد بن يبقي بن زرب القرطبي المالكي، كتاب الخصال، تقديم وتعليق عبد الحميد العلمي، مطبعة فضالة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط (٢٠٠٥ م)، ص ٢١٧.
- ٤٤- سورة الحج، الآية ٥.
- ٤٥- ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت نحو ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م)، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط (٢٠٠٦ م)، ص ١٠٦.
- التداوي بالأعمال بالأيدي مع أشكال الجراحة، طبع تحت إدارة قطب الدين أحمد، مطبع نامي، ط (١٩٠٨ م)، ص ١١٩-١٢١.
- ٢١- الزهراوي، المصدر نفسه، ص ١٠٣-١٠٢.
- ٢٢- نفسه، ص ١٠٣.
- ٢٣- سورة الأنعام، الآية ١٥١.
- ٢٤- سورة الفرقان، الآية ٦٨.
- ٢٥- سورة التكوير، الآية ٨-٩.
- ٢٦- الترمذى، الإمام الحافظ محمد بن عيسى، سنن الترمذى، ضبط وفهرسة: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط (١٩٩٦ م)، كتاب الديات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم ١٤٠٣، ص ٣٣١.
- ٢٧- الونشريسيي أحمد بن يحيى (ت ٩١٤ هـ / ١٥٠٨ م)، المعيار المغرب والمجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس والمغرب، تحت إشراف محمد الحجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت (١٩٨١ م)، ج ٣، ص ٣٥٣.
- ٢٨- ابن جزي الغرناطي، أبو القاسم محمد بن أحمد المالكي (٦٩٣ هـ / ١٢٩٤ م)، القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكة والتبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية، تحقيق محمد بن سيدى محمد مولاي، وزارة الأوقاف الكويتية، (د.ت.)، ص ١٤١.
- ٢٩- أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى القرطبي الظاهري (ت ٤٥٦ هـ)، المحتوى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج ١١، ص ٣٣.
- ٣٠- الشيخ علاء الدين زعترى، مقاصد الشريعة ودورها في الحفاظ على حقوق الطفل، بحث مقدم إلى مؤتمر كلية الشريعة بدمشق، ١٠-٩ رجب ١٤٢٩ هـ / ١٢-١٣ تموز ٢٠٠٨ م، ص ٦.
- ٣١- نقلًا عن الخطابي محمد العربي، الطب والأطباء في الأندلس دراسة تراث ونصوص، دار الغرب الإسلامي، بيروت (د.ت.)، ج ١، ص ١٩٢.
- ٣٢- سورة الإسراء، الآية ٨٢.
- ٣٣- ابن خاتمة، أبو جعفر أحمد بن علي، مخطوطة "تحصيل غرض القاصد في تحصيل المرض الواحد"، الخزانة العامة بالرباط، تحت رقم ١٢١٢ /

**ظاهرة
الإجهاض
(إسقاط
الجين) في
الأندلس**

- ٦١- فسه، م، ١، ص ٦٧.
- ٦٢- ابن البيطار، المصدر السابق، م، ١، ص ٩٢.
- ٦٣- نقاً عن الخطابي محمد العربي، المرجع السابق، ج، ١، ص ٤٣٢.
- ٦٤- الونشريسي، المصدر السابق، ج، ٣، ص ٣٥٣.
- ٦٥- المصدر نفسه، ج، ٣، ص ٣٧٠.
- ٦٦- ابن حزم، المصدر السابق، ج، ١١، ص ٣١.
- ٦٧- المصدر نفسه، ج، ١١، ص ٣٢.
- ٦٨- ٣٩- محمود نجيب حسني، جرائم الاعتداء على الأشخاص في قانون العقوبات، جامعة الأزهر، ط(١٩٧٨)، ص ٣٠١-٣١٠.
- ٦٩- أبو بكر محمد بن يبقي بن زرب القرطبي المالكي، كتاب الخصال، تقديم وتعليق عبد الحميد العلمي، مطبعة الفضالة، ط(٢٠٠٥م)، ص ٣٢٧-٣٢٨.
- ٧٠- أبو مطرف عبد الرحمن بن قاسم الشعبي المالقي(٤٩٧-٤٩١هـ/١١٠٤-١١١٥م)، الأحكام، تحقيق الصادق الحلوى، دار صادر، بيروت، ط(٢٠١١م)، ص ٣٥٠.
- ٧١- ابن جزي، المصدر السابق، ص ٥٧٠.
- ٧٢- ابن حزم، المصدر السابق، ج، ٥، ص ١٦٦.
- ٧٣- ابن عذاري، المصدر السابق، ج، ٣، ص ٩٧.
- ٧٤- المراد بالحرمة المتيقنة حرمة جسد الحامل الميتة، أحكام الجراحة، ٣٢٤.
- ٧٥- إبراهيم بن محمد قاسم بن محمد رحيم، أحكام الإجهاض في الفقه الإسلامي، ص ٢٥٣.
- ٧٦- الونشريسي، ج، ٣، ص ٣٥٣-٣٧٠.
- ٧٧- نقاً عن محمد العربي خطاب، المرجع السابق، ج، ١، ص ٤٣٢.
- ٧٨- المرجع نفسه، ج، ١، ص ١٩٢.
- ٧٩- الزهراوي، المصدر السابق، ص ١١٩.
- ٨٠- المازوني أبو زكريا يحيى بن موسى المغيلي (١٥٠٣هـ/١٩٩٦م)، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تحقيق مختار حساني، مراجعة مالك كرشوش الزواوي، دار الكتاب العربي، الجزائر، ط(٢٠٠٩م)، ج، ٢، ص ٤٢٩.
- ٨١- ابن سينا، المصدر السابق، ج، ٣، ص ٥٧٥.
- ٨٢- الزهراوي، المصدر السابق، ص ١١٩.
- ٤٤- ابن الخطيب، المصدر السابق، ص ٦.
- ٤٧- القادري إبراهيم بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين(المجتمع- الذهنيات- الأولياء)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط(١٩٩٣م)، ص ١٠١.
- ٤٨- استيفن محمد، الفقر والقراء في المغرب القرنين ١٦-١٧م، مؤسسة النخلة للكتاب، وجدة، ط(٢٠٠٤م)، ص ٢٣٢ وما بعدها.
- ٤٩- الونشريسي، المصدر السابق، ج، ١٠، يحيى بن عمر، أبو زكريا الكناني الأندلسي(٢٨٩١هـ/٩٠١م)، أحكام السوق، تحقيق ودراسة إسماعيل خالدي، دار ابن حزم، بيروت، ط(٢٠١١م)، ص ٨٥.
- ٥٠- ابن عدون، محمد بن أحمد (٥٢٧هـ/١١٣٣م)، رسالة في القضاء والحساب، تحقيق فاطمة الإدريسي، تقديم مصطفى الصمدي، دار ابن حزم، بيروت، ط(٢٠٠٩م)، ص ١٠٨-١٠٧.
- ٥١- المصدر نفسه، ص ١٠٧.
- ٥٢- الونشريسي، المصدر السابق، ج، ٤، ص ٤٧٧.
- ٥٣- البرزلي، المصدر السابق، ج، ٢، ص ١٩٨ / ابن رشد، أبي الوليد محمد بن أحمد المالقي القرطبي (٥٢٠هـ/١٢٦م)، فتاوى ابن رشد، تحقيق المختار بن الطاهر الشيلبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط(١٩٨٧م)، ص ١٥٣٦.
- ٥٤- ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد (كان حياً سنة ١٣١٢هـ/١٢١٢م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ليفي بروفنسال، ج.س. كولان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(٢٠٠٩م)، ج، ٣، ص ٨١.
- ٥٥- المصدر نفسه، ج، ٣، ص ٢٦٩.
- ٥٦- الونشريسي، المصدر السابق، ج، ١٠، ص ٣٦٠.
- ٥٧- نقاً عن الخطابي محمد العربي، المرجع السابق، ج، ١، ص ١٩٢.
- ٥٨- سورة المائدة، الآية ٣٢.
- ٥٩- ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(٢٠٠١م)، م، ١، ص ٩.
- ٦٠- المصدر نفسه، م، ١، ص ٢٢.

- الفقهية في تلخيص مذهب المالكية والتبني على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية، تحقيق محمد ابن سيدى محمد مولاي، وزارة الأوقاف الكويتية، (دبت).
- ابن رشد، أبي الوليد محمد بن أحمد المالقي القرطبي (ت ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م)، فتاوى ابن رشد، تحقيق المختار بن الطاهر الشيللي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط (١٩٨٧) م).
- ابن زهر، أبو مروان عبد الملك (ت ٥٥٧ هـ / ١١٦٢ م)، كتاب التيسير في المداواة والتنبیر، تحقيق محمد ابن عبد الله الروذاني، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، مطبعة فضالة، الرباط، ط (١٩٩١) م).
- ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن ابن علي، (ت ٤٢٨ هـ / ١٠٣٧ م) القانون في الطب، تحقيق وتعليق سعيد اللحام، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط (١٩٩٩) م).
- ابن عبدون، محمد بن أحمد (أحمد بن عبد الله) (ت ١٣٣ هـ / ٥٢٧ م)، رسالة في القضاء والحسبة، تحقيق فاطمة الإدريسي، تقديم مصطفى الصمدي، دار ابن حزم، بيروت، ط (٢٠٠٩) م).
- ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد (كان حياً سنة ٧١٢ هـ / ١٣١٢ م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ليفي بروفنسال، ج.س. كولان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (٢٠٠٩) م)، ج.٣.
- أبو الحسن علي بن يحيى بن القاسم (ت ٥٧٥ هـ / ١١٨٩ م)، المقصد المحمود في تلخيص العقود، دراسة وتحقيق اسونثيون فريرس، سلسلة المصادر الأندلسية (٢٣)، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية - الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي، مدريد، مدرية، ص (١٩٩٨) م).
- أبو بكر محمد بن يبقى بن زرب القرطبي المالكي، كتاب الخصال، تقديم وتعليق عبد الحميد العلمي، مطبعة فضالة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط (٢٠٠٥) م).
- أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت ٤٥٦ هـ)، المحتوى، دار
٨٣. البرزلي، ج ٢، ص ٤٨٨.
٨٤. ابن رشد، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٢٤٣.
٨٥. الزهراوي، المصدر السابق، ص ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٧٠.
٨٦. المصدر نفسه، ١٢١-١١٩.
٨٧. نفسه، ص ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٧٠.
٨٨. الجزييري، أبو الحسن علي بن يحيى بن القاسم (ت ٥٧٥ هـ / ١١٨٩ م)، المقصد المحمود في تلخيص العقود، دراسة وتحقيق اسونثيون فريرس، سلسلة المصادر الأندلسية (٢٣)، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية - الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي، مدريد، ١٩٩٨، ص ١٩٤، ١٩٧.
٨٩. الونشريسي، المصدر السابق، ج ٩، ص ٢١٣.

قائمة المصادر والمراجع

المخطوطات:

- ابن خاتمة، أبو جعفر أحمد بن علي، مخطوطة“ تحصيل غرض القاصد في تقصيل المرض الوافد”， الخزانة العامة بالرباط، تحت رقم ١٢١٢ مخطوطة بالخزانة الحسنية، الرباط، تحت رقم ٥٢٥٥.

المصادر

- ابن أبي أصيبيعة، أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي (ت ٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ط (١٩٦٥) م).
- ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت نحو ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م)، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط (٢٠٠٦) م).
- ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨ هـ / ١١٨٣ م)، كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية بيروت، ط (٢٠٠٣) م).
- ابن جزي الغرناطي، أبو القاسم محمد بن أحمد المالكي (٦٩٣ هـ / ١٢٩٤ م)، القوانين

٤١. التصريف لمن عجز عن التأليف في التداوي بالأعمال بالأيدي مع أشكال الجراحة، طبع تحت إدارة قطب الدين أحمد، مطبع نامي، ط(١٩٠٨م).
٤٢. السقطي، أبو عبد الله محمد بن محمد، كتاب في آداب الحسبة، نشره جورج كولان وليفي بروفنسال، تقديم حسن حافظي علوى، المطبعة الأمنية، الرباط، ط(٢٠١١م).
٤٣. المازوني أبو زكريا يحيى بن موسى المغيلي (ت٩٠٩هـ/١٥٠٣م)، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تحقيق مختار حساني، مراجعة مالك كوشوش الزواوي، دار الكتاب العربي، الجزائر، ط(٢٠٠٩م)، ج٢.
٤٤. محمد بن عبد الرؤوف المناوي، التوفيق على مهمات التعريف، تحقيق محمد رضوان الديبة، دار الفكر المعاصر، بيروت (١٩٩٠م)، ج١.
٤٥. الوشريسيي أحمد بن يحيى (ت٩١٤هـ/١٥٠٨م)، المعيار المعربي والجامع المغربي عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس والمغرب، تحت إشراف محمد الحجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت (١٩٨١م)، ج٩.
٤٦. يحيى بن عمر، أبو زكريا الكلناني الأندلسي (ت٢٨٩هـ/٩٠١م)، أحكام السوق، تحقيق ودراسة إسماعيل خالدي، دار ابن حزم، بيروت، ط(٢٠١١م).
- المراجع:**
٤٧. إبراهيم بن محمد قاسم بن محمد رحيم، أحكام الإجهاض في الفقه الإسلامي، سلسلة إصدارات الحكمة، العدد ١٣٣، ط(٢٠٠٢م).
٤٨. استيتو محمد، الفقر والفقراء في المغرب القرنيين ١٦-١٧م، مؤسسة الخلقة للكتاب، وجدة، ط(٢٠٠٤م).
٤٩. بشار شعلان عمر النعيمي، ظاهرة الإجهاض بين الحكم الفقهي والضرر الاجتماعي والتربوي، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد ٦، العدد ١.
٥٠. حداد فريد، الزهراوي جراح العرب الأعظم، مجلة العلوم، العدد الثاني، مصر، (١٩٦٧م)
٥١. أبو مطرف عبد الرحمن بن قاسم الشعبي المالقي (ت٤٩٧هـ/١١٠٤م)، الأحكام، تحقيق الصادق الحلوى، دار صادر، بيروت، ط(٢٠١١م).
٥٢. الإمام أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط١، (دب٢)، ج٧.
٥٣. الإمام زين العابدين إبراهيم بن محمد الحنفي، البحر الرائق، تحقيق الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(١٩٩٧م)، ج٢.
٥٤. الإمام ضياء الدين أبي السعادات ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الآخر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد، دار الفكر، بيروت، ط(١٩٧٩م)، باب الجيم مع الهاء، ج١.
٥٥. الإمام عبد الله بن أحمد بن محمد الحنبلي، المغني، دار الفكر، بيروت، ط(١٩٨٤م)، ج٨.
٥٦. الإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الجيل، بيروت، (دب٢)، ج٢.
٥٧. الإمام محمد بن إدريس الشافعي، الأم، تحقيق محمد زهري النجار، دار المعرفة، بيروت، ط٣، (دب٦)، ج٦.
٥٨. البرزلي، أبو القاسم بن أحمد البلوي (ت٨٤٤هـ/١٤٤٠م)، جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمقتبين والحكام، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط(٢٠٠٢م)، ج٢.
٥٩. الترمذى، الإمام الحافظ محمد بن عيسى، سنن الترمذى، ضبط وفهرسة: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط(١٩٩٦م).
٦٠. الحميدي، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر (ت٤٨٨هـ/١٠٩٥م)، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، ط١ (٢٠٠٤م).
٦١. الزهراوى، أبو القاسم خلف بن عباس (ت٤٠٤هـ/١١٢٣م)، الفكرة للطباعة والنشر والتوزيع، ج١١.

٣٩. عبد المالك سلطانية، عبد الحميد حراوبية، ساجية حمانى، تاريخ النظم في الحضارات القديمة وأثرها على التشريعات والمواثيق الدولية، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة(الجزائر)، ط(٢٠٠٧م).
٤٠. القادري إبراهيم بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين(المجتمع-الذهنيات-الأولياء)، دار الطبيعة للطباعة والنشر، بيروت، ط(١٩٩٣م).
٤١. محمد بن محمد المختار الشنقيطي، أحكام الجراحة الطبية والأثار المترتبة عليها، مكتبة الصحابة، جدة، ط(١٩٩٤م).
٤٢. محمد سعيد رمضان البوطي، مسألة تحديد النسل وقايةً وعلاجاً، الوكالة العامة للنشر والتوزيع، بيروت، ط(د.ت).
٤٣. حميدان زهير، الأعلام، مطبعة دمشق، ط(١٩٩٦م)، م٥.
٤٤. الخطابي محمد العربي، الطب والأطباء في الأندلس دراسة ترجم ونصوص، دار الغرب الإسلامي، بيروت (د.ت)، ج ١.
٤٥. السامرائي كمال، مختصر تاريخ الطب العربي، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد(د.ت)، ج ٢.
٤٦. الشيخ علاء الدين زعيري، مقاصد الشريعة ودورها في الحفاظ على حقوق الطفل، بحث مقدم إلى مؤتمر كلية الشريعة بدمشق، ١٠-٩ رجب ١٤٢٩ هـ / ١٣-١٢ تموز ٢٠٠٨ م.
٤٧. الطب الشرعي والسموميات تأليف مجموعة أساتذة الطب الشرعي في كليات الطب في الجامعات العربية، طبع في الإسكندرية بمصر، ط(١٩٩٣م).

المستشرق الفرنسي روبيير برنشفيج^(١)

Robert Brunschwig

وآثاره

(١٩٠١-١٩٩٠م)

عبد الواحد جهاني

مركز سوس للحضارة والتنمية
جامعة ابن زهر
أكادير / المغرب

المستشرق
الفرنسي
روبيير
برنسنفيج

يعد روبيير برنشفيج من ألمع المستشرقين الفرنسيين أواخر القرن العشرين الميلادي. وإن كان البعض في عالمنا العربي يصنف برنشفيج ضمن "أبرز المؤرخين الفرنسيين المختصين في تاريخ العالم الإسلامي بوجه عام، والمغرب العربي بوجه خاص"^(٢)، فإن ذلك يقدم صورة مغلوطة عن هذا الباحث الذي كانت له اهتمامات بالتاريخ في بداية حياته العلمية، ولكنه برع وتخصص واستقر به البحث في مجال دراسات الفقه وأصوله^(٣).

الصورة المغلوطة عن هذا المستشرق. فأعمال برنشفيج - في عالمنا العربي- ما زالت مجهلة إلى يومنا هذا، والقارئ العربي لا يعرف عنها شيئاً. كما أن ترجمة رسالته "تاريخ إفريقيا في العهد الحفصي" إلى اللغة العربية دون سواها من مقالاته وأبحاثه ساهم بشكل بارز في إعطاء وترسيخ هذه الصورة عن هذا المستشرق.

وكما سيتبين للقارئ، من خلال هذا البحث، فإن المسار العلمي لبرنسنفيج سيأخذ وجهاً أخرى، وبها سيعرف في الأوساط الاستشرافية الفرنسية

والسبب الذي جعل البعض - في عالمنا العربي - يعد برنشفيج "من أبرز المؤرخين"، يرجع في نظرنا إلى أمرين:

- الأول: هو أنهم اطلعوا فقط على مساره العلمي في بداية حياته العلمية، وبخاصة على رسالته للدكتوراه؛ حيث كان برنشفيج مهتماً بتاريخ الغرب الإسلامي، وفي هذا الإطار أنجز أطروحته للدكتوراه عن "تاريخ إفريقيا في العهد الحفصي".

- الثاني: وهو في نظرنا السبب الرئيس لهذه

من سنة ١٩٢٢ حتى سنة ١٩٣٠ م.

اشتغل برنسفيج خلال وجوده بتونس (إفريقية) بتاريخها، وتمكن كذلك من أن يتقن العربية، ولقد ساعدته على ذلك المستشرق الفرنسي المشهور ولـيام مارسي William Marçais^(٥)، الذي كان يشغل مدير مدرسة اللغة والأداب العربية بتونس، كما وطـد برنسفيج علاقاته مع أعلام تونس، وبخاصة السيد حسن حسني عبد الوهاب^(٦). ولقد أثـمرت هذه الفترة من الناحية العلمية، أبحاثاً حول تاريخ تونس، خاصة خلال الفترة الحفصية، نشرها في مجلتي "المجلة التونسية Revue Tunisienne"^(٧) و "المجلة الإفريقية Revue Africaine"^(٨).

وابتداء من سنة ١٩٢٩ م، أصبح برنسفيج مديرـاً للمجلة التونسية، وبعد حصوله على دبلوم اللغة العربية من معهد اللغات الشرقية بباريس (١٩٣٢-١٩٣١ م)، عـين مـدرساً بجامعة الجزائر خـلـاً للمـشـرق لـيفـي بـروفـنسـال Lévi Provençal^(٩) الذي انتـقل إـلـى المـغـرـب الأـقـصـىـ. وخلـال هـذـه المـرـحـلة (١٩٤٦-١٩٣٢ م)، سـيـتـابـعـ أـبـحـاثـهـ التـارـيـخـيـةـ التـيـ سـتـتوـجـ بـنـشـرـهـ سـنـةـ ١٩٣٦ـ مـ لأـطـرـوـحـتـهـ الفـرـعـيـةـ "رـحـلـاتـ إـلـىـ إـفـرـيـقـيـاـ الشـمـالـيـةـ فـيـ الـقـرـنـ الـخـامـسـ عـشـرـ لـمـ يـسـبـقـ نـشـرـهـماـ: رـحـلـةـ عـبـدـ الـبـاسـطـ بـنـ خـلـيلـ^(١٠) وـرـحـلـةـ أـنـسـلـمـ أـدـورـنـ"^(١١)، (١٢) وأـطـرـوـحـتـهـ الرـئـيـسـيـةـ سـنـةـ ١٩٤٠ـ مـ "بـلـادـ الـبـرـبرـ الشـرـقـيـةـ أـثـنـاءـ حـكـمـ الدـوـلـةـ الـحـفـصـيـةـ"^(١٣) من بـداـيـتهاـ حـتـىـ نـهـاـيـةـ الـقـرـنـ الـخـامـسـ عـشـرـ"^(١٤) وـيـعـدـ هـذـاـ الـعـلـمـ، بـحـبـ عبدـ الرـحـمـنـ بـدوـيـ، أـوجـ إـنـتـاجـ بـرـنـسـفـيـجـ فـيـ هـذـهـ الـمـرـحـلةـ الـأـولـىـ مـنـ حـيـاتـهـ الـعـلـمـيـةـ^(١٥).

والغربيـةـ، أـلـاـ وـهـيـ اـهـتمـامـاتـهـ وـبـحـوثـهـ الـنـوعـيـةـ فـيـ مـجـالـ الـدـرـاسـاتـ الـفـقـهـيـةـ وـالـأـصـولـيـةـ. كـمـ أـنـ أـطـرـوـحـتـهـ وـعـلـىـ الرـغـمـ مـنـ كـوـنـهـ أـنـجـزـهـاـ فـيـ بـدـاـيـةـ مـسـارـهـ الـعـلـمـيـ، اـتـسـمـتـ كـمـ أـشـارـ أـحـدـ الـبـاحـثـينـ بـالـتـحـلـيلـ الـعـمـيقـ، وـتـمـيـزـتـ بـالـجـدـيـةـ مـنـ جـانـبـيـنـ:

- من جهة أنها دلت على اهتمام برنسفيج بالفقـهـ الـإـسـلـامـيـ، وـبـدـقـاقـنـ مـذـاـبـهـ.
- وـمـنـ جـهـةـ اـهـتمـامـهـ أـيـضـاـ بـإـسـكـالـيـاتـ الـفـقـهـ وـتـطـبـيقـاتـهـ^(١٦).

وـالـمـطـلـعـ عـلـىـ أـطـرـوـحـةـ بـرـنـسـفـيـجـ، الـتـيـ تـنـدـرـجـ فـيـ الـحـقـيقـةـ ضـمـنـ التـارـيـخـ الـعـامـ (الـسـيـاسـيـ وـالـفـكـرـيـ وـالـدـيـنـيـ وـالـاجـتمـاعـيـ) يـلـحظـ أـنـ الـجـانـبـ الـفـقـهيـ هوـ الـآـخـرـ حـاـضـرـ بـصـورـةـ بـارـزـةـ فـيـ جـلـ مـبـاحـثـ أـطـرـوـحـتـهـ: الـقـضـاءـ وـالـشـعـائـرـ الـدـينـيـةـ، الـنـظـامـ الـعـقـارـيـ، الـإـنـتـاجـ وـنـظـامـهـ وـفـنـونـهـ (الـمـزارـعـ وـالـعـقـودـ الـزـرـاعـيـةـ)، الـمـذـهـبـ الـمـالـكـيـ، الـتـعـلـيمـ وـالـمـكـتـبـاتـ...

نبـذـةـ مـنـ حـيـاتـهـ وـمـسـارـهـ الـعـلـمـيـ:

ولد روبيـرـ بـرـنـسـفـيـجـ سـنـةـ ١٩٠١ـ مـ بـمـدـيـنـةـ بـورـدوـ الـفـرـنـسـيـةـ لـأـسـرـةـ يـهـودـيـةـ اـسـتـقـرـتـ بـمـنـطـقـةـ الـأـلـزـاسـ-ـلـورـينـ بـفـرـنـسـاـ اـبـتـدـاءـ مـنـ سـنـةـ ١٨٧١ـ مـ. تـعـرـضـ بـرـنـسـفـيـجـ لـلـنـفـيـ مـعـ أـسـرـتـهـ خـلـالـ الـاحتـلـالـ الـأـلـمـانـيـ الـنـازـيـ لـفـرـنـسـاـ؛ـ حـيـثـ تـوـفـيـ كـلـ مـنـ وـالـدـهـ وـوـالـدـتـهـ وـأـخـتـهـ خـلـالـ هـذـاـ النـفـيـ. وـبـعـدـ درـاستـهـ لـلـغـاتـ الـقـدـيمـةـ بـالـمـدـرـسـةـ الـعـلـيـاـ لـلـمـعـلـمـينـ بـبـارـيسـ، حـصـلـ بـرـنـسـفـيـجـ عـلـىـ شـهـادـةـ التـبـرـيزـ فـيـ نـحـوـ الـلـغـةـ الـلـاتـيـنـيـةـ،ـ ثـمـ عـيـنـ أـسـتـاذـاـ لـلـغـةـ الـفـرـنـسـيـةـ بـإـحدـىـ الـثـانـوـيـاتـ بـتـونـسـ الـعـاصـمـةـ خـلـالـ الـفـتـرـةـ الـمـمـدـدةـ

بالبحث والتدريس في مجال الفقه والأصول. فحينما يذكر اسم أصول الفقه بالجامعة الفرنسية يتبارى إلى الذهن مباشرةً اسم روبيير برنشفيج. ومن المعلوم أن الاهتمام بالفقه الإسلامي وبندريسه في فرنسا، وخصوصاً الفقه المالكي، قد تزايد منذ نهاية القرن ١٩ م؛ أي بعد بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة ١٨٣٠ م؛ وذلك بسبب ارتباط سلطة الاحتلال بالمعرفة الاستشرافية. وضمن الوجوه الاستشرافية البارزة خلال هذه الفترة نذكر مليو (١٨٨٥-١٩٦١ م)^(١٧)، وليون برشي (١٨٨٩-١٩٥٥ م)^(١٨)، وبوسكي (١٩٠٠ - ١٩٧٨ م)^(١٩)، وغيرهم. وإذا كان هذا الاهتمام المعرفي- السلطوي منصبًا على الفقه؛ فذلك نظرًا لاحتياجات السلطة الإمبريالية الفرنسية الحاكمة لبلدان المسلمين إليه؛ لتسهيل الأمور القضائية والإدارية والحياتية.

وإذا كانت مقاربة هنري لاوست للإسلام وحضارته تعد متقدمة على ما سبقها،^(٢٠) خصوصاً مقاربة شيخ الاستشراف الفرنسي لويس ماسينيون^(٢١) التي ركزت على العناصر الهامشية في الفكر والحضارة الإسلامية بعدها تمثيلاً لهذا الدين ولهذه الحضارة، فمع روبيير برنشفيج ننتقل إلى مرحلة أخرى أكثر وضوحاً ودقّة، مفادها: إن الباحث(المستشرق) ليخطئ حينما يريد أن يستكشف الفكر الحقيقي لإسلام القرون "الوطني"^(٢٢)، من خلال المصنفات الفلسفية. إن هذا الفكر الحقيقي يمكن استكشافه من خلال مصنفات أصول الفقه.^(٢٣)

ولقد لاحظ برنشفيج في مقدمة مقالته " قيمة

بعد سنة كاملة قضتها برنشفيج مدرساً في إحدى الثانويات بفرنسا، عاد من جديد إلى بلاد الغرب الإسلامي سنة ١٩٣٢ م ليصبح أستاذًا للحضارة الإسلامية بالجزائر (١٩٤٦-١٩٣٢ م). وخلال هذه الفترة، بدأت اهتماماته تمس جوانب أخرى من الحضارة الإسلامية: الفقه وأصوله. في فرنسا، ومن خلال جامعاتها، تبدأ المرحلة الثالثة من حياة برنشفيج العلمية، والتي ستبرز فيها شخصيته كباحث في الدراسات الإسلامية. وبعد نهاية الحرب "الغربية"^(٢٤) الثانية، عاد برنشفيج للتدريس بالجامعة الفرنسية؛ حيث شغل - من سنة ١٩٤٧ إلى سنة ١٩٥٥ م - منصب أستاذ تاريخ الحضارة الإسلامية بجامعة بوردو – مسقط رأسه – التي كانت أهم جامعة للدراسات العربية والإسلامية في فرنسا بعد جامعة السوربون بباريس.

بعد أن قضى برنشفيج ثمانية سنوات بجامعة بوردو، انتقل إلى باريس؛ حيث شغل أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة السوربون حتى تقاعده سنة ١٩٦٨ ، كما أصبح مديرًا لمعهد الدراسات الإسلامية بجامعة باريس الثالثة (السوربون الجديدة) من سنة ١٩٦٥ إلى سنة ١٩٦٨.

روبيير برنشفيج والدراسات الأصولية:

على الرغم من أن أهم عمل علمي أجزه برنشفيج في حياته العلمية هي رسالته حول "تاريخ إفريقيا"، فإن مساره بعد هذه الرسالة سيأخذ منحى آخر؛ حيث سيرتبط اسمه في دوائر الاستشراف العربي عامة، والفرنسي خاصة

الإسلامي والقانون الروماني في هذه المسألة، غير أن بحثه المعمق قاده إلى اكتشاف خلافات جوهرية بينهما، مما جعله يستبعد أي إمكانية لتأثير أحدهما على الآخر.^(٢٧) ولقد كانت مقاربة برنشفيج لهذا الموضوع تختلف عن مقاربات من سبقوه، بحكم موضوعيته وبحكم اطلاعه وعمق فهمه. ويشير عبد الرحمن بدوي إلى ما تميزت به منهجية برنشفيج في الدراسات المقارنة، مقارنة مع أبحاث جولتساير - التي كان ينطلق فيها أن التشريعات الإسلامية ليست سوى نسخة لشريعة اليهود -، فيقول في حق أبحاث برنشفيج: "كما أن لها فضلاً آخر هو البعد عن تلمس الأشياء والنظائر في الأديان الأخرى وبخاصة اليهودية، كما أسرف في هذا الأمر جولتساير. صحيح أنه يشير أحياناً إلى نظائر في "التلمود"، ولكنه يسوقها باحتياط شديد ولا يتحدث أبداً عن تأثير وتأثر مثلاً بالغ في هذا كثير من المستشرقين اليهود مثل جولتساير، وسانتلانا ومن عنوا بالكتابة عن الفقه الإسلامي".^(٢٨)

لقد كان اهتمام برنشفيج بعلم أصول الفقه، وهو الذي أجز أطروحته في التاريخ، نابعاً من اعتقاده بمركزية وأهمية أصول الفقه، وتقرّد إبداع العقلية الإسلامية به عن باقي الحضارات والأديان. وفي هذا المجال، تكمن أهمية مقاربة برنشفيج على صعيد الدراسات الاستشرافية بفرنسا. هذه المقاربة جعلت من برنشفيج، وبدون منازع، رائد الدراسات الأصولية بالجامعات الفرنسية، فهو الوحيد، - على حد علمنا - من بين مستشرقي فرنسا خلال النصف الثاني من القرن

وأساس القياس الفقهي عند الغزالي "ضعف اهتمام المستشرقين بمجال أصول الفقه فكتب يقول: "لقد شكل الاستدلال بالقياس - خصوصاً في مجال التشريع الإسلامي الواسع - أحد أهم المواضيع التي تناولها الغزالي باستمرار طوال حياته الفكرية الخصبة (ولد سنة ١٠٥٨م، وتوفي سنة ١١١١م). غير أن انبهار الباحثين [المستشرقين] المعاصرین بجوانب أخرى من هذه الشخصية الثرية، جعلهم إلى يومنا هذا لا يهتمون بهذا الموضوع".^(٢٩)

وبما أن الدخول إلى عالم أصول الفقه ليس بالأمر السهل للقادم من غير لغة الضاد، فقد كان برنشفيج يشعر بصعوبة المهمة، وأكثر من ذلك، صعوبة إفهام المتلقى الغربي، حتى المتخصص منه، للإشكاليات المدرورة، ولهذا ختم برنشفيج مقالته السالفة الذكر بهذا التمني "لقد كان الغزالي على وعي بصعوبة المهمة، وحينما نرحب بتلكه في تعميق البحث، على الرغم أنه لم يكن مقتئاً أن أي قارئ يمكنه أن يفهمه حقيقة. نتمنى فقط فيما يخصنا أن لا يشمنا الإنذار الساخر الذي صدر به كتابه "شفاء الغليل": فأما الجامد البليد، فهو عن مقصد هذا الكتاب بعيد".^(٣٠)

وبحكم أن أبحاث برنشفيج تتصل بالفقه والتشريع، فقد قاده ذلك، بحكم ثقافته المتعددة، إلى القيام بالدراسات المقارنة وتلمس أوجه الشبه أو الاختلاف بين النظام الإسلامي في جانبه الفقهي والقانون الروماني، واليهودية من جهة أخرى.^(٣١) ففي بحثه حول الهبة، على سبيل المثال، انطلق برنشفيج من فرضية وجود تشابه نسبي بين الفقه

سيكتب فيها جل المستشرقين الغربيين مثل: هاملتون جب،^(٣٣) وموتنجمري وات،^(٣٤) وممن كتب فيها الشهيد إسماعيل الفاروقى - رحمه الله -. ومن مميزات هذه المجلة أن الأبحاث حول الفقه والأصول احتلت فيها مكانة متميزة. وحينما توفي شاخت سنة ١٩٦٩م، أخذ برنسفيج على عاتقه مسؤولية إدارة ورئاسة المجلة لمدة سنة ١٩٧٠م (الأعداد ٣٢-٣١). وابتداء من العدد ٣٣، شاركه في رئاسة التحرير المستشرق النمساوي جرنبوم،^(٣٥) لمدة سنة ونصف (الأعداد ٣٥-٣٣). وسيبقى برنسفيج وحده على رئاسة المجلة حوالي سنتين (الأعداد ٣٦-٤٠)؛ ليظهر بعد ذلك اسم المستشرق бритانی ابراهام يودوفيتش^(٣٦)؛ حيث سيشارك في رئاسة تحرير المجلة صحبة برنسفيج، حتى سنة ١٩٧٥م؛ حيث سيخلفه تلميذه عبد المجيد تركي ابتداء من العدد ٤ (سنة ١٩٧٦م).

ومن المهام العلمية الأخرى التي تقلدتها روبيروبرنسفيج أنه كان عضواً في الأكاديمية البريطانية بلندن، والأكاديمية الملكية للتاريخ بمدريد (إسبانيا)، وأكاديمية دي لينشي برومما برلين، Accademia dei Lincei (إيطاليا). كما أنه أول حائز على الجائزة الدولية لليفي ديلا فيدا Levi سنة ١٩٦٧م.^(٣٧)

وفاته:

على الرغم من تقاعده سنة ١٩٦٨م، ظل برنسفيج يشرف على مجلة دراسات إسلامية حتى نهاية سنة ١٩٧٥م، ويتابع نشر أبحاثه حتى سنة ١٩٨٣م؛ حيث نشر فيها آخر بحثه. توفي

العشرين الذي اقتحم عالم أصول الفقه تدريساً، إضافة إلى أبحاثه الفقهية والأصولية. كما كان برنسفيج يرى أن أصول الدين وأصول الفقه علام متلازمان، فحاول أن يبرهن على ذلك من الناحية النظرية والعملية، ولهذا نجده يربط بينهما في بعض مقالاته.

ومن بين تلامذته الذين تخرجوا على يديه وحاولوا استكمال مشروعه التأسيسي للدراسات الأصولية بفرنسا ذكر كلاً من عبد المجيد تركي،^(٢٩) وماري برنان Marie Bernand^(٣٠) الذين التحقا بمجال البحث العلمي بالمركز الوطني للبحث العلمي Centre National de la Recherche Scientifique للتدريس، ومن ثم انصرفوا بحكم وظيفتهم إلى البحث بنشر المقالات وتحقيق النصوص، ولهذا انقطع تدريس علم أصول الفقه في الجامعات الفرنسية منذ تقاعده برنسفيج عن العمل سنة ١٩٦٨م إلى يومنا هذا.

روبيروبرنسفيج ومجلة "دراسات إسلامية" *"Studia Islamica"*

كان من ثمرات هذا الاهتمام الذي أطلقه روبيروبرنسفيج بالدراسات الفقهية والأصولية في فرنسا إصدار مجلة: "دراسات إسلامية"^(٣١)، أهم مجلة متخصصة بالدراسات الإسلامية أصدرها المستشرقون الفرنسيون خلال القرن الماضي.

ففي نوفمبر ١٩٥٣م أصدر برنسفيج رفقة المستشرق الألماني المشهور، والمتخصص في الدراسات الفقهية والأصولية، يوسف شاخت^(٣٢)، بباريس العدد الأول من هذه المجلة، والتي

برنشفيج في الدراسات الاستشرافية لبنة أساسية
في تطور الدراسات الأصولية في الغرب.

يختتم المستشرق الألماني البارز بابر يوهانسن Baber JOHANSEN مقالته عن برنشفيج بدائرة المعارف العالمية بقوله: لم يترك برنشفيج عملاً هاماً فقط، وإنما طور المعايير التي عن طريقها يمكننا أن نحكم بالنجاح أو الفشل على الدراسات الإسلامية بكونها علمًا لحضارة ودين.^(٣٩)

وأخيراً، فإننا نعتقد أن المستشرق الفرنسي روبير برنشفيج قد قدم خدمات جليلة للدراسات الإسلامية بفرنسا، وأبرز بوضوح قيمة المنظومة الفقهية والأصولية في الحضارة الإسلامية، ونعده رائداً بلا منازع للدراسات الأصولية بفرنسا حتى يومنا هذا. ولكن أعماله للأسف لم تجد من يسير على دربها ويتطورها، بل ظهر في فرنسا مستشرقون "عرب"، أقل معرفة بالتراث الإسلامي من المستشرقين أنفسهم، أعادوا الدراسات الاستشرافية إلى جب الرؤية المعرفية الغربية القائمة على مركبة الغرب حضارياً، وعلى وجوب اتباعه معرفياً ومنهجياً.

مسرد لإنتاجات برنشفيج :^(٤٠)

د. التاريخ الفكري والحضاري:

- خليفة حفصي مجھول، المجلة التونسية، ١٩٣٠ م ، ١ ، ٤٨-٣٨ .
- ملاحظات تاريخية حول المدارس في تونس، المجلة التونسية، ١٩٣١ م ، ٢ (٨٥-٦١) .
- نبذة حول معاهدة بين تونس والامبراطور فرديريك الثاني، المجلة التونسية، ١٩٣٢ م .

روبير برنشفيج بضواحي مدينة باريس يوم الجمعة ١٦ فبراير ١٩٩٠ م.

خلاصة:

يختتم عبد الرحمن بدوي - رحمة الله - ما كتبه عن برنشفيج في موسوعته، على الرغم من نقده اللاذع لجل المستشرقين - بهذه الكلمات: "هذا الإنتاج العلمي، وإن لم يكن غزيراً، فإنه يكشف عن علم وفير، متعدد الجوانب، محكم المنهج، وإن لم نعثر فيه كثيراً على آراء فذة تبهر العقل، أو نظرات واسعة تشمل آفاقاً عريضة في الحضارة الإسلامية، فإنه يتناول بالتحليل العميق مشاكل كثيرة، خصوصاً في ميدان أصول الفقه وعلم الكلام... ولا تكشف أبحاث برنشفيج عن أي تعصب ديني أو تحيز لتراث قومه، بل على العكس تماماً نجد فيها موضوعية صريحة وإنصافاً كبيراً للحضارة الإسلامية وللفكر الإسلامي في الفقه وأصول الدين".^(٤١)

تفق مع بدوي في موضوعية برنشفيج، وفي علمه الغزير، ودقة فهمه لقضايا شائكة في أصول الفقه وأصوله، ولكننا نختلف معه - رحمة الله - في القيمة العلمية لأبحاث روبير برنشفيج. بالإضافة إلى المنهج المحكم والتحليل العميق، فقد كان برنشفيج رائداً في الدراسات الأصولية؛ حيث طرق مجالاً صعباً لم يسبق إليه من قبل في مجال الدراسات الاستشرافية بفرنسا. وعلم أصول الفقه، بحكم كونه علماً منهجاً بامتياز، فإنه يتطلب قدرة فائقة على الاستيعاب والتحليل، وهذا لا يتأتى إلا لمن تمكن من حذق اللغة وتعمق في أسرارها. وكل رائد، تبقى مساهمات

- فزان،^(٤٣) المجلة الإفريقية، ١٩٤٥م، (٢١-٢٥).
- تونس أولى القرون الوسطى، القاهرة، ١٩٤٨م، ٢٦ ص. [محاضرة ألقاها في المعهد الفرنسي للآثار الشرقية].
- تونس في القرون الوسطى، ضمن كتاب "التعريف بتونس"، باريس، ١٩٥٠م، (٧٣-٩٧).
- موجز تاريخ النقد خلال العصر الموحدي-الحفصي، ضمن "الأعمال المهدأة لوليم مارسي"، باريس، ١٩٥٠م، (٨٨-٦٣).
- لمحة خاطفة عن تاريخ المعارض في الإسلام من خلال تاريخ الإسلام، ضمن "مجاميع جمعية جان بودان"، بريكسيل، ١٩٥٣م، ٥ (٧٤-٤٣).
- مجرد ملاحظات سلبية بسيطة حول معجم القرآن،^(٤٤) دراسات إسلامية، ١٩٥٦م، ٥ (٣٢-١٩).
- المهن الزرية في الإسلام، دراسات إسلامية، ١٩٦٢م، ١٦ (٦٠-٤١).
- كمال باشا زاده والفارسية، ضمن مجاميع ماسي، طهران، ١٩٦٣م، (٦٤-٤٨).
- الحل الموسوية: غرناطة والمغرب المريني، ضمن "دراسات عربية وإسلامية مهدأة لهمتون جب"^(٤٥)، ليدن، ١٩٦٥م، (١٤٧-١٥٥).
- الاعتزاز والأشعرية في بغداد، مجلة الاعتزاز والأشعرية في بغداد، مجلة ابن الشمام،^(٤٦) مؤرخ حفصي، حوليات معهد الدراسات الشرقية، الجزائر، ١٩٣٤-١٩٣٥م.
- من مظاهر الأدب التاريخي - الجغرافي في الإسلام، ضمن الأعمال المهدأة لغودفري ديمومبيين،^(٤٧) القاهرة، ١٩٣٥م-٤٥، (١٤٧-١٥٨).
- وثائق غير منشورة حول العلاقات بين بلاط أراغون و إفريقية الشرقية، حوليات معهد الدراسات الشرقية (الجزائر)، ١٩٣٦م.
- ليون الإفريقي ومصب الشلف، المجلة الإفريقية، الجزائر، ١٩٣٦م.
- وثيقة حول أميرة حفصية أواخر القرن ١٦م، المجلة الإفريقية، الجزائر، ١٩٣٧م، ١ (٨١-٩٢).
- نظم الشعر العربي الكلاسيكي، محاولة لطريقة جديدة، المجلة الإفريقية، الجزائر، ١٩٣٧م، ٢-٣ (٢٠-١).
- دينار حفصي غير معروف، نشرة الجمعية التاريخية لمنطقة صطيف، الجزائر، ١٩٤١م، (١٧٩-١٨٢).
- ابن عبد الحكم وفتح إفريقيا الشمالية: دراسة نقدية، حوليات معهد الدراسات الشرقية، ١٩٤٧-١٩٤٢م، ٥ (١١٠-١٥٥).
- حول بناء جملة الشهادة، نشرة الدراسات العربية (الجزائر)، ١٩٤٤م، (١٣٨).
- نص عربي من القرن ٩ م [٣ هـ] عن الاعتزاز والأشعرية في بغداد، مجلة آفاق الثقافة والتراث

- الإسلام كما يُدرّسه حامد بن الصديق الهرري (١٨٤م)، ضمن أعمال مؤتمر "مشكلات معاصرة في العلوم والثقافة" ، المؤتمر الدولي الخامس للدراسات الحبشية، روما، ١٩٧٤م، ٤٥٤-٤٤٥/١.
- رسالة الخليفة الحفصي عثمان إلى دوق ميلانو (١٤٧٦م)، كراسات تونسية، ١٩٧٨م، ٢٦ (٣٤-٢٧).
- الرخاء المغشوش: مكر الله و الاستدراج، دراسات إسلامية، ١٩٨٣م، ٥٨ (٣٢-٥).

٢. الفقه والأصول

- مقاييس الوزن في تونس خلال القرون الوسطى، المجلة الإفريقية (الجزائر)، ١٩٣٥م، ٣-٤، ٩٦-٨٦.
- حول الملكية في تاريخ الفقه الإسلامي (المذهب المالكي)، المجلة الجزائرية للتشريع، ١٩٣٦م، ٣٣-٤٠.
- حول مقاييس الوزن التونسية بداية القرن ١٧، حوليات معهد الدراسات الشرقية (الجزائر)، ١٩٣٧م، ٧٤-٨٧.
- مساهمة في تاريخ عقد الخامسة بشمال إفريقيا، المجلة الجزائرية للتشريع، فبراير، ١٩٣٨م، ١-٥.
- كتاب الأمر والنهي للمزنبي، مجلة دراسات شرقية للمعهد الفرنسي بدمشق، ١٩٤٥-١٩٤٦م، ١١ (١٤٥-٩٦).
- عمران القرون الوسطى والفقه الإسلامي، مجلة أربيكا، (٤٧) العدد الخاص بمناسبة مرور ١٢٠٠ سنة على تأسيس بغداد، ١٩٦٢م، ٩ (٣٤٥-٣٥٦).
- مشكلة الانحطاط، ضمن ندوة "المحافظة والتدهور الثقافي في تاريخ الإسلام"، بوردو، ٢٥-٢٩ يونيو ١٩٥٦م، (٥١-٥٢).
- الاعتزال والقول بالأصلح، دراسات إسلامية، ١٩٧٤م، ٣٩ (٥-٢٣).
- تحليل اعتزالي لمعنى الألم، ضمن "الأعمال المهداة لأرمن أبل" (٤٨)، من طرف زملاءه وتلامذته وأصدقائه، ليدن، ١٩٧٤م، (٧٤-٨٣).
- احتجاج أحد المتكلمين المسلمين في القرن العاشر الميلادي [الرابع الهجري] ضد اليهودية، ضمن الأعمال المهداة إلى ميلاش فاليكروزا، (٤٩) برلين، ١٩٥٤م، ١/٢٢٥.
- حول عقيدة المهدي بن تومرت، مجلة أربيكا، ١٩٥٥م، ٢ (١٣٧-١٤٩). (٥٠)
- من جديد حول عقيدة المهدي بن تومرت، أوراق شرقية، ١٩٧٠م، ١٢ (٣٣-٤٠).
- الإسلام الكلاسيكي والرأسمالية، ضمن مؤتمر عقد بمعهد الدراسات الإسلامية، باريس، ١٩٦٠م (غير منشور).
- وضعية الدراسات الإسلامية، ضمن : أعمال ندوة علم الاجتماع الإسلامي، مراسلات الشرق، بروكسل، ١٩٦٢م، ٥ (٧٥-٨٣).

- تنويعات في موضوع الشك في الفقه، ضمن " دراسات شرقية مهادة جورجيو ليفي ديلا فيدا" ، روما، ١٩٥٦م، ١/٦١-٨٢.
- نسب الأمومة في الفقه الإسلامي، دراسات إسلامية، ١٩٥٨م، ٩ (٤٩-٥٩).
- ابن رشد الفقيه، ضمن "دراسات استشرافية مهادة إلى ذاكرة ليفي بروفنسال" ، باريس، ١٩٦٢م، ٣٥ (٣٥-٦٨).
- الفقه الفاطمي وتاريخ إفريقيته، ضمن "مجاميع تاريخ وآثار الغرب الإسلامي" ، ٢٠/١٣، الجزائر، ١٩٥٨م.
- جامع مانع، أربيكا، ١٩٦٢م، ٩ (٧٤-٧٦).
- نظام الإثبات في الفقه الإسلامي، مجاميع جمعية جان بودان، ١٩٦٤م، ١٣ (١٦٩-١٨٦).
- الواجب والاستطاعة: تاريخ قضية في أصول الدين، دراسات إسلامية، ١٩٦٤م، ٢٠ (٥-٤٦).
- العدالة الدينية والعدالة العلمانية في تونس زمن الدايات والباليات إلى منتصف القرن ١٩، دراسات إسلامية، ١٩٦٥م، ٢٣ (٢٣-٢٧).
- تصورات حول النقود عند الفقهاء المسلمين(ق ١٣/٨)، مجلة أربيكا، ١٩٦٧م، ١٤ (١١٣-١١٤).
- العين والمثل في الواجب في الفقه الإسلامي، مجلة دراسات إسلامية، ١٩٦٩م، ٢٩ (٨٣-٨٢).
- دراسات إسلامية، ١٩٤٧م، ١٢٧ (١٥٥-١٥٥).
- النظرية العامة للكفاءة عند الفقهاء الأحناف في القرون الوسطى، ورقة مقدمة إلى المؤتمر الحادي عشر للمستشرقين بباريس ١٩٤٨/٧/٢٦، ونشرت ضمن مجاميع " فردينان فيشر ١٩٤٩م" ، وكذلك بمجلة تاريخ القانون القديم، ١٩٤٩م، ٢ (١٥٧-١٧٢).
- نظام مواريث غير معروف في الفقه الإسلامي، مجلة تاريخ القانون الفرنسي والأجنبي، ١٩٥٠م، (٢٣-٣٤).
- جدل في العصور الوسطى حول مذهب الإمام مالك، مجلة الأندرس، ١٩٥٠م، ١٥ (٣٧٧-٤٣٥).
- امتلاك الهبة أو الوصية في الفقه الإسلامي الكلاسيكي، ضمن: حلقات الأكاديمية الدولية لقانون المقارن، لندن، ١٩٥٣م، (١٨ص).
- الإستجاجة، مجلة الأندرس، ١٩٥٣م، ١٨ (٢٠٧-٢٠٨).
- آفاق (البحث في الدراسات الإسلامية)، دراسات إسلامية، ١٩٥٣م، ١ (٥١-٢١).
- تأملات اجتماعية في الفقه الإسلامي القديم، ورقة مقدمة إلى المؤتمر الدولي ٢٣ للمستشرقين بكمبريدج ١٩٥٤/٨/٢٨، ونشرت في مجلة: دراسات إسلامية، ١٩٥٥م، ٣ (٦١-٧٣).
- الرکوع أمام السلاطين وعقيدة الإسلام، ضمن الندوة الدولية لتاريخ الأديان، روما، ١٩٥٥م، (٤٣٧-٤٣٩).

- الهرمينوطيقا في اليهودية والإسلام، أكاديمية دي لنسي الوطنية [روما]، ١٩٧٥م، ٣٠ (٢٠-١).
- استدلال فاطمي ضد القياس الاصولي، ضمن "أبحاث إسلامية: أعمال مهادة إلى الأب قتواتي^(٥٢) والأب غاردي^(٥٣)"، لوفان [بلجيكا]، ١٩٧٨م.
- مُلاك وكراء العقار في الفقه الإسلامي الوسيط [إلى حدود ١٢٠٠م]، دراسات إسلامية، ١٩٨٠م، ٥٢ (٤٠-٥).
- النذر أو اليمين الفقه المقارن بين اليهودية والإسلام، ضمن كتاب "الأعمال المهادة لجورج فايدا"^(٥٤)، ١٩٨٠م، ١٢٥-١٣٤.

٢. كتبه المنشورة :

باستثناء أطروحته حول تونس، لم يُؤلف برنشفيج كتاباً. وأما ما نشر من كتب باسمه بعد وفاته، فهي في أصلها مقالات قد نشرها برنشفيج في مجالات أكاديمية أو مشاركات في ندوات دولية، جمعت بعد وفاته ونشرت في كتب مستقلة.

١- تاريخ الدولة الحفصية (بالفرنسية)، باريس، ١٩٤٧-١٩٤٠م.^(٥٥)

٢- رحلتان إلى شمال إفريقيا غير منشورتين: رحلة عبد الباسط بن خليل و رحلة أدورن، باريس، ١٩٣٦م.^(٥٦)

٣- دراسات إسلامية،^(٥٧) وهو كتاب في جزئين، نشر في باريس سنة ١٩٧٦م، يحتوى على مقالات سبق أن نشرها برنشفيج في مجلات

- الافتراض الفقهي في الإسلام الوسيط، دراسات إسلامية، ١٩٧٠م، ٣٢ (٥١-٤٤). [عدد خاص حول جوزيف شاخت].
- العبادة والوقت في الإسلام الكلاسيكي، حوليات متحف جيمي، ١٩٧٠م، أبريل - يونيو، (٩٣ - ١٨٣).
- أصول الفقه عند الشيعة الإمامية في مراحلها الأولى (ق ٤ هـ ١٠٥ - ٥ هـ ١١١)، ضمن كتاب ندوة "التشيع الإمامي" [عقدت الندوة بمدينة ستراسبورغ الفرنسية سنة ١٩٧٠م]، (٢٠١-٢١٢).
- المنطق والفقه في الإسلام الكلاسيكي، ضمن "المنطق في الثقافة الإسلامية خلال القرون الوسطى"، ١٩٧٠م، (٩-٢٠).
- التأييد أو المعارضة للمنطق اليوناني عند المتكلمين-الفقهاء المسلمين : ابن حزم، الغزالى وابن تيمية، ضمن المؤتمر الدولي الشرق والغرب في القرون الوسطى: الفلسفة والعلوم، روما، ١٩٧١م، (١٨٥ - ٢٠٩).
- قيمة وأسس القياس الفقهي عند الغزالى، دراسات إسلامية، ١٩٧١م، ٣٤ (٥٧-٨٨).
- العقل والسمع في القياس الشرعي عند عبد الجبار المعتزلي ، مجلة أربيكا، ١٩٧٢م، ١٩ (٢١٣ - ٢٢١).
- مذهب القياس الشرعي لدى الحنفي الدبوسي، مجلة الدراسات الشرقية والاسبانية، ١٩٧٤م.

١٠، التاريخ ٦، اللغة ٤، ثقافة عامة.

٤ - Dictionaries des orientalistes, p.157.

٥ - وليام مارسي (١٨٧٤-١٩٥٦م) مستشرق فرنسي متخصص باللهجات المغاربية والأمازيغية. عين ناظراً لمدرسة تلمسان بالجزائر سنة ١٨٩٨م، ثم مديرًا للمدرسة العليا بالجزائر. تعلم اللغة العربية والأمازيغية. ثم انتقل إلى المدرسة العليا التطبيقية بجامعة السوربون ثم إلى الكوليج دو فرنس سنة ١٩٢٧م. من أهم أعماله ترجمة ديوان أوس بن حجر، وشارك مع المستشرق هوداس في ترجمة صحيح البخاري. موسوعة المستشرقين ٥٤٧.

٦ - حسن حسني عبد الوهاب (١٨٨٤-١٩٦٨م)، عالمة، بحاثة، أديب، مفكر ومؤرخ من أشهر رجالات تونس في العصر الحديث ومن أكثرهم خبرة في شؤون التراث العربي الإسلامي وما يتصل به.

٧ - المجلة التونسية مجلة ناطقة باسم معهد قرطاج الذي أنشأه الاحتلال الفرنسي بتونس. تأسست سنة ١٨٩٤م، وكانت تسعى لدراسة المجتمع التونسي من جميع جوانبه: الدينية، والثقافية، والاجتماعية.

٨ - مجلة أصدرتها الجمعية التاريخية الجزائرية التي أسسها المستشرقون الفرنسيون خلال الاحتلال الفرنسي للجزائر، صدر أول عدد منها سنة ١٨٥٦، وأخر عدد سنة ١٩٦٢م.

٩ - ليفي بروفنسال (١٨٩٤-١٩٥٦م)، المستشرق الفرنسي المشهور والمتخصص في تاريخ الأندرس. ينظر عنه: موسوعة المستشرقين ٥٢٠. ٥٢٢

١٠ - زين الدين عبد الباسط بن أبي الصفا، غرس الدين خليل بن شاهين الملطي الظاهري الحنفي، قام برحلة إلى بلاد المغرب والأندلس (من سنة ٨٦٦ حتى ٨٧١ هـ / ١٤٦٥ حتى ١٤٦٧ م).

١١ - أدورن أو أدورنو أنسالم : Anselme Adorno : من أثرياء مدينة بريج البلجيكية، قام برحلة قادته إلى القدس (١٤٧٠-١٤٧١م)، زار خلالها تونس والقاهرة ودمشق وبلاط الشام.

ومشاركات في ندوات، وجمعها تلميذه عبد المجيد تركي [٤١ مقالة].

٤- دراسات حول الإسلامي الكلاسيكي وإفريقيا الشمالية،^(٥٨) وهو عبارة عن كتاب يضم مقالات نشرها برنشفيج في مناسبات مختلفة، جمعت بعد وفاته في هذا الكتاب.

٤. مقالات في دائرة المعارف الإسلامية:

نشر روبيير برنشفيج مجموعة من المقالات في دائرة المعارف الإسلامية التي ينشرها المستشرقون. من مقالاته: تونس، تونس (العاصمة)، البراءة، عبد، عقبة، بعل، براءة، بينة.^(٥٩)

الحواشي

١ - حول روبيير برنشفيج ينظر:

- عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين ٩٢-٩٦ . ٣١٦-٣١٥/١ - نجيب العقيقي، المستشرقون

- Abdel-Magid Turki, Robert Brunschwig (1901-1990), *Studia Islamica*, No. 71 (1990), pp. 2-10.

- Dictionnaire des orientalistes de langue française de François, éd . François Pouillon, 156-157.

- Encyclopaedia Judaica 4/1420.

٢ - مقدمة ترجمة: تاريخ إفريقيبة في العهد الحفصي ٥.

٣ - من خلال مجلة " دراسات إسلامية" التي أسسها برنشفيج سنة ١٩٥٣م، فقد كتب فيها ثمانية عشرة مقالة، كلها في مجال الفقه وأصوله بإشتثناء واحدة خاصة بتاريخ تونس.

أما كتاب " دراسات إسلامية"، الذي نشرت فيه أهم مقالات برنشفيج بعد وفاته، فقد توزرعت المقالات فيه باعتبار الموضوعات المطروفة فيه كما يلي: الفقه والأصول ١٩ مقالة، الإسلام (بصفة عامة)

بجامعة الجزائر. وفي سنة ١٩٥٨ م أصبح رئيساً للأكاديمية الدولية للفانون المقارن بلاهاري. من أهم مؤلفاته: **مجموع الأحكام الشريفية** (٣ مجلدات)، وهو عبارة عن الأحكام التي أصدرها مجلس العلماء بالمغرب (١٩٢٠-١٩٢٤ م)، والمدخل إلى دراسة الفقه الإسلامي، الذي لا يزال إلى اليوم فريداً في بابه. توفي ميليو سنة ١٩٦١ م.

<http://lodel.ehess.fr/dictionnairedesorientalistes/document.php?id=168>

١٨ - ليون برشي Léon Bercher ضابط مترجم، ومدير للدراسات في معهد الدراسات العليا بتونس. من أعماله ترجمة "الرسالة" لابن أبي زيد القيرواني، و"العاصمية" لابن عاصم المالكي، وكتاب "آداب النكاح" من إحياء علوم الدين للغزاوي، و"طوق الحمامنة" لابن حزم. توفي سنة ١٩٥٥ . موسوعة المستشرقين ٩١.

١٩ - جورج هنري بوسكي BOUSQUET Georges (١٩٧٨-١٩٠٠) ، مستشرق فرنسي متخصص في الفقه الإسلامي. من مؤلفاته: "موجز الفقه الإسلامي"، ألهه سنة ١٩٣٥ و"الأخلاق في الإسلام وأخلاقيات الحياة الجنسية"، أصدره سنة ١٩٥٣ .

<http://dictionnairedesorientalistes.ehess.fr/document.php?id=122>

٢٠ - انظر مقالتنا في هذه السلسلة: المستشرق هنري لاوست وأعماله، مجلة آفاق الثقافة والترااث، العدد ٨٢، صص. ١٦٠-١٧٠، شعبان ١٤٣٤ هـ/ يونيو ٢٠١٣ م

٢١ - لويس ماسينيون Louis Massignon (١٨٨٣-١٩٦٢) من أكبر مستشرقي فرنسا وأشهرهم، تعلم العربية والتركية والفارسية والألمانية والإنجليزية، وعني بالآثار الإسلامية في بداية نشاطه العلمي، كما اهتم بالنظم الاجتماعية في الإسلام، وبالدراسات الفلسفية والعلمية. واستهواه دراسة المذاهب الهامشية والحركات السرية كالقرامطة والنصيرية والإسماعيلية. درس في الجامعة المصرية ١٩١٣ م، وخدم في الجيش

12 - Deux récits de voyage inédits en Afrique du Nord au XVe siècle: Abdalbāsit B. khalil et Adorne ; [éd. et trad. par] Robert Brunschwig, Paris, Larose, 1936 .

وأعيد نشر هذا العمل سنة ٢٠٠١ م بباريس. أما رحلة أدرونو فأعيد نشرها سنة ١٩٧٨ م بباريس:

Jacques Heers et Georgette deGroer, Itinéraire d'Anselme Adorno en Terre Sainte (1470-1471) Sources d'histoire médiévale publiées par l'Institut de recherche et d'histoire de textes, Editions du CNRS, Paris, 1978.

١٣ - بلاد البربر الشرقية: هو المصطلح الذي استعمله بعض المستشرقين الفرنسيين (أفرد بيل وغيره) لتسمية تونس في مقابل عروبتها. موسوعة المستشرقين ٩٣ .

١٤ - وهي التي نشرت بعنوان: تاريخ إفريقيا في العهد الحفصي.

١٥ - موسوعة المستشرقين ٩٣ .

١٦ - أي ما يطلق عليه الغربيون من خلال روئيتهم المتمرزة حول ذاتهم: "الحرب العالمية".

١٧ - ألكسندر لويس ميليو MILLIOT Louis Alexandre مستشرق فرنسي، أستاذ الفقه الإسلامي بجامعة الجزائر ومدير شؤون "السكان الأصليين" خلال الاحتلال الفرنسي للجزائر. حصل على الإجازة في القانون بالجزائر سنة ١٩٠٥ م، وتبع دراسته بباريس فحصل على الدكتوراه سنة ١٩١٩ م بموضوع: دراسة لوضعية المرأة المسلمة ببلاد المغرب. وبعدها بسنة ناقش أطروحة أخرى في موضوع: الجمعيات الفلاحية عند مسلمي بلاد المغرب. وفي سنة ١٩١٤ م انضم إلى جحافل قواة الاحتلال بالجزائر، ثم عينه الجنرال ليوطني - الحاكم العسكري بال المغرب - نائب مدير الشؤون المدنية ومحاضراً في المدرسة العليا للغة العربية واللهجات البربرية. انتقل ميليو سنة ١٩٢٤ م إلى الجزائر؛ حيث أصبح أستاذ كرسي الشؤون المدنية، وأستاذ التشريع الجزائري والتونسي والمغربي

- و"أحكام الفصول في أحكام الأصول" للباجي، وكتاب "شرح اللمع" للشيرازي.
- ٣٠ - ماري برنان (١٩٢٣-١٩٩٣)، باحثة فرنسية من أصل مصرى قبطى، عملت باحثة بالمركز الوطنى للبحث العلمي، لها مقالات متعددة في أصول الفقه. من مؤلفاتها: "إجماع الأمة أصل من أصول التشريع الإسلامي عند أبي الحسين البصري"، و"مشكلة المعرفة من خلال المغني للفاقد عبد الجبار". حفقت كتاب "المغني" (في علم الكلام) للإمام المتولى، و"معرفة الحجج الشرعية" (في أصول الفقه) لأبي اليسير البزدوى. ومن مقالاتها: دليل الخطاب، والبيان عند الأصوليين. وسنفرد لها مقالة خاصة بها في إطار مشروعنا هذا حول المستشرقين المعاصرين.
- ٣١ - "دراسات إسلامية", مجلة فرنسية استشرافية تصدر في باريس بدعم وتمويل من المركز الوطنى للبحث العلمي الفرنسي، وتنشرها دار النشر "لاروز Larose". ظهر العدد الأول من هذه المجلة سنة ١٩٥٣م، ثم توالت الإصدارات بعد ذلك؛ حيث يتم إصدار عددين كل سنة.
- ٣٢ - يوسف شاخت Josef Schacht (١٩٠٢-١٩٦٩م) مستشرق ألماني، من أهم المستشرقين في القرن العشرين تأثيراً على الدراسات الاستشرافية وبخاصة في مجال الفقه. ولد في ١٥ مارس ١٩٠٢م، درس اللغات الشرقية في جامعة برسلو وليبيتسك، انتدب للعمل في الجامعة المصرية عام ١٩٣٤م لتدريس مادة فقه اللغة العربية واللغة السريانية. شارك في هيئة تحرير دائرة المعارف الإسلامية في طبعتها الثانية. عرف شاخت باهتمامه بالفقه الإسلامي ولكنه صاحب إنتاج في مجال المخطوطات وفي علم الكلام وفي تاريخ العلوم والفلسفة، كما حق كثيراً من نصوص الفقه الحنفي. موسوعة المستشرقين ٣٦٦-٣٦٨.
- ٣٣ - هاملتون جيب Hamilton Gibb (١٨٩٥-١٩٧١م)، مستشرق إنجليزي، ولد في الإسكندرية، ثم انتقل إلى اسكتلندا، حيث التحق بجامعة أدنبرة

- الفرنسي خمس سنوات خلال الحرب العالمية الأولى. استهواه التصوف الإسلامي فدرس "الحلاج دراسة مستفيضة" ونشر "ديوان الحلاج" مع ترجمته إلى الفرنسية وكذلك "مصطلحات الصوفية" و"أخبار الحلاج" و"الطوسيين"، كما كتب عن ابن سبعين الصوفي الأندلسي. تولى لويس تحرير "مجلة الدراسات الإسلامية" وأصدر بالفرنسية " חולيات العالم الإسلامي" حتى عام ١٩٥٤م. موسوعة المستشرقين ٥٢٩-٥٣٥.
- ٢٢ - القرون الوسطى، مصطلح غربي، ويستعمله للأسف الكبير من الباحثين العرب للتاريخ لأهم فترات تاريخ وحضارة الإسلام، وهو يعكس التقسيم الغربي لتاريخ البشرية القائم على اعتبار الغرب هو مركز البشرية تاريخاً وحضارة وجوداً. والقرون الوسطى عند الغربيين هي قرون الجهل والظلم والتخلف، وتبدأ من القرن ٥م وتنتهي بسقوط استانبول في يد المسلمين في القرن ١٥م.
- ٢٣ - Demeerseman André, Un maître de pensée et son disciple dans "Etudes d'islamologie", IBLA, 1978, 36, Etudes d'Islamologie 2/200.
- ٢٤ - Valeur et fondement du raisonnement juridique par analogie d'après Al-Ğazālī, Studia Islamica, No. 34 , p. 57.
- ٢٥ - المرجع السابق ٨٨.
- ٢٦ - من الأساطير المؤسسة للفكر الاستشرافي القديم هو أن الإسلام أو الفقه الإسلامي ليس سوى نسخة من أحكام التوراة.
- ٢٧ - Un maître de pensée et son disciple 45.
- أما قليل المعرفة بالإسلام وتراثه، وأصحاب الجهل المركب فيذهبون مذهبًا مغايرًا، فهذا أركون يقول: أقول ذلك وأنا أفك في اختزال القرآن إلى مجرد المصادر التوراتية والعبرانية. الفكر الأصولي واستحالة التأصيل ٥٣.
- ٢٨ - موسوعة المستشرقين ٩٦.
- ٢٩ - باحث فرنسي من أصل تونسي، اشتغل طيلة حياته العلمية باحثاً في المركز الوطنى للبحث العلمي. من أعماله ، إضافة إلى مقالاته حول أصول الفقه، تحقيق كتاب "المنهاج في ترتيب الحاج"،

كاليفورنيا واستمر في هذا المنصب حتى وفاته في فبراير ١٩٧٢ م. من أهم أعماله : " الإسلام في العصر الوسيط "، وكتاب " مدى الواقع في الشعر العربي الأول "، وهو رسالته للدكتوراه. موسوعة المستشرقين ١٨٣-١٨٢ .

٣٦ - أبراهم إيدوفيتش Abraham Udovitch مستشرق بريطاني من أصول يهودية، ولد في بريطانيا. درس في جامعة كولومبيا و بيل. وعمل أستاذًا مساعدًا في قسم دراسات الشرق الأدنى بجامعة "برنستون" (١٩٦٢-١٩٧٠ م)، وتولى رئاسة القسم في الفترة من (١٩٧٧-١٩٧٣ م)، وكذلك في الفترة من ١٩٨٠ إلى ١٩٩٤/١٩٩٣ م. وهو عضو مجلس أمناء معهد البحوث الأمريكي في تركيا منذ عام ١٩٦٩ م. عمل رئيساً للجنة الدراسات الإسلامية في الجمعية الاستشرافية الأمريكية، محرر مشارك في مجلة الدراسات الإسلامية، يهتم بدراسة الحياة الاجتماعية والاقتصادية في التاريخ الإسلامي.

من مؤلفاته: "الشراكة وربح في إسلام العصر الوسيط"، ألف صحبة زوجته الفرنسية ليست فالنسي Lucette Valensi كتاب "آخر اليهود العرب: مجتمعات جربة".

http://www.princeton.edu/nes/people/display_person.xml?netid=alud&display>All

٣٧ - جورجيو ليفي دلا فيدا Giorgio Levi Della Vida (١٨٨٦-١٩٦٧ م) أهم مستشرق إيطالي خلال القرن الماضي. ينظر حوله: موسوعة المستشرقين ٢٤٩-٢٤٦ .

٣٨ - موسوعة المستشرقين ٩٦ .

39 - <http://www.universalis-edu.com/encyclop die/robert-brunschvig/>

٤٠ - اعتمدنا في هذا المسرد على ما يأتي:-

- مجلة " دراسات إسلامية " Studia Islamica التي نشر فيها برنشفيج كثيراً من مقالاته.

- لائحة مقالات برنشفيج التي نشرها تلميذه عبد المجيد تركي في مقدمة كتاب: " دراسات إسلامية " Etudes d' Islamologie

لدراسة اللغات السامية. عمل محاضرًا في مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن عام ١٩٢١ م، وترج في المناصب الأكademie حتى أصبح أستاذًا للغة العربية عام ١٩٣٧ م وانتخب لشغل منصب كرسى اللغة العربية بجامعة أكسفورد. انتقل جيب إلى الولايات المتحدة الأمريكية ليعمل مديرًا لمركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة هارفارد سنة ١٩٥٧ م بعد أن عمل أستاذًا للغة العربية في الجامعة. من أبرز إنتاج جب () الفتوحات الإسلامية في آسيا الوسطى (١٩٣٣ م) وكتاب (الاتجاهات الحديثة في الإسلام). موسوعة المستشرقين ١٧٥-١٧٤ .

٣٤ - مونتجميри وات Montgomery Watt (١٩٠٩-٢٠٠٦ م)، مستشرق إنجليزي، ولد بإسكتلندا وتوفي بها. درس في كل من كلية جورج واتسون بابنبرة وجامعة أدينبره ١٩٣٠-١٩٢٧ م وكلية باليول بأكسفورد ١٩٣٣-١٩٣٠ م وجامعة جينا بألمانيا ١٩٣٣ وجامعة أكسفورد. وجامعة أدينبرة في الفترة من ١٩٣٨-١٩٣٩ و ١٩٤٣-١٩٤٠ م على التوالي. عمل راعيًّا لعدة كنائس في لندن وفي أدينبره، كما عمل رئيسًا لقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بجامعة أدينبره في الفترة من ١٩٤٧-١٩٧٩ م. أصدر العديد من المؤلفات من أشهرها: "محمد في مكة" و "محمد في المدينة" و "محمدنبي ورجل دولة" و "الفلسفة الإسلامية والعقيدة" و "الفكر السياسي الإسلامي" و "تأثير الإسلام في أوروبا القرون الوسطى". المستشرقون ١٣٢/٢ ، والاستشراق في السيرة النبوية للنعمي ٩ .

٣٥ - جرونباووم Gustave E Von Grunebaum (١٩٠٩-١٩٧٢ م): مستشرق نمساوي، ولد في فيينا ١٩٠٩ م، وتعلم في مدارسها وفي جامعتها، ثم في جامعة برلين . ولما قامت ألمانيا بضم النمسا هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، لأنه من أسرة يهودية وإن كان قد اعتنق الكاثوليكية وحصل على الجنسية الأمريكية وصار أستاذًا في جامعة نيويورك، وفي جامعة شيكاغو ثم صار أستاذًا ورئيسًا لقسم الدراسات الشرقية في جامعة

أينبَرَه، وفي مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بلندن، ثم اشتغل بالتدريس فيها. ونال درجة الدكتوراه ببحثٍ عن الفتوحات العربية في آسيا الوسطى، ثم عمل أستاذًا للغة العربية بجامعة أكسفورد، ثم انتقل إلى جامعة هارفارد في الولايات المتحدة. اختير عضواً بمجمع اللغة العربية سنة ١٩٣٣م. من مؤلفاته: "دراسات في الأدب العربي"، و"وجهة الإسلام"، و"اتجاهات حديثة في الإسلام". موسوعة المستشرقين ١٧٤-١٧٥.

٤٧ - مجلة أribika Arabica، مجلة استشرافية فرنسية، أسسها ليفي برونفال سنه ١٩٥٣م، وتهتم بنشر البحوث والدراسات حول الإسلام وحضارته في مختلف المجالات: الأدب، والتاريخ، والفلسفة، والعلوم الشرعية، وغيرها.

٤٨ - أرمن آبل Armand Abel (١٩٠٣-١٩٧٣م)، مستشرق بلجيكي، يعد من أهم المستشرقين البلجيكيين. ينظر حوله: موسوعة المستشرقين ١٢-١٣.

٤٩ - مياس فايكرورزا Millás vallicrosa : مستشرق إسباني (١٨٩٧-١٩٧٠م)، له أبحاث في الدراسات العبرية والإسلامية. نشر عدداً من النصوص حول الزراعة لمؤلفين أندلسيين. المستشرقون ٢٠٨ / ٢-٢٠٩.

٥٠ - أعاد نشر هذه المقالة ضمن الأعمال المهداة إلى ذاكرة جولدزير، القدس المحتلة، ١٩٥٨، ٢/١٣-١٤.

٥١ - المقالة الافتتاحية للعد الأول من مجلة " دراسات إسلامية".

٥٢ - الأب جورج شحاته قنواتي Anawati (١٩٠٥-١٩٩٤م)، عالم وراهب دومينيكي. ولد بالإسكندرية، وأصبح راهباً سنة ١٩٣٤م، وانضم إلى الآباء الدومينيكان؛ حيث ترأس معهد الآباء الدومينيكان، بالقاهرة (١٩٥٣-١٩٨٤م). من أهم مؤلفاته: "دراسات في الفلسفة الإسلامية"، و"بليوجرافيا ابن سينا".

Dictionnaire des orientalistes , pp.18-19.

٥٣ - لويس غاردي Louis Gardet (١٩٠٤-١٩٨٦م)،

مقالات برنسفيج المنشورة.

- كما اعتمدنا كذلك على المجلات الأخرى التي نشر فيها بعض مقالاته، وعلى مشاركاته في الندوات والأعمال الاستشرافية الجماعية.

٤١ - ابن الشماع أو أبو عبد الله محمد بن أبي العباس أحمد بن محمد الهناتي، كان قاضياً في عهد السلطان الحفصي أبي عمرو عثمان، ألف كتاب "الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية" عام ٨٦١هـ.

٤٢ - غودفري ديمومبين Gaudefroy-Demombynes (١٨٦٢-١٩٥٧م)، مستشرق فرنسي، درس اللغة العربية بمدرسة اللغات الشرقية، ثم أصبح أستاذًا بجامعة السوربون، ثم عُين في سنة ١٩٢٧م مديرًا لقسم الدراسات الإسلامية بالمدرسة التطبيقية للدراسات العليا. من أهم مؤلفاته: كتاب "النظم الإسلامية"، و"الزواج عند الجزائريين"، وترجم رحلة ابن جبير، وكتاب "محمد". موسوعة المستشرقين ٢٧١-٢٧٢.

٤٣ - فزان: بفتح أوله وتشديد ثانية وآخره نون، منطقة تاريخية في الجنوب الغربي من ليبيا حالياً. قال عنها ياقوت: ولاية واسعة بين الفيوم وطرابلس الغرب. معجم البلدان ٤/٢٦٠.

٤٤ - حاول المؤلف في هذه المقالة أن يدرس معجم القرآن عن طريق العكس؛ أي البحث عن غير المذكور في القرآن.

٤٥ - تتبّه: حين نقول "دراسات إسلامية ، فمعنى بها مجلة " Studia Islamica ، المجلة التي أسسها برنسفيج.

أما حينما نقول "مجلة دراسات إسلامية" ، فمعنى بها مجلة "islamiques Revue des Etudes" التي أنشأها لويس ماسينيون سنة ١٩٢٧م (صدر العدد الأول)، ثم ترأسها بعده هنري لاوست، وبعد وفاته ترأسها دومنيك سورديل. توقفت عن الصدور سنة ١٩٩٤م.

٤٦ - هملتون جب Hamilton Gibb (١٨٩٥-١٩٧١م)، مستشرق إنجليزي، ولد بالإسكندرية، وتخرج في

المصادر والمراجع

- ١- تاريخ أفريقية في العهد الحفصي من القرن ١٣ إلى نهاية القرن ١٥م، روبير برشفيج، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط ١، ١٩٨٨م.
- ٢- المستشرقون، نجيب العقيقي، القاهرة، دار المعارف، ط ٥، ٢٠٠٦م.
- ٣- موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، بيروت، المؤسسة العربية للنشر، ط ٤، ٢٠٠٣م.
- ٤- Brunchvig Robert , Etudes d'Islamologie, éd. A.TURKI, Maisonneuve, Paris, 1976.
- ٥- Dictionnaire des orientalistes de langue française de François, éd. François Pouillon, Paris, IISMM-Karthala, 2008, 1007 p.
- ٦- Demeerseman André, Un maître de pensée et son disciple dans " Etudes d'islamologie", IBLA, 1978, 33-58.
- ٧- Encyclopaedia Judaica, Keter Publishing House Ltd;1971.n° 141, 1978-1.

مستشرق فرنسي مسيحي. من مؤلفاته: " حول الفكر الديني لابن سينا"، و" رجال الإسلام" ، و"نظارات مسيحية حول الإسلام".

- Dictionnaire des orientalistes, pp.421-423.
- ٤- حول المستشرق الفرنسي جورج فايدا ينظر مقالتنا:
- المستشرق الفرنسي جورج فايدا وآثاره حول التراث الإسلامي، ضمن كتاب " في المخطوطات والتراث : دراسات مهداة إلى الأستاذ الدكتور عبد السنار الحلوji بمناسبة بلوغه سن السبعين " ، ط ١، القاهرة، مكتبة البخاري ، ٢٠٠٨/١٤٢٩ ، صص. ٣٦٠-٣٤٣.
 - أعمال المستشرق جورج فايدا حول التراث الإسلامي، مجلة آفاق الثقافة والتراجم {الإمارات العربية المتحدة } ، صص ٣٧-٥٠ ، س ١٩ ، ع ٧٤ ، رجب ١٤٣٢ هـ / يونيو ٢٠١١ م.
- ٥٥- نشر الجزء الأول سنة ١٩٤٠، والجزء الثاني سنة ١٩٤٧، أي بعد انتهاء الحرب الغربية الثانية.
- ٥٦- أعيد نشر هذا الكتاب بباريس سنة ٢٠٠١م.
- ٥٧- Etudes d'Islamologie.
- ٥٨- Etudes sur l'Islam classique et l'Afrique du Nord.
- ٥٩- للباحثين : من أجل التواصل العلمي، بريدي الإلكتروني: ajahdani@yahoo.fr

دراسة استخدام حسن العطار لأبيات الشعرية في مخطوطه راحة الأبدان في نزهة الأذهان

د. أيمن ياسين عطع
إسطنبول - تركيا

دراسة
استخدام
حسن العطار
لأبيات
الشعرية
في مخطوطة
راحة الأبدان
في نزهة
الأذهان

يعد الشعر العربي واحداً من مزايا اللغة العربية العديدة؛ حيث برع العرب بكتابه الشعر منذ عصر الجاهلية وعبر عصر النهضة العربية وصولاً إلى عصرنا الحالي، وقد كان عدد من الأطباء العرب مطلعين على الأدب العربي بل إن بعضهم كان يتميز بكتاباته الشعرية؛ حيث احتوت بعضاً من الكتب الطبية على عدد من الأبيات الشعرية وإن اختلفت موضوعاتها، ولكنها كانت صفةً لبعض تلك الكتب. ويعد حسن العطار (١١٨٠ - ١٧٦٦ هـ / ١٨٣٥ م) واحداً من أعلام الحضارة العربية الذين تميزوا بالطب والأدب العربي في آن واحد.

أن بعض هذه الأبيات كانت من تأليف العطار نفسه، والبعض الآخر عبارة عن مقتطفات من قصائد لبعض الشعراء العرب الآخرين، ومن ثم سندرس الموضوعات التي تناولتها تلك الأبيات الشعرية، وفتراتها التاريخية، وتوثيق العطار لفائيلها.

الكلمات المفتاحية: حسن العطار، مخطوطة راحة الأبدان في نزهة الأذهان (شرح النزهة)، الأبيات الشعرية في المخطوطات الطبية العربية.

غادر الشيخ حسن العطار القاهرة فاقداً إسطنبول لدراسة الطب فيها، وبعد عودته من إسطنبول إلى دمشق قام بتأليف مخطوطة راحة الأبدان في نزهة الأذهان، وتعرف أيضاً بشرح النزهة؛ حيث تميزت مقدمة العطار لهذه المخطوطة باحتواها على كمٍ وفيرٍ من الأبيات الشعرية لعدد من الشعراء ومن فترات تاريخية مختلفة.

الهدف من البحث: تهدف هذه المقالة إلى سرد الأبيات الشعرية الواردة في مخطوطة راحة الأبدان في نزهة الأذهان؛ حيث يمكن ملاحظة

البحث



١- حسن العطار

(١١٨٠-١٢٥٠ هـ / ١٧٦٦-١٨٣٥ م)^(١): شيخ مصرى من

مشاهير نهايات القرن الثامن

عشر وبدايات القرن التاسع عشر الميلادى، وهو حسن بن محمد العطار الشافعى الأزهري المغربي المصرى أبو السعادات، عالم وأديب وشاعر مشارك في الأصول والنحو والمعانى والبيان والمنطق والطب والفلك والهندسة، كان أهله من المغرب فانتقلوا إلى مصر وولد في القاهرة ، وكان أبوه عطارة، أنس منه رغبة في العلم فساعدته على تحصيلها فأخذ عن كبار أساتذة الأزهر كالشيخ الأمير والشيخ الصبان^(٢).

سافر إلى إسطنبول عام ١٢١٧ هـ / ١٨٠٢ م، حيث تعلم الطب في مدرسة حضرة حكيم باشا، ثم استقر في دمشق عام ١٢٢٥ هـ / ١٨١٠ م، حيث ألف مخطوطة راحة الأبدان في نُزَّهَة الأذهان، ومن ثم عاد إلى القاهرة، وفي عام ١٢٤٦ هـ / ١٨٣٠ م عين شيخاً للأزهر، وهي أعلى مرتبة علمية في الجامعة، توفي عام ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٥ م، وكان قد تولى إنشاء جريدة الواقع المصرية في بدء صدورها، وكان يحسن عمل المزاول الليلية والنهارية، وله رسالة في كيفية العمل بالاسطرباب والربعين المقطر والمجيب والبساط، وكتاب في الإنشاء والمراسلات^(٣).

٢- مؤلفاته: بالإضافة لمخطوطة راحة الأبدان في نُزَّهَة الأذهان، يمتلك حسن العطار العديد من المؤلفات في عدد من العلوم الطبية

والفقهية والنحوية ويمكن تقسيم تلك الكتب وفق الشكل الآتى:

١-٢- مؤلفات معروفة التاريخ والمكان^(٤):
أذكر بعضًا منها وهى:

١- حاشية العطار على شرح رسالة الولادية لمحمد المرعشى، كتبها عام ١٧٩٥ م، مكتبة الأزهر بالقاهرة ٣٦٤٨٤.

٢- حاشية العطار على السمرقندية في علم البيان، كتبها عام ١٧٩٨ م، دار الكتب بالقاهرة H5255.

٣- قلائد الدرر في المقالات العشر، كتبها عام ١٨٠٤ م، دار الكتب بالقاهرة ٣٤٠ الحكمة والفلسفة.

٤- منظومة العطار في علم التشريح، كتبها عام ١٨٠٨ م، مكتبة الأزهر بالقاهرة ٥٠٨ أباظة.

٥- رسالة العطار في علم الكلام، كتبها عام ١٨١٣ م، دار الكتب بالقاهرة B25816، جامعة الأزهر بالقاهرة ٢٢٩٨٥.

٦- حاشية العطار على شرح عصام على الرسالة العضدية، كتبها بين عامي ١٨١٤-١٨١٥ م، جامع الأحمدى بطنطا ٨.

٧- تفسير مقالات أرسسطو لأبي فرج عبد الله ابن الطيب، كتبها عام ١٨٢٧ م، دار الكتب بالقاهرة M-1 فلسفة.

٢-٣- مؤلفات مجدهولة التاريخ معروفة المكان^(٥):

١- حاشية العطار على لاميات الأفعال لابن

في مدينة دمشق، وهي محفوظة في مكتبة الأزهر بالقاهرة في الرواق المغربي تحت رقم (٣٤٣٤)، وهي عبارة عن ٢٥١ لقطة، كل لقطة تتضمن صفحتين، يوجد في كل صفحة اثنان وعشرون سطراً، تتراوح عدد الكلمات في السطر الواحد بين ١٢-١١ كلمة، مكتوبة بخط اليد بشكل واضح، تتميز بوجود التعقيبة بين الصفحات، كما تحتوي بعض الصفحات على حواشٍ موضوعة من قبل حسن العطار، وهي عبارة عن نوعين؛ الأول نقص من متن المخطوطة نفسها، وبين العطار ذلك بإضافة كلمة منه بعد نهاية الحاشية. النوع الثاني تفسير من العطار لمعاني بعض الكلمات الواردة في المخطوطة.

بالنسبة للغلاف الخارجي للمخطوطة يوجد توقيع من شخص يدعى محمد التهامي يذكر بأنها كتبت بيد العطار نفسه، وأن التهامي قد وجدها بحالة كاملة دون نقص فيها ويوجد على الغلاف مجموعة أرقام هي: ٩٨٥٧٤، ٨٥، كلمة طب؛ حيث يبدو أنه رقم التصنيف القديم للمخطوطة في مكتبة الأزهر بالقاهرة. وفي نهاية الغلاف الخارجي يوجد ملاحظة تقول: (إن هذا الكتاب هو وقف من قبل العطار لطلبة العلم في جامعة الأزهر).

١-٣ - بداية المخطوطة: تبدأ كما هي عادة المؤلفين العرب بالبسملة وحمد الله على نعمه وفضائله الكثيرة، ثم ينتقل العطار بالحديث عن علم الطب وفضله على باقي العلوم ومن ثم يذكر بعضاً من سيرة حياته منذ اضطر لmigration القاهرة، وظهر جلياً تأثره بالغربة وابتعاده عن الأحبة. فيقول العطار فيها:

- مالك، مكتبة الأزهر بالقاهرة ٨٧٥٦.
- ٢- رسالة في البسمة والحمدلة، دار الكتب بالقاهرة ٣٥٣ تفسير تيمور.
- ٣- رسالة في تحقيق الخلافة الإسلامية ومناقب الخلافة العثمانية، دار الكتب بالقاهرة ٣٨٠ مكتبة زكية.

٤-٢- مؤلفات مفقودة^(١):

- ١- حاشية العطار على تعريب الرسالة الفارسية في البيان لعاصم الدين الإسفرايني المسمى برسالة عاصم الدين.
- ٢- حاشية العطار على متن النخبة في أصول الحديث.
- ٣- حاشية العطار على شرح الشريف الحسيني على هداية الحكم لأثير الدين الأبهري.
- ٤- حواشي العطار على شرح المنظومة الطبية لبرق الحضرمي.
- ٥- جواب العطار عن سؤال جاء عليه من الشيخ الفضالي.
- ٦- نبذة في علم الجراحة لتعريف القطع والخط.

٤-٤- مؤلفات مترجمة^(٢):

- ١- منظومة في علم النحو، ترجمت لفرنسية عام ١٨٩٨ م بالجزائر.
- ٢- مقامة في دخول الفرنساوين للديار المصرية، ترجمت الإنكليزية عام ١٩٩٨ م، من قبل بيتر غراند بإسبانيا.
- ٣- مخطوطة راحة الأبدان في نُزْهَةِ الأذهان: كتب حسن العطار هذه المخطوطة عندما كان

انتقالٍ من مصر نحو الديار الحجازية، فمن أعجب الإنفاقات التي تيمّنت بها من هذا الشرح أنّ بعد إتمام تسوييده يسرّ الله في الوصول للوطن وبعد تمام تببيره بلغني الله سبحانه الحج إن شاء الله وزيارة قبر رسوله النبي المؤمن صلّى الله وسلام عليه وعلى آله وأصحابه سلاماً كثيراً والحمد لله رب العالمين كتبه مؤلفه الفقير حسن ابن محمد الشهير بالعطّار المصري الأزهري عفي عنه تمت^(٩).

٤- الأبيات الشعرية الواردة في المخطوطة:

يمكن تقسيم هذه الأبيات الشعرية إلى مجموعتين رئيسيتين تبعاً للمؤلف وفق الشكل الآتي:

٤-١- الأبيات الشعرية التي من تأليف حسن العطار:

بما أنّ حسن العطار كان لديه ديوان شعر، ويعرف عنه أنه كان من الشعراء في عصره، فإنه لم يغب عنه وهو يؤلف مخطوطته الطيبة أن يستشهد ببعض الأبيات الشعرية التي كتبها، وذلك بما يوافق سرد الأفكار في المخطوطة، وهذه المقاطع الشعرية كانت وفق الآتي:

٤-١-١- في هذه الأبيات الآتية يشتكى العطار مما وصلت إليه سوء حاله بعد خروجه من مصر مغترباً، ويندب فيها الأيام الماضية التي قضتها في القاهرة فيقول: وبقصيدة لي ضمنتها شكوى حالٍ وذنبٍ فيها الأعصر الخوالي:

عَنْ مَضَرَّاتِ الْحُسْنِ سَارَ رُكَابِي
وَتَرَكْتُ أَوْطَانِي بِهَا وَصَاحَابِي

((حمدًا لمن عدل مزاج الإنسان، وجعل راحة الأبدان في نزهة الأذهان وصلةً وسلامًا على أصل جميع المخلوقات ومعدن سائر الكمالات سيدنا محمد المبعوث لتعميم مكارم الأخلاق وشمس هداية الآفاق وعلى آله وأصحابه، خلاصة النوع الإنساني الذي هو أشرف الأنواع ونجوم سماء الفضل المشرق نورها على الأتباع صلةً وسلامًا دائمين متلازمين لا يغريهما نقص ولا انقطاع).

أمّا بعد فيقول المفتقر لرحمة رب الغفار حسن ابن محمد العطار غفر الله ذنبه وستر عيوبه: إني لما استنشقت من رياض الرياضي نفحةً واستشرقت من بارق الطبيعي لمحّةً، تاقت نفسي بعد ذلك إلى أشرف هذه العلوم وأحقها بأعمال الفكر والفهم وهو علم الطّب^(٨).

٤-٢- خاتمة المخطوطة: يقول العطار أنه استغرق في كتابتها ثلاثة أشهر، وعندما رجع إلى القاهرة قرر القيام بتبييضها بشكل كامل، وقد انتهى من ذلك في تمام الساعة الرابعة من ليل السبت السادس من شوال عام ١٢٢٨ هجري الموافق للأول من شهر أكتوبر لعام ١٨١٣ ميلادي، فيقول العطار فيها:

((وبعد أن ختمتها تسوييده وببيضت بعضها منها توجهت لمصر فبقيت غير تامة التبييض فحين خالج قلبي التوجه للديار الحجازية شرعت في تتميمها مع غاية الاستعجال وعدم خلو البال فوافق الفراغ من كتب هذه النسخة الساعة الرابعة من ليلة السبت السادس من شهر شوال، وفي يوم الأحد السابع من الشهر المذكور عام ثمانية وعشرين بعد المائتين والألف يكون

العظام وبخاصة الأضلاع أورد الأبيات الآتية التي يذكر فيها عدد الفقرات والأضلاع الموجودة في جسم الإنسان، فيقول: وقلت أنا في منظومتي:

والصدر من سبع تسمى قصا^(١٥)

والظهر من سبع وعشرين يحصى
هي الفقار والضلع أربع
من بعد عشرين به تجتمع
وركب العصعص من فقرات
ثلاثة فأحفظه بالإثبات^(١٦)

٤-٣-١-٤. وعند حديث العطار عن مرض العشق؛ وهو مرض وسواسي يجلبه الإنسان إلى نفسه بتسليط فكره على استحسان بعض الصور والشمائل التي تكون للمعشوق، فيورد الأبيات الآتية:

أغار عليك من نظر العيون
ومن شوقي إليك ومن سجنوني
ومن كأس على شفتيك يجري
ومسواك لمبسمك المصنون
ولو أنا انتظمنا في وشاح
وصرنا حيث لا وضع لدون
و قالوا لي أتبغي غير هذا
لقلت: نعم. بعيد قربوني^(١٧)

٤-٤-١-٤. ويستمر العطار في حديثه عن مرض العشق وكيفية علاجه بإشغال النفس بالأشغال الشاغلة التي تنسي المحبوب، وكذلك المحاورات والحساب والعلوم الرياضية التي تحتاج لأعمال الفكر كالهندسة والنجوم؛ لأنّ

بلد بها عهد الصبا قضيته
اختال جذلنا يبرد شبابي
حيث الأماني سافرات أوجها
عنها أناط البشر كل نقاب
فسقا لك يا وطني الأعز سحابة
تروي ثراك ومعهد الأحباب
جردت عزمي في التغرب قاطعا
صعب الفيافي^(١٨) مجده الركابي
لا تستقر ببلدة إلا وقد
خلت لآخرى عري أطنابي
ومعنى لي في اعتساف^(١٩) البيد لا
ينفك يرمي بيهم خطاب
مني يرجم^(٢٠) فلول عزمي إنما
رام المحال ولم يشر بصواب
لي همة تأبى الخمول ولا ترى
إلا علو مراتب الأنجاب
وعزيمة في الفعل مهما جردت
كانت له أمضى من القرضاب^(٢١)
كل الذي لاقت هان إذا انجلت
لي أوجه المأمول عند طلابي
أرجو وأمل أن أحوز غنيمة
وأعود مسرورا بحسن مآب
وإذا قضى الله حالا عن المنى
ما حيلتي وقضاؤه غلابي^(٢٤)
٤-٢-١-٤. وعند حديث العطار عن تshireخ

وَإِنْ ذَكَرَ مِنْهُ وَجَنَّتْهُ أَشْرَقَتْ
 فَكَمْ بِلَثْمٍ مِنْ دَنْيَهُ خَشَمَتْ
 فَكَمْ بِفِرْطِ الْأَثْمِ قَدْ أَدْمَاهَ
 مُسْوَدَّ الْأَسْنَانِ نَتَنَ فَاهِ^(٢٠)
 وَامْتَرَجَتْ بِرِيقِ ذَاكَ الْأَبْخَرِ
 خَمْرَةُ هَذَا الْمَبْسَمِ الْمُعَطَّرِ^(٢١)

٤- الأبيات الشعرية التي أوردها العطار وهي ليست من تأليفه:

أورد العطار في مخطوطه راحة الأبدان في نزهة الأذهان العديد من الأبيات الشعرية لشعراء مختلفين، وقد تعددت الفترات الزمنية لقائلي تلك الأبيات، كما تتنوعت المواضيع التي احتوتها تلك الأبيات، وهذه الأبيات الشعرية وفق التسلسل التاريخي لقائليها كانت وفق الشكل الآتي:

٤-١- المتلمس الضبعي (توفي نحو ٥٠ قبل الهجرة/٥٦٩م) هو جرير بن عدي، شاعر جاهلي، من ربعة، من أهل البحرين، مات في البصرى بحوران بسوريا، وله ديوان شعري^(٢٢)، اقتبس العطار من أقواله من دون أن يشر لاسم المتلمس الضبعي، وذلك عند حديثه عن الأساطير التي دعته للسفر فيقول العطار: ولما تفاقمت الأمور وتکاثرت الشرور، ونادى لسان الحال يحث على الإرتحال:

وَلَا يُقِيمَ عَلَى خَسْفٍ يُرَادُ بِهِ
 إِلَّا الْأَذَلَانِ^(٢٣) عِيرُ^(٢٤) الْحَيِّ وَالْوَتَدُ
 هَذَا عَلَى الْخَسْفِ مَعْكُوسٌ بِرُمَّتِهِ
 وَذَا يُشَجِّعُ^(٢٥) فَلَا يَرْثِي لَهُ أَحَدُ^(٢٦)

٤-٢- عمر بن أبي ربيعة (٢٣-٩٣٥هـ/-٦٤٤)

في الاشتغال بهذه الأمور صرف الفكر عن المعشوق، فيقول العطار وكما أشرت إلى ذلك في بعض أراجيزي الأدبية بقولي:

أَوْ فَاصْطَبِرْ إِنْ كُنْتَ ذَا تَجْلِدٌ
 وَعَلَلِ النَّفَسِ بِجَدٌ وَدَدٌ^(٢٧)
 وَحَادِثِ الْإِخْوَانِ وَالْخِلَانِ
 وَخَالِطِ الْأَخْدَانِ وَالْأَقْرَانِ
 وَلَا تُطِلْ مَكْثَكَ عَنْهُمْ خَالِي
 يَصِبُّ بِالْفِكْرَةِ فِي نِكَالٍ^(٢٨)
 وَإِنْ يَكُنْ لَا بُدَّ مِنْ تَفَرُّدٍ
 قَصَدَ الْفِرَارَ مِنْ زَمَانِ مُعَنِّي
 فَاسْتَعْمِلِ الْفِكْرَةِ فِي الْجَلِيلِ
 وَأَشْغِلِ الْلِّسَانَ بِالْتَّهَلِيلِ
 فَإِنَّهُ مَطْرَدَةُ الشَّيْطَانِ
 وَمُذَهِّبُ الْأَشْجَانِ وَالْأَحْزَانِ
 أَوْ فِي كَلَامِ الْقَوْمِ أَمْعِنْ نَظَرَكَ
 تُبَصِّرَ مَا عَنِ الْغَرَامِ تَعْرُكَ
 أَوْ فِي مَسَائِلِ الْحِسَابِ طَالِعَ
 وَكُتُبِ الْحِكْمَةِ كَالمَطَالِعِ
 وَإِنْ تَكُونَ النَّفْسُ بِذَكَرِ كَلَتْ
 وَجَنَحَتْ بِطَبْعِهَا الْفِكْرَةِ
 فِي مَسَاوِيِّ قُبْحِهِ تَفَكَّرَ
 فَإِنَّهُ يَعْدُ مِنْ مُسْتَقْذِرٍ
 وَإِنَّهُ وَإِنْ يَكُنْ ذَا حُسْنِ
 أَوْ كَالْهِلَالِ بِهِجْتُهُ وَالْغُصَنِ

هو جرير بن عطية بن الخطفي التميمي، ولد باليمامة، عاش عمره يناضل شعراً زمانه وكانت بينه وبين الفرزدق والأخطل مهاجة ونقاء، توفي باليمامة، وله ديوان شعري من جزأين^(٣٢)، بعدما سافر العطار إلى إسطنبول، وكما علمنا قرر التوجه إلى أرض الشام، وعند حديثه حول توجهه إلى أرض الشام يقتبس بيّتاً لجرير من دون أن يورد ذكر اسمه فيقول: ثم عن لي التوجه إلى أرض الشام فبادرت بالنقلة متأسفاً على فراق هؤلاء القوم وعيش مضى بتلك الأيام:

ذُمُّ الْمَنَازِلِ بَعْدَ مَنْزِلَةِ الْلَّوَى^(٣٣)

وَالْعِيشَ بَعْدَ أُولَئِكَ الْأَيَامِ^(٤)

-٤-٢-٥ - أبو تمام (١٩٠-٢٣١ هـ): هو حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، شاعر وأديب ولد في حوران بسوريا، ونشأ بمصر فكان في حادثة يسقي الماء في المسجد الجامع، ثم جلس الأدباء وأخذ عنهم وتعلم منهم، ثم سافر إلى بغداد فجالس بها الأدباء وعاشر العلماء وتوفي بالموصى، من آثاره فحول الشعراء، ديوان الحماسة، ديوان شعر^(٣٥)، أورد العطار أبياتاً له عند حديثه عن متاع السفر من دون ذكر قائلها، فيقول العطار: ثم صرُّتْ أَعْلَى النُّفُسِ بِالْمُحَالَةِ وَأَنْشَدَهَا قُولُ الْقَائِلِ:

وَطُولُ مَقَامِ الْمَرِءِ فِي الْحَيِّ مُخْلِقٌ

لَدِيَّ بَاجِتِيهِ^(٣٦) فَاغْتَرَبَ تَجَدَّدَ

فَإِنِّي رَأَيْتُ الشَّمْسَ زَيَّدَ مَحَبَّةً

إِلَى النَّاسِ إِنْ لَيْسَ عَلَيْهِمْ بِسَرْمَدٍ^(٣٧)

-٤-٢-٦ - ابن الرومي (٢٢١-٢٨٣ هـ): هو علي بن العباس ابن جريح البغدادي،

٢١٢م): هو عمر بن عبد الله بن عمرو بن المغيرة القرشي، ولد في الليلة التي توفي بها عمر بن الخطاب فسمى باسمه، غزا في البحر فاحتربت السفينة به وبمن معه، فمات فيها غرقاً وقد قارب السبعين، وله ديوان شعري^(٣٨)، عند حديث العطار عن الأسباب التي دعته للسفر يقتبس أبيات لعمر بن أبي ربيعة، من دون أن يشير له فيقول العطار: وإنّي للعاقل الإقامة بين تلك الأقوام وكيف يجمع بين الأروى والنعام^(٣٩):

أَيُّهَا الْمُنْكَحُ الْثُرَى سَهْيَلًا
عَمْرَكَ لَهُ، كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ

هِيَ شَامِيَّةٌ إِذَا مَا إِسْتَهَأَتْ
وَسَهْيَلٌ إِذَا إِسْتَهَلَ يَمَانِ^(٤٠)

-٤-٢-٣ - زياد بن منقذ (توفي حوالي ١٠٠ هـ ٧١٨ م): هو زياد بن منقذ الحنظلي الملقب بالمرار العدوى، من بني العدوية من تميم، من شعراء الدولة الأموية^(٤١)، عند حديث العطار عن وصوله إلى دمشق اقتبس بيّتاً له من دون أن يذكر ذلك فيقول: فلما وردت مدينة دمشق الشام، ونزلت في المدرسة البدريّة الفاقحة النظام منزويًا في زوايا الخمول، ملازمًا سُكْنَ حجرتي لا أبرح عنها ولا أزول، خَلِيَّ البال من الأشغال وأجد من الدنيا فراغًا ومن القول مساعًا، فأخذت أدفع عن نفسي توارد جيش الفكر والهموم تارة بإنشاء رسالة، وأخرى بتنسيق منظوم أضمه شکوى الزَّمان والتأسف على فراق الأقران:

وَمَا أَصَاحِبُ مِنْ قَوْمٍ فَأَذْكُرُهُمْ
إِلَّا يَزِيدُهُمْ حُبًا إِلَيَّ هُمْ^(٤٢)

-٤-٢-٤ - جرير (٢٨-٦٤٩ هـ ١١٠):

٤-٢-٨- أبو الطيب المتنبي (٩٦٥-١٥٣٥هـ) هو أحمد بن الحسين بن الحسن الكوفي، شاعر وحكيم ولد بالكوفة ونشأ بالشام، فأكثر المقام في الباية وطلب الأدب وعلم العربية، وفاق أهل عصره في الشعر، ثم مرض إلى مصر، وله ديوان شعري (٤٣)، اقتبس العطار منه في موضعين ولكن دون ذكر للمتنبي، فعند حديث العطار عن كتاب داود الأنطاكي وأنه مليء بالتناقضات، وقرر أن يكتب كتاب يوضحه ويشرحه، فبادره البعض بالملامة على فعل ذلك، فاقتبس العطار بيته للمتنبي، فيقول العطار: أنت وأمثالك ليس من قصته بالخطاب ولم تجر لي في خلٍ ولا حسابٍ فإن من المعنا مخاطبة الجهل وصرفهم عن العقائد الراسخة فيهم وإن كانت من الحال: **وَمِنَ الْبَلْيَةِ عَذْلُ مَنْ لَا يَرْعَوْيِ (٤٤)**

عَنْ جَهْلِهِ وَخَطَابُ مَنْ لَا يَفْهَمُ (٤٥)

ثم يعود العطار فيقتبس مرة أخرى أبياتاً لأبي الطيب المتنبي ليصف حاله في دمشق من دون ذكره فيقول:

**مَأْمَقَى بِأَرْضِ نَخْلَةِ إِلَّا
كَمْقَامِ الْمَسِيحِ بَيْنَ الْيَهُودِ
أَنَّا فِي أُمَّةٍ تَدَارِكَهَا اللَّهُ
غَرِيبٌ كَصَالِحٍ فِي ثَمَودِ (٤٦)**

٤-٩-٤- علي الجرجاني (توفي ١٠٢-٣٩٢هـ): هو علي بن عبد العزيز بن الحسن بن علي بن اسماعيل الجرجاني، أبو الحسن أديب وشاعر ومؤرخ، ولد القضاء بالري وتوفي بها، من تصانيفه: الوساطة بين

ولد في بغداد ونشأ وتوفي بها، وهو رومي الأصل، وله ديوان شعري (٤٨)، وعند حديث العطار عن مرض العشق، يقتبس العطار أبياتاً له، ولكن العطار أيضاً لم يشر لقائل تلك الأبيات، فيقول العطار:

**أَعْانِقُهَا وَالنَّفْسُ بَعْدُ مُشَوَّقَةٌ
إِلَيْهَا وَهَلْ بَعْدُ الْعِنَاقِ تَدَانِي
وَأَلْثُمْ فَاهَا كَيْ تَزُولَ حَرَارَتِي
فَيَشَتَّدُ مَا أَلْقَى مِنَ الْخَفَقَانِ
كَأَنَّ فُؤَادِي لَيْسَ يَشْفِي غَلِيلَهُ (٤٩)**

٤-٧-٤- ابن المعتز (٢٤٧-٢٩٦هـ): هو عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوك بن المعتصم بن الرشيد العباسي، كان أدبياً بلি�غاً شاعراً مطبوعاً مقدراً على الشعر، قريب المأخذ سهل اللفظ جيد القراءة حسن الإبداع المعاني، مخالطاً للعلماء والأدباء معدوداً من جملتهم، آلت الخلافة في أيامه إلى المقتدر العباسي، واتفق معه جماعة من رؤساء الأجناد ووجوه الكتاب فخلعوا المقدار وبايده للخلافة، فأقام يوماً وليلة، ووثب عليه غلام المقتدر فخلعوه، ثم عاد المقتدر، فقبض عليه وقتله (٤١)، فعند حديث العطار عن الأشخاص الذين قاموا بانتقاده لكتابه الكتب الطبية، يورد أبياتاً للشاعر ابن المعتز من دون أن يورد ذكره فيقول:

**اصْبِرْ عَلَى كَيْدِ الْحَسْوَدِ
فَإِنَّ صَبْرَكَ قَاتَأَهُ
كَالنَّارِ تَأْكُلُ بَعْضَهَا
إِنْ لَمْ تَجِدْ مَا تَأْكُلُهُ (٤٢)**

أَلَمْ تَعْلَمِي أَنَّ الثَّوَاءَ^(٥٣) هُوَ النَّوَى^(٥٤)

وَأَنَّ بَيْوَتَ الْعَاجِزِينَ قُبُورٌ
فَإِنَّ خَطِيرَاتِ الْمَهَالِكِ ضُمَّنٌ

لِرَاكِبِهَا أَنَّ الْجَزَاءَ خَطِيرٌ^(٥٥)

-٤١٢- ابن سينا (٤٢٨-٣٧٠ هـ / ٩٨٠ م): هو أبو علي حسين بن عبد الله بن

سينا، الشيخ الرئيس، يسميه الإفرنج Avicenna^(٥٦)، إن حديث العطار في الموضع الطبية لم يمنعه من الاستدلال ببعض الأبيات الشعرية الطبية، ولعل من أشهر الأراجيز الطبية أرجوزة الشيخ الرئيس ابن سينا والمعروفة باسم ألفية الشيخ، وقد اقتبس العطار من تلك الألفية عدة مرات مع ذكر التوثيق فعند حديث العطار عن عظم الترقوة يقول: وفي منظومة تتسب للشيخ قال:

وللتَّرَاقِي فَرِدٌ عَظِيمٌ مُنْجَذِبٌ

يَحْوي عَلَى مَا تَحْتَهُ مِنَ الْعَصَبِ^(٥٧)

و عند قيام العطار بذكر عدد الفقرات الموجودة في جسم الإنسان يقتبس من تلك الأرجوزة فيقول: وفي المنظومة المنسوبة للشيخ التي في التشريح قال عند عد الفقرات:

فَسَبْعَةُ فِي عُنْقِ الْإِنْسَانِ

واثْنَا عَشْرَةُ عُدُونَ لِلْجَنْبَانِ

وَخَمْسَةُ فِي الْحَقْوِ^(٥٨) كَالْأَسَاسِ

حَافِظَةٌ لِلْكُلِّ كَالْمَرَاسِي

وَالْعَجْزُ مَعْدُودٌ ثَلَاثًا قَدْ حَصَى

وَمِثْلُهَا عَدُّ عِظَامِ الْعَصْعُوصِ

المتنبي وخصوصه، تهذيب التاريخ، تفسير القرآن المجيد، وديوان شعرى^(٤٧)، عند حديث العطار عن أسفاره وتقلاته يقول: فبادرت بالنقلة وأزمعت الرحلة متأنساً على فراق ذلك المعهد وتغيره عما كنت أعهد باكيًا على انمحاق محاسنه والتحق الهوان بساكنه، ثم يورد الأبيات الآتية للجرجاني من دون ذكره، فيقول:

يَا دِيَارَ السُّرُورِ لَا زَالَ يَبْكِي
فِيكِ فِي مَضْحِكِ الرِّيَاضِ الْغَمَامُ

رَبَّ عَيْشٍ صَاحِبُهُ فِيكِ غَضْبٌ
وَعُيُونُ الْفِرَاقِ عَنَّا نِيَامُ

فِي لِيَالٍ كَائِنَهُنَّ أَمَانٌ
مِنْ زَمَانٍ كَائِنَهُ أَحَلامٌ

وَكَانَ الْأَوْقَاتَ فِيهَا كُؤُوسُ
دَائِرَاتٍ وَأَنْسُهُنَّ مُدَامٌ^(٤٨)

رَمَنْ مُسْعَدٌ وَالْفَ وَصُولٌ
وَمُنْيٌ تَسْتَلْذُهَا الْأَوْهَامُ^(٤٩)

-٤٢٠- القسطلي الأندلسي (٣٤٧)
ابن محمد بن العاص القسطلي الأندلسي^(٥٠)، عند حديث العطار عن الغربة يورد أبياتاً له، ولكنه لم يشر أيضاً لقائل تلك الأبيات، فيقول: ثم صرث أعلل النفس بالمحالة وأنشدتها قول من قال:

تُخَوَّفُنِي طَوْلُ السَّفَارِ وَإِنَّهُ
لِتَقْبِيلِ كَفِّ الْعَامِريِّ سَفِيرٌ

دَعَيْنِي أَرْدُ مَاءَ الْمَفَاوِرِ آجِنَا^(٥١)
إِلَى حَيْثُ مَاءُ الْمَكْرُمَاتِ نَمِيرُ^(٥٢)

لِيالِي لَا أَلُوي عَلَى رَشِّدَنَا صَحَّ
عَنَانِي^(١٤) وَلَا أَثْبَيْهِ عَنْ غَيِّرِي^(١٥) لَاتِمِ
أَتَاكَ سُهَادِي مِنْ عُيُونِ نَوَاعِسِ
وَأَجْنِي مُرَادِي مِنْ غُصُونِ نَوَاعِمِ
وَلَيْلٌ لَنَا بِالسَّدِّ بَيْنَ مَعَاطِفِ
مِنَ النَّهَرِ تَنَسَّابٌ إِنْسَابَ الْأَرَاقِمِ
ثَمُرُّ إِلَيْنَا ثَمَّ عَنَّا كَائِنَاهَا
حَوَاسِدُ تَمَشِّي بَيْنَنَا بِالْتَّمَائِمِ
نَبِيَّتُ وَلَا وَاشِ نَخَافُ كَائِنَامَا
حَلَّنَا مَكَانَ السِّرِّ مِنْ صَدِّرِ كَاتِمِ^(١٦)
٤-٢-١٣ - ابن رشد (٢٠٥٩٥-٥٢٠ هـ/ ١١٢٦-)
١١٩٨م): هو محمد بن أحمد بن محمد بن رشد أبو الوليد الفيلسوف، من أهل قرطبة، يسميه الإفرنج Averroes، شرح كلام أرسطو وترجمه إلى العربية^(١٧)، وعندما ذكر العطار أنَّ كثرة الجماع تسبب إسقاط الشهوة وضرر بالعصب مما يسبب الرعشة والفالج والتشنج، فينقل بيته ابن رشد مع ذكر التوثيق فيقول: قال ابن رشد شارح منظومة الشيخ:

وَكَثْرَةُ الْجِمَاعِ إِضْعَافُ الْبَدَنِ
وَيُورِثُ الْأَجْسَامَ أَنْوَاعَ الْمَحَنِ^(١٨)

٤-٢-١٤ - أبو الحسين الجزار (١٢٨١-١٢٠٤ هـ/ ٦٧٩-٦٠١)؛ هو يحيى ابن عبد العظيم بن يحيى بن محمد الجزار المصري، أديب وشاعر ومؤرخ، أقبل على الأدب وأوصله شعره إلى السلاطين والملوك، من آثاره فوائد الموائد في الأدب^(١٩)؛ حيث وفي معرض حديث العطار عن موضوع الجماع،

وَالْقَصُّ مِنْ سَبْعِ عِظَامٍ مُوثَقَةٍ
فِي نَقْرَتِهِ إِلَى الضُّلُوعِ مُلْصَقَةٍ
وَاثْنَا عَشَرَ عَدَّتْ لِكُلِّ جَنِبٍ
مِنَ الضُّلُوعِ شَرُّهَا بِالْحَجِبِ^(٢٠)
وَأَيْضًا عِنْدَ حِدِيثِ الْعَطَّارِ عَنِ الْقَيْءِ وَفَوَانِدِهِ
الْعَلَاجِيَّةِ فِي الْطَّبِّ الْعَرَبِيِّ، وَفِي أَيِّ فَصْلٍ مِنْ
فَصُولِ السَّنَةِ يَنْصَحُ بِالْإِكْثَارِ مِنَ الْقَيْءِ، يَنْقُلُ
الْعَطَّارُ عَنْ أَرْجُوزَةِ ابْنِ سِينَا فَيَقُولُ: وَهُوَ الَّذِي
ذَكَرَهُ الشَّيْخُ فِي مَنْظُومَتِهِ حِيثُ قَالَ:
وَالْقَيْءُ يُسْتَعْمَلُ فِي الْمَصِيفِ
وَيُخْرُجُ السَّوْدَاءَ فِي الْخَرِيفِ^(٢١)
وَأَخِيرًا فِي مَعْرِضِ حِدِيثِ الْعَطَّارِ عَنِ الْفَصَدِ،
وَعَنِ أَيِّ الْعَرَوَقِ الَّتِي تَفَصُّدُ فِي الْأَمْرَاضِ، يُورِدُ
أَيْضًا بَيْتًا مِنْ تِلْكَ الْأَلْفِيَّةِ فَيَقُولُ: وَقَالَ الشَّيْخُ فِي
أَلْفِيَّتِهِ:
وَتَفَصُّدُ الْأَوَادَاجُ^(٢٢) فِي الْآلَامِ
بِخَصْصِهَا مِنْهُنَّ بِالْجُذَامِ^(٢٣)
٤-٢-١٢ - ابن عمار الأندلسي (١٠٣١-٤٧٧ هـ/ ١٠٨٤-٤٢٢ م): هو أبو بكر
محمد ابن عمار، المهرى الأندلسي الشَّلَبِيُّ الشاعر المشهور، ذو الوزارتين كانت ملوك
الأندلس تخاف من ابن عمار المذكور لبداءة
لسانه وبراعة إحسانه^(٢٤)، عند حديث العطار
عن غربته وفراق أهله يورد أبياتاً لابن عمار
الأندلسي من دون ذكره، فيقول:

كَسَاهَا الْحَيَاءُ بَرَدَ الشَّبَابِ فَإِنَّهَا
بِلَادُ بِهَا حِلُّ الشَّبَابِ تَمَائِمِي
ذَكَرُتْ بِهَا عَهْدَ الصَّبَا فَكَائِنَا
فَدَحَتْ بِنَارِ الشَّوْقِ بَيْنَ الْحَيَازِمِ

وَمَا جَنَّةُ الدُّنْيَا سِوا مَا وَصَفْتُهُ

وَمَا ضَمَّ مِنْهُ الْحُسْنُ بِجَدٍ وَحَاجِرٌ^(٧٦)

بِلَادِي الَّتِي أَهْلَى بِهَا وَأَحْبَبَتِي

وَقَلْبِي وَرُوحِي وَالْمُنْتَى وَالْخَوَاطِرُ

يُذَكِّرُنِي أَنْجَادُهَا وَوَهَادُهَا

عُهُودُ أَمْضَتْ لِي وَهِي حُضْرٌ نَوَاضِرُ

إِذْ الْعِيشُ صَافَ وَالزَّمَانُ مُسَاعِدٌ

فَلَا الْعِيشُ مَمْلُوكٌ وَلَا الدَّهْرُ جَائِرٌ

بِحِيثِ لَيَالِيَنَا كَغَضٌ^(٧٧) شَبَابِنَا

وَأَيَامُنَا سُلُكْ وَنَحْنُ جَوَاهِرُ

لَيْلِي كَاتَ لِلشَّبَابَةِ دَوَلَةً

بِهَا مَلِكُ الْأَذَّاتِ تَاهٌ وَأَمْرٌ

سَلَامٌ عَلَى تِلَكَ الْعُهُودِ فَإِنَّهَا

مَوَارِدُ أَفْرَاحٍ تَلَتَّهَا الْمَصَادِرُ^(٧٨)

١٦-٢-٤ - ابن النحاس الحطي (توفي ١٠٥٢ هـ / ١٦٤٢ م): هو فتح الله بن عبد الله من أهل حلب، شاعر رقيق مشهور زار دمشق والقاهرة واستقر بالمدينة وتوفي بها^(٧٩)، عند حدث العطار عن الغربة والسفر يقتبس بيتاً للشاعر ابن النحاس الحلبي من قصيده العينية التي مطلعها رأى اللوم من كل الجهات فراغه، من دون أن يشر العطار أيضاً لقائل هذا البيت فيقول العطار: ولم أزل أجوب أرضًا بعد أرض، وأترك على حكم الدهر من شامخ عال إلى خضر تارة تحت ظل شراع وآونة بين وهو وتداع:

فَلَمْ يَبْقَ بَرٌّ مَا طَوَيْتُ بِسَاطَةً

وَلَمْ يَبْقَ بَحْرٌ مَا نَشَرْتُ شِرَاعَهُ^(٨٠)

وعن العمر المثالي للزوجة، نقل أبياتاً عن أبو الحسين الجزار من دون ذكره فيقول: ويعجبني قول بعض المتأخرین:

تَزَوَّجَ الشَّيْخُ أَبِي شَيْخَةَ

لَيْسَ لَهَا عَقْلٌ وَلَا ذَهَنٌ

كَأَنَّهَا فِي فَرْشِهَا رَمَةٌ

وَشَعْرُهَا مِنْ حَوْلِهَا قُطْنٌ

وَقَائِلٌ يَقُولُ مَاسِنُهَا

قُلْتُ مَا فِي فَمِهَا سِنُّ^(٧٠)

٤-٢-٤ - المقرى التلمساني (١٥٧٨-١٤٣١ هـ / ١٠٤١-١٩٨٦ م): هو أحمد بن محمد بن أحمد المقرى المكنى بأبي العباس والملقب بشهاب الدين ولد في مدينة تلمسان، صاحب كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب^(٧١)؛ حيث اقتبس العطار من كتابه من دون أن يورد ذكرًا له، فعند حدث العطار عن غربته وفراق الأحبة في بداية المخطوطة، أورد أبياتاً للتلمساني، ولكنه لم يشر إلى قائل الأبيات، فيقول:

وَأَرْبَعُ أَحَبَابٍ إِذَا مَا ذَكَرَتَهَا

بَكَيْتَ وَقَدْ يُبَكِّيكَ مَا أَنْتَ ذَاكِرٌ

بُطَاحٌ وَأَدَوَاحٌ^(٧٢) يَرُقُّكَ حِسْهَا

بِكُلِّ خَلِيجٍ نَمْنَمَتُهُ^(٧٣) الْأَزَاهِرُ

فَمَا هُوَ إِلَّا فِضَّةٌ فِي زَيْرَجَدٍ

تَسَاقَطَ مِنْهُ الْلُؤْلُؤُ^(٧٤) الْمُتَنَاثِرُ

بِحِيثِ الصِّباِ وَالْتَّرَبِ وَالْمَاءِ وَالْهَوَىِ

عَبِيرٌ وَكَافُورٌ^(٧٥) وَرَاحٌ وَعَاطِرُ

٥- المناقشة:

أولاً: المواضيـع التي ضمـنـتـها تـلـك الأـبـيـات الشـعـرـيـة:

سينا مع التزامه بنمط التأليف نفسه في كتاب سماه *شرح ألفية الشيخ*، كما ظهرت في الأندلس أو أخر القرن الثاني عشر الميلادي أرجوزة ابن طفيل الأندلسي (١١٨٥-٤٩٤ هـ/ ١٠٠٥ م).

ولقد كان للعطار أيضًا منظومته الشعرية في علم التشريح والتي كتبها عام ١٨٠٨ م عندما كان في إسطنبول، وهي محفوظة في مكتبة الأزهر بالقاهرة برقم ٥٠٨ أباظة، وللأسف لم يقتبس العطار من منظومته سوى أبيات قليلة منها، كما أتنى لم أتمكن من الإطلاع على تلك المنظومة في علم التشريح، وهذه المنظومة قد تحتوي على معلومات تشريحية هامة وذلك لأن العطار عندما كان في إسطنبول التقى بعده من الأطباء الأوروبيين الذين كانت لديهم خبرة واسعة في علم التشريح، مما قد يكون سبباً لاحتواها على معلومات تشريحية هامة جدًا في تلك الحقبة الزمنية الطبية.

ثانيًا: الفترات الزمنية للأبيات الشعرية:

١- الأبيات الشعرية المتعلقة بالغربة والسفر ومتابعهما: تتوزع الفترات الزمنية لتلك الأبيات الشعرية بدءًا من العصر الجاهلي في القرن السادس الميلادي مرورًا بالفترتين الأموية والعباسية ووصولًا للقرن السابع عشر الميلادي، وهذا يوضح مدى غنى التراث الأدبي العربي عبر الزمن بالعديد من المواضيع؛ حيث إن الحديث عن الغربة والسفر ومشاقه وبخاصة شعور الحنين للأحبة كان من بعض تلك الموضوعات الأدبية.

٢- الأبيات الشعرية الطبية: اقتصرت الفترة

١- الأبيات الشعرية المتعلقة بالغربة والسفر ومتابعهما: كان واضحًا جدًا تأثر العطار بغربيته عن مدینته المفضلة القاهرة، وكم كان يعاني في تلك الغربة من فراق الأصدقاء والأماكن، وكانت أغلب تلك الأبيات الشعرية تدور في فلك هذا الموضوع. كما أن العطار لجأ من خلال الشعر لوصف الأسباب التي دعته لمغادرة القاهرة، وكما وصف سفره إلى إسطنبول، ومن ثم إلى دمشق وما كان يلقاه هناك من متاعب ومشاقٍ وحنين للأحبة والخلان.

٢- الأبيات الشعرية الطبية أو ما يعرف بالأراجيز الطبية: حيث اشتملت الأبيات الشعرية الطبية الواردة في المخطوطات على مرض العشق وعلاجه، والجماع وآثاره، كما تحدثت عن القيء والفصد، ولكن أغلب تلك الأبيات الشعرية كانت حول التشريح وأعداد المفاصل والفرقان وغيرها.

تعد الأراجيز الطبية ظاهرة جميلة جدًا في تاريخ الطب العربي؛ حيث قام بعض المؤلفين العرب بتأليف الأراجيز الطبية التي تعتمد على شرح للطب إما كاملاً أو جزئياً، وذلك من خلال أسلوب شعرى لطيف وسلس جدًا، ولعل أشهر تلك الأراجيز كان من تأليف الشيخ الرئيس ابن سينا، والمعروفة باسم أرجوزة في الطب والتي يطلق عليها أيضًا ألفية الشيخ، كما لم يقتصر ظهور تلك الأراجيز الطبية على المشرق العربي؛ حيث قام ابن رشد بشرح أرجوزة ابن

معلوماته الطبية بشكل دقيق، وهنا أيضًا تبين لنا استمرار اهتمامه بالتوثيق الطبي، ولكن السؤال لماذا أغفل العطار التوثيق في الأبيات الشعرية غير الطبية الواردة في المخطوطة؟

٦- الخلاصة: من هذا البحث يمكن استخلاص الآتي:

أولاً: تناولت الأبيات الشعرية الواردة في مخطوطة راحة الأبدان موضوعين رئيسين، وهما موضوع الغربة والسفر وما يتبعها من صعوبات فراق الأهل والأحبة من جهة، ومن جهة أخرى الموضوعات الطبية والتي كان أهمها علم التشريح.

ثانيًا: تنوّعت الفترات التاريخية للشعراء الذين تحدثوا عن الغربة في المخطوطة بدءاً من العصر الجاهلي وصولاً إلى القرن السابع عشر الميلادي، بينما اقتصرت الفترة التاريخية للأراجيز الطبية على القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، بالإضافة لأرجوزة حسن العطار في القرن التاسع عشر الميلادي، وهذه دعوة للباحثين لدراسة تلك المنظومة في علم التشريح من القرن التاسع عشر الميلادي، من أجل معرفة التطور الحاصل في نمط تأليف تلك الأراجيز الطبية من جهة، ودراسة المعلومات التشريحية الواردة في تلك المنظومة من جهة أخرى.

ثالثًا: اختلف توثيق العطار للأبيات الشعرية، في بينما تغاضى عن ذكر توثيق الشاعر لأبيات الغربة والسفر ومتابعهما، التزم بالتوثيق العلمي والكامل للأبيات الشعرية الطبية.

الزمنية للأرجوزات الطبية على القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، وهو يمثلان عصر النهضة الطبية العربية؛ حيث ظهرت أرجوزة ابن سينا، وأرجوزة ابن رشد، وأرجوزة ابن طفيل الأندلسي.

وهنا مرة أخرى تأتي أهمية الإطلاع على منظومة العطار في علم التشريح ودراستها بشكل أعمق وأدق؛ لدراسة ظاهرة الأراجيز الطبية في القرن التاسع عشر الميلادي، ومقارنتها مع الأراجيز السابقة، وذلك من أجل التعرف على الفروقات الحادثة في نمط تأليف الأراجيز الطبية ما بين القرنين الثاني عشر والتاسع عشر الميلاديين.

ثالثًا: التوثيق العلمي للأبيات الشعرية:

١- الأبيات الشعرية المتعلقة بالغربة والسفر ومتابعهما: لم يورد العطار ذكر أيًا من الشعراء الذين اقتبس منهم الأبيات الشعرية المتعلقة بهذه المواضيع؛ حيث كان يورد البيت الشعري مباشرةً بعد حديثه عن موضوع منها، من دون ذكر شيءٍ عن قائلها، وفي بعض الأحيان اكتفى بقول: ويحضرني قول القائل، وقال أحدهم.

٢- الأبيات الشعرية الطبية: على العكس تماماً مما سبق كان العطار دقيقاً جدًا في توثيق الأبيات الشعرية الطبية؛ حيث نسب كل بيت منها لقائله مباشرةً.

وهنا نقطة تدعو للتساؤل، في بحث قمت بإنجازه مسبقاً، وهو بعنوان (دراسة توثيق حسن العطار لمصادره الطبية في مخطوطة راحة الأبدان^(٨١))، كان واضحًا تميّز العطار في توثيق

- ٢١- العطار، مخطوطة راحة الأبدان في نُزْهَةِ الأَذْهَانِ، ١٨١٣م، صـ١٩٧٠ وـ١٩٧٦ ظ.
- ٢٢- حالة، معجم المؤلفين ترجم مصنفي الكتب العربية، ١٩٩٣م، المجلد الأول، صـ٤٨٤.
- ٢٣- الأذلان: ثنتيَّةُ الأَذَلَّ بَذَلٌ من العَامِ الْمَقْدَرِ وَمِنَ الذَّلِّ (ابن منظور، لسان العرب، ١٩٥٦م، جـ١١، صـ٢٥٦).
- ٢٤- غير: اسم للحمار أهلياً كان أو وحشياً (القوصوني، قاموس الأطباء وناموس الألباء، ١٩٧٩م، جـ١، صـ١٨٧).
- ٢٥- يشج: يضرب على الرأس فيشق (ابن منظور، لسان العرب، ١٩٥٦م، جـ٢، صـ٢٩٥).
- ٢٦- العطار، مخطوطة راحة الأبدان في نُزْهَةِ الأَذْهَانِ، ١٨١٣م، صـ٤٠ وـ٤١.
- ٢٧- حالة، معجم المؤلفين ترجم مصنفي الكتب العربية، ١٩٩٣م، المجلد الثاني، صـ٥٦٤.
- ٢٨- يقول العطار في هامش متن المخطوطة صـ٤٠ وـ٤١: يجمع بين الأروى والنعام مثل يضرب لشينين يختلفان جداً.
- ٢٩- العطار، مخطوطة راحة الأبدان في نُزْهَةِ الأَذْهَانِ، ١٨١٣م، صـ٤٠ وـ٤١.
- ٣٠- الزركلي، الأعلام، ٢٠٠٢م، جـ٣، صـ٥٥.
- ٣١- العطار، مخطوطة راحة الأبدان في نُزْهَةِ الأَذْهَانِ، ١٨١٣م، صـ٥٠ وـ٥١.
- ٣٢- حالة، معجم المؤلفين ترجم مصنفي الكتب العربية، ١٩٩٣م، المجلد الأول، صـ٤٨٤.
- ٣٣- اللوى: وهو الرمل وهو اسم لمنطقة تقع في الطريق إلى مكة (ابن منظور، لسان العرب، ١٩٥٦م، جـ١٥، صـ٢٦٢).
- ٣٤- العطار، مخطوطة راحة الأبدان في نُزْهَةِ الأَذْهَانِ، ١٨١٣م، صـ٥٠ وـ٥١.
- ٣٥- حالة، معجم المؤلفين ترجم مصنفي الكتب العربية، ١٩٩٣م، المجلد الأول، صـ٥٢٤.
- ٣٦- ديباجتين: الخدين (الأزدي، الماء، ١٩٩٥م، جـ٢، صـ٤٤٣).
- ٣٧- العطار، مخطوطة راحة الأبدان في نُزْهَةِ الأَذْهَانِ، ١٨١٣م، صـ٢٠ وـ٢١.
- ٣٨- حالة، معجم المؤلفين ترجم مصنفي الكتب
- ١ - Rainer Bromer, Blood, sweat, and tears, 2009, p. 340.
- ٢- حالة، معجم المؤلفين ترجم مصنفي الكتب العربية، ١٩٩٣م، المجلد الأول، صـ٥٨٧.
- ٣- الزركلي، الأعلام، ٢٠٠٢م، جـ٢، صـ٢٢٠.
- ٤ - Joseph Lowry, Essas in Arabic literary, 2012, p. 57-58.
- ٥ - Joseph Lowry, Essas in Arabic literary, 2012, p. 58.
- ٦ - Joseph Lowry, Essas in Arabic literary, 2012, p. 59.
- ٧ - Joseph Lowry, Essas in Arabic literary, 2012, p. 60.
- ٨- العطار، مخطوطة راحة الأبدان في نُزْهَةِ الأَذْهَانِ، ١٨١٣م، صـ١٥.
- ٩- السابق، اللقطة الأخيرة بدون رقم.
- ١٠- الفيافي: البراري الواسعة (ابن منظور، لسان العرب، ١٩٥٦م، جـ٩، صـ٢٧٢).
- ١١- اعتساف: السير بلا هداية (الفيلوز أبيدي، القاموس المحيط، ٢٠٠٥م، صـ٨٣٧).
- ١٢- يروم: يطلب (ابن منظور، لسان العرب، ١٩٥٦م، جـ١٢، صـ٢٥٨).
- ١٣- القرضاب: شديد القطع (ابن منظور، لسان العرب، ١٩٥٦م، جـ١، صـ٦٩٦).
- ١٤- العطار، مخطوطة راحة الأبدان في نُزْهَةِ الأَذْهَانِ، ١٨١٣م، صـ٣٢ وـ٣٣.
- ١٥- يقول العطار في هامش متن المخطوطة صـ٧٩ وـ٧٩ ظ: الفص بالفتح رأس الصدر كما في جامع اللغة.
- ١٦- العطار، مخطوطة راحة الأبدان في نُزْهَةِ الأَذْهَانِ، ١٨١٣م، صـ٧٩ وـ٧٩ ظ.
- ١٧- السابق، صـ١٩٦ وـ١٩٧.
- ١٨- وَدَدَ: الأمنية (ابن منظور، لسان العرب، ١٩٥٦م، جـ٣، صـ٤٥٣).
- ١٩- نكل: القيد الشديد (الفيلوز أبيدي، القاموس المحيط، ٢٠٠٥م، صـ١٠٦٥).
- ٢٠- الفاه: الفم (ابن منظور، لسان العرب، ١٩٥٦م، جـ١٣، صـ٥٢٥).

دراسة
استخدام
العطار
لأبيات
الشعرية
في مخطوطة
راحة الأذهان
في نُزْهَة
الأذهان

- ٥٦- الزركلي، الأعلام، ٢٠٠٢م، جزء٢، ص٤٢.
- ٥٧- العطار، مخطوطة راحة الأبدان في نُزْهَة الأذهان، ١٨١٣م، ص٧٨ و.
- ٥٨- الحقوق هي الخاصرة (ابن منظور، لسان العرب، ١٩٥٦م، جزء١٤، ص١٨٩).
- ٥٩- العطار، مخطوطة راحة الأبدان في نُزْهَة الأذهان، ١٨١٣م، ص٧٩ و.
- ٦٠- السابق، ص١٣٦ و.
- ٦١- الأوداج: ما أحاط بالعنق من عروق (ابن منظور، لسان العرب، ١٩٥٦م، جزء٢، ص٣٧).
- ٦٢- العطار، مخطوطة راحة الأبدان في نُزْهَة الأذهان، ١٨١٣م، ص١٨٥ و.
- ٦٣- ابن خلkan، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ١٩٧٨م، جزء٤، ص٤٢٥.
- ٦٤- عنان: الاعتراض وتقال أيضاً للرجل الشريف (ابن منظور، لسان العرب، ١٩٥٦م، جزء١٣، ص٢٩٠).
- ٦٥- غي: الضلال والخيبة (ابن منظور، لسان العرب، ١٩٥٦م، جزء١٥، ص١٤٠).
- ٦٦- العطار، مخطوطة راحة الأبدان في نُزْهَة الأذهان، ١٨١٣م، ص٣ و؛ هذه الأبيات واردة في كتاب المقربي التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ١٩٦٨م، جزء١، ص١٩؛ كما وردت في كتاب ابن خلkan، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ١٩٧٨م، جزء٤، ص٤٢٧.
- ٦٧- الزركلي، الأعلام، ٢٠٠٢م، جزء٥، ص٣١٨.
- ٦٨- العطار، مخطوطة راحة الأبدان في نُزْهَة الأذهان، ١٨١٣م، ص١٤١ و.
- ٦٩- كحالة، معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، ١٩٩٣م، المجلد الرابع، ص١٠٢.
- ٧٠- العطار، مخطوطة راحة الأبدان في نُزْهَة الأذهان، ١٨١٣م، ص١٣٩ و.
- ٧١- المقربي التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ١٩٦٨م، جزء١، ص١.
- ٧٢- بطاح وأدواح: مواضع وأشجار (ابن منظور، لسان العرب، ١٩٥٦م، جزء٢، ص٤١٢).
- ٧٣- نمنته: خطت عليه وتركت عليه أثر كالكتابة (ابن منظور، لسان العرب، ١٩٥٦م، جزء١، ص١٢).
- العربية، ١٩٩٣م، المجلد الثاني، ص٤٥٣.
- ٣٩- غليل: شدة العطش مع حرارة (ابن منظور، لسان العرب، ١٩٥٦م، جزء١١، ص٤٩٩).
- ٤٠- العطار، مخطوطة راحة الأبدان في نُزْهَة الأذهان، ١٨١٣م، ص١٩٦ و.
- ٤١- ابن خلkan، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ١٩٧٨م، جزء٣، ص٧٦.
- ٤٢- العطار، مخطوطة راحة الأبدان في نُزْهَة الأذهان، ١٨١٣م، ص٧ و.
- ٤٣- كحالة، معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، ١٩٩٣م، المجلد الأول، ص١٢٦.
- ٤٤- يرعوي عن الجهل: ينزع عن الجهل (ابن منظور، لسان العرب، ١٩٥٦م، جزء١٤، ص٣٢٤).
- ٤٥- العطار، مخطوطة راحة الأبدان في نُزْهَة الأذهان، ١٨١٣م، ص٧ و.
- ٤٦- العطار، مخطوطة راحة الأبدان في نُزْهَة الأذهان، ١٨١٣م، ص٨/ظ.
- ٤٧- كحالة، معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، ١٩٩٣م، المجلد الثاني، ص٤٥٨.
- ٤٨- المدام: الخمر (الفیروز أبادی)، القاموس المحيط، ٢٠٠٥م، ص١١٠٩.
- ٤٩- العطار، مخطوطة راحة الأبدان في نُزْهَة الأذهان، ١٨١٣م، ص٤ و، ص٤/ظ؛ هذه الأبيات واردة في كتاب المقربي التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ١٩٦٨م، جزء١، ص١٨.
- ٥٠- المقربي التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ١٩٦٨م، جزء٣، ص١٩٥.
- ٥١- أجن الماء: تغير لونه وطعمه (الفیروز أبادی)، القاموس المحيط، ٢٠٠٥م، ص٤١١٧.
- ٥٢- نمير: الماء العذب وتستخدم لنذهب إلى الماء العذب لشرب (ابن منظور، لسان العرب، ١٩٥٦م، جزء٥، ص٢٣٤).
- ٥٣- ثواه: طول المقام (ابن منظور، لسان العرب، ١٩٥٦م، جزء١٤، ص١٢٥).
- ٥٤- النوى: النية والوجهة (الفیروز أبادی)، القاموس المحيط، ٢٠٠٥م، ص١٣٤١.
- ٥٥- العطار، مخطوطة راحة الأبدان في نُزْهَة الأذهان، ١٨١٣م، ص٢/ظ.

- عبد الرحمن القوصوني (توفي ١٠٤٤هـ/١٦٣٤م)، مصورات مجمع اللغة العربية بدمشق، سوريا، الجزء الأول، طبع عام ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
- **القاموس المحيط**، تأليف الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (توفي ٨١٧هـ/١٤١٤م)، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثامنة، طبع عام ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- **لسان العرب**، تأليف محمد بن مكرم ابن منظور (توفي ٧١١هـ/١٣١١م)، دار صادر، بيروت، لبنان، طبع عام ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م.
- **الماء**، تأليف عبد الله بن محمد الصحاري الأزدي (توفي ٤٦٦هـ/١٠٧٤م)، تحقيق هادي حسن حمودي، مطبوعات وزارة التراث القومي والثقافة في سلطنة عمان، ثلاثة مجلدات، طبع عام ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
- **معجم أسماء النبات**، تأليف أحمد عيسى بك (توفي ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م)، وزارة المعارف العمومية المطبعة الأميرية، القاهرة، جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى، مجلد واحد، طبع عام ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م.
- **معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية**، تأليف عمر رضا كحال (توفي ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م)، مؤسسة الرسالة، دمشق، سورية، ٤ مجلدات، طبع عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تأليف أحمد بن محمد المقربي التلمساني (توفي ١٠٤١هـ/١٦٣١م)، تحقيق إحسان عباس، دار صار بيروت، لبنان، سبعة أجزاء، طبع عام ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تأليف أبو العباس ابن خلكان (توفي ٦٨١هـ/١٢٨٢م)، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، طبع عام ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
- **Essays in Arabic Literary Biography** 1350-1850, edited by Joseph Lowry, Devin Stewart, Wiesbaden, Harassowitz, Germany, 2009, Band 17 Teil 2.
- **The Nature of the Soul and the Passage of Blood Through the Lungs. Galen, Ibn Al-Nafis, Servetus Itaki, Attār, Rainer Bromer; in Blood, sweat, and tears: the changing concepts of physiology from antiquity into early modern Europe**, edited by H. F. J. Horstmannhoff, Leiden, Boston, U.S.A. 2012.
- ص ٥٩٢.
- ٧٤- لؤلؤ: يجلب من البحار (ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ١٩٩٢م، جزء ٤، ص ٣٨٩) وهو اللؤلؤ المعروف لدينا المستخرج من المحار.
- ٧٥- كافور: هو *Cinnamomum Camphora* (عيسى بك، معجم أسماء النبات، ١٩٣٠م، ص ٤٩).
- ٧٦- حاجر: منع (الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ٢٠٠٥م، ص ٣٧١).
- ٧٧- غض: الطري والخافت (ابن منظور، لسان العرب، ١٩٥٦م، جزء ٧، ص ١٩٦).
- ٧٨- العطار، مخطوطة راحة الأبدان في نُزَّةَ الأَذْهَانِ، ١٨١٣م، ص ٢٢ و ٢٣ / ظ؛ هذه الأبيات واردة في كتاب المقربي التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ١٩٦٨م، جزء ١، ص ١٧-١٨.
- ٧٩- الزركلي، الأعلام، ٢٠٠٢م، جزء ٥، ص ١٣٥.
- ٨٠- العطار، مخطوطة راحة الأبدان في نُزَّةَ الأَذْهَانِ، ١٨١٣م، ص ٤ / ظ.
- ٨١- هذا البحث قُبِل بتاريخ ٢٠١٥/٦/١٦ للنشر في مجلة آفاق الثقافة والتراث الصادرة عن مركز جمعة الماجد بدبي.

المصادر والمراجع

- **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، تأليف خير الدين الزركلي (توفي ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة عشر، ٨ مجلدات، طبع عام ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- **الجامع لمفردات الأدوية والأغذية**، تأليف ابن البيطار، ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد الأندلسي المالقي (توفي ٦٤٦هـ/١٢٤٨م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مجلدان، طبع عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- **راحة الأبدان في نُزَّةَ الأَذْهَانِ**، تأليف حسن العطار (توفي ١٢٥٠هـ/١٨٣٥م)، ما تزال مخطوطة، يوجد نسخة منها في مكتبة الأزهر، الرواق المغربي برقم ٣٤٣٤، القاهرة، جمهورية مصر العربية، كُتُبٌت عام ١٢٢٨هـ/١٨١٣م.
- **قاموس الأطباء وناموس الألباء**، تأليف مدين بن

أثر الحواس في تشكيل الصور الشعرية في شعر ابن حمديس^(*)

د. أحمد عقون
دبي - الإمارات

مقدمة

إن موضوع الصورة المعتمدة على الحواس، من الموضوعات المثيرة للاهتمام في النصوص الشعرية، وقد كان وما زال الشعراء يتولّون بها بمعية الملّكات الأخرى؛ لنظم قصائدّهم ورسم لوحاتهم الفنية. والصورة الشعرية، كما هو معروف، سمة بارزة من سمات العمل الأدبي، وعنصر أساس من مكونات القصيدة الشعرية، وقد رأت بعض الدراسات أن الشاعر خلال نسجه للصور الشعرية يعتمد أكثر ما يعتمد على البلاغة، ورأت أخرى أنه تشكيل جمالي يعكس جوهر الأشياء وحركتها، ومالت أخرى إلى أن الشاعر، في نظم صوره الشعرية ونسجها، يعتمد الأساس الحسي إذ أن "مدرّكات الحس هي المادة الخام التي يبني بها الشاعر تجاربه ولا يعني ذلك الانحصار في إطار حاسة بعينها"^(١)، وهكذا.

أثر الحواس
في تشكيل
الصور
الشعرية في
شعر ابن
حمديس

محددة، بل نحن الذين نربط بين هذه الأجزاء، ونكون منها كلاً عاماً بسرعة شديدة، حتى ليختبر إلينا أنها جميئاً صورة واحدة^(٢).

ودارس الشعر القديم بصفة عامة وشعر ابن حمديس بصفة خاصة، لا محالة، يرى آثار الحسية واضحة فيه؛ ذلك لأن الشاعر العربي القديم - وكذلك الناقد - غالباً ما "كان ينزع نزعة حسية في فهم الجمال وفي تصويره"، فكان الجمال عنده فيما ترضى عنه الحواس، كل حاسة

والحقيقة أن التصوير في الشعر - خلافاً للفنون الأخرى - تضطّل به الحواس وجميع الملّكات الأخرى؛ فيما يتعلق بالحواس، مثلاً، نجد الشاعر، يعتمد كثيراً على ما تخزن ذاكرته وما ترى عينه، وما تسمع أذنه وما يشمُّ أنفه، أو يتذوق لسانه، أو ما يحسه بأنامله، وينقل إلينا أثرها فيه، ووقعها على نفسه، وما بعثه فيه هذا الآخر من أحاسيس ومشاعر وذكريات دفينة، هي أوصاف تتعاقب في الزمن تنقّلها أشتات الألفاظ، أو "هي صور لا تتجمع أجزاؤها في رقعة

المطلب الأول: الصورة البصرية:

يرى بعض الدارسين أن للبصر قيمة مميزة وأهمية أكبر لجمال الصورة "لكونها تمثيلية تستمد عمّاً جديداً من المعاني الكثيرة التي ارتبطت بها حتى أصبحت مركزاً تجتمع حوله أجزاء كاملة من وجودنا، إنها الحياة كلها مكتففة مختصرة، فالذكرى عند من وهبت له حاسة البصر سلسلة من اللوحات؛ أي من الصور والألوان، وقد تماست هذه الصور فأصبحت كل صورة تستدعي الصورة الأخرى. إنّ بين الإدراكات البصرية والأفكار انسجاماً خفيّاً يدركه الشعراً، ويراعونه في كل ما ينظمون".^(٤)

لكن هناك من الدارسين من ينفي "الفكرة التي تُقصّر قدرة الشاعر الفنية على التقديم الحسي للمعنى في الصورة على حاسة البصر؛ لأن الصورة الشعرية [كما سبق أن ذكر] نتاج جميع الحواس والملكات ...".^(٥)

ويبدو أن هذا الرأي صائب، وبناءً عليه فإن البحث في تناوله لأثر حاسة البصر في نظم الصور الشعرية لا ينسى أبداً أن الصورة إنما هي نتاج الحواس والملكات الأخرى. ولا يمكن ردها إلى حاسة دون الأخرى، وإن فصل البحث بين الصورة البصرية وغيرها من الصور الحسية الأخرى، فمن قبيل الحاسة الغالبة فقط، ولهذا فإن دارسي الصور الشعرية قد يختلفون في نسبتها إلى الحواس، بل يختلف القراء أيضاً في ذلك.

ولنحاول الآن أن نورد نماذج من الصور البصرية التي وظفها الشاعر ضمن أغراضه الشعرية، ولحللها للوقوف عند مدى اعتماد الشاعر على حاسة البصر ومدى نجاحه في نسج

وما يوافقها، هذه النزعة الحسية كانت حرّية أن تفرض نفسها على الصورة الشعرية"^(٦) والعنصر الحسي في الصورة الشعرية تناوله نقادنا المحدثون وبينوا طبيعة تشكيله وحقيقة تأثيره في الصورة الشعرية، وأشكاله المرتبطة بالحواس المختلفة، وبينوا الفرق بينه وبين الإدراك العقلي الخالص، وناقشو كل هذه القضايا وما يحيط بها من تفصيات. وإذا كان الشعراء غالباً ما يعتمدون في نسج صورهم على جميع الحواس المعروفة وعلى الملكات الأخرى كالذاكرة والعقل، فهل هناك تميز بين حاسة وأخرى في بناء الصورة الشعرية؟ وهل الصور المتولدة حاسة البصر مثلاً، أجمل من الصور المعتمدة على الحواس الأخرى؟ وهل الصور المتولدة للحواس الأخرى أجمل من الصور المعتمدة على حاسة البصر؟

وهذه الدراسة، محاولة لإضافة حلقة جديدة من حلقات الدرس الفني لنصوص الشعر العربي القديم، اتبَعْت منهاجاً قائماً على قراءة ديوان الشاعر قراءة متأنية للبحث عن مواضع الصور المعتمدة على الحواس، ثم تحليلها وبيان مدى قدرة الشاعر أو إخفاقه في تشكيلها وإنجازها.

وقد اقتضى البحث أن يكون مشتملاً على هذه المقدمة، وثلاثة مطالب، هي:

- ١- الصورة البصرية.
- ٢- الصور الأخرى (السمعية، الشمية، الذوقية، واللمسية).
- ٣- الاعتماد على أكثر من حاسة لتشكيل بعض الصور، وتراسل الحواس، وخاتمة.

الصور بواسطتها.

مفعمـة بالانفعـال قـادـرة عـلـى نـقـلهـ، يـقـول رـيـتـشارـدـزـ: "من السـفـهـ أـنـ نـحـكـمـ عـلـىـ الصـورـةـ، كـمـ نـحـكـمـ عـلـىـ شـيـءـ حـسـيـ نـرـاهـ، إـنـ الـذـيـ يـبـحـثـ عـنـهـ المـصـوـرـونـ فـيـ الشـعـرـ لـيـسـ هوـ الصـورـ الحـسـيـةـ المـرـئـيـةـ، وـلـكـ سـجـلـاتـ لـلـمـنـبـهـاتـ أوـ مـنـبـهـاتـ لـلـانـفـعـالـ..."^(٢).

وفي قصيدة أخرى في المدح يتسلل الشاعر حاسة البصر؛ ليقدم خصال عليّ بن يحيى ومناقبه؛ حيث يقول:

وَجَذَنَا فَخْرَ ابْنِ يَحْيَى عَرِيضًا
ظُنَّ مَا شِئْتَ غَيْرَ ضَيْقِ الْفَخَارِ
مَلَكٌ فِي حِمَاءِ الْمُلَكِ مِنْهُ
قَسْوَرٌ شَائِكُ الْبَرَاثِنِ ضَارِ
عَادِلٌ يَتَقَىِ الْإِلَهَ وَيَغْفُو
عَنْ ذِي السَّيِّئَاتِ عَفْوًا اقْتِدارِ
أَسْكَنَ اللَّهُ رَأْفَةً مِنْهُ قَلْبًا
وَرَسَاطُودٌ حِلْمٌ فِي الْوَقَارِ
لَا تَرَالْ أَبْرَارُ تَأْمُنُ مِنْهُ
سَطْوَةً تُتَقَّىَ عَلَى الْفُجَارِ^(٤)

في هذه الأبيات، يقدم الشاعر أوصاف المدوح، من خلال حاسة البصر والخيال، مضخّماً صورته مبالغًا في الرفع من شأنه، وهي عادة جرى عليها الشعراء الأقدمون لإظهار المدوح أقوى مِنْ كُلَّ مَا وُصفَ، فعظمة المدوح كبيرة، ولك أن تعتقد ما شئت، لكن من غير الممكن أن تراه قليل الخصال الحميدة والمناقب الرفيعة، فهو ملك مطاع شبيه بالأسد الضرغام القوي المخالب المتدرّب على مواجهة

ففي قصيدة للشاعر يصور من خلالها مشهد رحيل صديقه الملك المعتمد بن عباد، عندما ألقى القبض عليه، ونقل إلى المغرب "سجلماسة"، ليزج به في السجن، يقول:

وَلَمَّا رَحَلْتُمْ بِالنَّذِي فِي أَكْفَكُمْ
وَقُلْقِلَ رَضْوَى مِنْكُمْ وَثَبِيرُ
رَفَعْتُ لِسَانِي بِالْقِيَامَةِ قَدْ أَتَثُ
أَلَا فَانْظُرُوا هَذِي الْجِبَالُ تَسِيرُ^(٣)

فالشاعر في هذه الأبيات، يعتمد حاسة البصر أساساً للتوصير، والإيحاء بشعوره وألامه، ففي البيت الأول نفهم من صورة رحيل صاحبه حاملاً الجود بين يديه، أن الشاعر لم يصدق ما ترى عيناه من القبض عليه، فحكم منطق عاطفته؛ ليقول "رحيل" عوض أن يقول "ألقي القبض عليه"، ثم يتووب إلى نفسه ليعلمنا أن هذا الرحيل ليس طبيعياً وإنما لهوله حُرّك جيلاً رضوى وثبير، وقد رمز بهما إلى أن ما طرأ على المعتمد إنما هو هدم حصاره ودين كان منبعهما أرض الحجاز؛ حيث الجبلان رضوى وثبير، ثم يمضي في البيت الثاني ليصور نفسه مذهولاً مذعوراً رافعاً صوته معلنًا أن يوم البعث قد حلّ، ويدعو السامع أن يصدق، وكيف لا، وهو يرى بنى عباد قد ساروا نحو مجھول.

وهكذا، فقد جاءت صور الشاعر في هذين البيتين من الشعر ملونة بالذهول والحسنة، مصبوغة بالضياع والفرار، مما يدل على أنه وحد فيها جميع منازعه، سواء أكانت حسية بصرية أم عقلية أم عاطفية، فولد بذلك صوراً

لَهُ بَصَرٌ مُسْتَخْرِجٌ خَبِيْلَةٌ
إِذَا الْحِسْنُ أَهَادَهُ إِلَى قَلْبِهِ السَّمْعُ
وَيَمْرُقُ بِي فِي السَّبِيقِ فِي كُلِّ حَلْبَةٍ
فَتَحْسِبُهُ سَهْمًا يَطِيرُ بِهِ النَّزْعُ.^(٩)

إن الشاعر في هذه الأبيات، رغم نزوعه فيها منزع القدماء في مماثلة الواقع، إذ الصورة عندهم غالباً ما تكون "مكتملة أمام العين المبصرة"، وهي من الناحية الشكلية تماثل الواقع تماثل مطابقةً، لكنها بعد ذلك لا تدل على تفكير حسيّ.^(١٠) رغم ذلك وجدنا أن الشاعر اعتمد على الحركة والحس ورصدهما، فجاءت صوره للحصان القوي المحرك للأرض المحدث سحابة من النقع، الحاد البصر، صاحب قصب السبق في أثناء العدو، جاءت هذه الصور ناقلة شعوراً صادقاً بجمال الحصان وروعته، ويبدو أن الشاعر هنا، توسل النظر الحسي في مشاهدة هذا الحصان وأوصله بإحساس نفسي جمالي، فنقل إلينا صورة نامية متحركة لجود رأه بعينه وروحه.

ولم تكن صور ابن حمديس الوصفية جميعها موحية بل كثيراً ما نراه في صور بصرية يقف بها عند حدود الحس دون النظر إلى ربط هذا المحسوس بجوهر الشعور والتفكير، فهو مثلاً ينقل إلينا صورة البرد، وقد تساقط ليغطي وجه الأرض، يقول:

نَثَرَ الْجَوْ عَلَى الْأَرْضِ بَرَدٌ
أَيُّ دُرٌّ لَنْحُورٍ لَوْ جَمَدٌ
لُؤْلُؤٌ أَصْدَافُهُ السُّحْبُ الَّتِي
أَنْجَزَ الْبَارِقَ مِنْهَا مَا وَعَدْ

المكاره، وهو منصف يخاف الله، عفو عن المقدرة، سكنت الرأفة قلبه، وحلمه جبل عظيم رسا عند الرزانة، والصواب وهو آمن الجانب على الصادق الأمين، مسلط على العادل عن الحق الراكب للمعاصي، ومن الطبيعي أن يعتمد الشاعر الحواس عموماً لنقل مشاعره وعواطفه إلا أنه يتوجب عليه إلا يبقى مربوطاً إلى الحس الظاهري، ويبدو أن الشاعر هنا، وفق في الجمع بين الحس والخيال فأرانا "الفخر عريضاً" و"الفخار غير ضيق" و"الرأفة تسكن القلب" و"الحلم طوداً يرسو في مرسى الواقار"، لكنه في البيت الثاني أورد صورة لم تتعود حدود المأثور عند الأقدمين، وهي جعل الممدوح مثل القسور (الأسد) وهذا النوع من الصور لاماً يضعف الأصلة عند الشاعر؛ لأنها مقتصرة على حدود الصورة التقليدية المبتذلة، فمن لا يعرف صورة "فلان أسد"؟

وفي معرض الوصف يقدم الشاعر، صورة لحصان أجرد قوي يشبه الأسد، وهو يتحرك فوق الأرض، مؤثراً فيها، محدثاً فوقها سماء من الغبار، ثم يعرض بعض جوانب هذا الحصان، فإذا هو جواد لا يمنعه شيء عن الجري، نظره قوي يمكنه من رؤية ما خفي في ظلام الليل، وسمعه حاد يساعد على ذلك أيضاً، وهو حصان له قصب السبق في جميع ميادين السباق، مثله في ذلك مثل رمح يدفعه الرامي نحو هدف ما، يقول:

وَمُنْجَرِدٍ كَالسَّيِّدِ يُعْمَلُ أَرْضَهُ
فَيَبْيَنِي سَمَاءً فَوْقَهُ، سُمْكُهَا النَّقْعُ
مَتَى يَمْنَعُ الْجَرْبُ الْجِيَادَ عَنِ الْوَتَّى
فَفِي يَدِهِ بَذْلٌ مِنَ الْجَرْبِ لَا مَنْعُ

مَنْحَتْهُ عَارِيَا مِنْ نَكْدٌ

وَأَكْتِسَابُ الدُّرْ بِالْغَوْصِ نَكْدٌ^(١١)

إنّ صورة الشاعر هنا حسية اعتمد فيها على حاسة البصر دون غيرها، ففي بداية الأبيات نقل إلينا صورة البرد منثوراً على وجه الأرض هنا وهناك، وقد أعجب بلونه وأشكاله ورأى أنه صالح أن تُحلّي به النساء نحورهن لشبهه بالدر، إلاّ أنه يستدرك ويستبعد هذه الوظيفة له، بسبب خاصية الذوبان، ثم يمضي ليقارن بين صورة البرد المتساقط بأعداد هائلة، وصورة الدر الحقيقي الذي لا يحصل عليه الناس إلاّ بالغوص في أعماق مياه البحار، وكأنّي به، يتمنى أن يكون الدر متوفراً بقدر توفر حبات البرد.

والشاعر في هذه الأبيات يقدم لنا صوراً متضافة متألقة وينقل إلينا شعوراً حسيّاً صادقاً لصورة البرد، إلاّ أنّ توسله للبصر وحده في نقل صوره دون النفاد إلى ما توحّي به أغوار النفس لممّا يضعف الصورة و يجعلها سطحية لا تعبر إلاّ على الظاهر من الأشياء. ولا نعيّب عمل الشاعر هنا، ذلك لأنّه لا شك اتبّع منهج القدماء في بناء صوره، فالشاعر القديم في أغلب الأحيان يهدف من وراء صوره إلى رسم الواقع ونقله، لكن الحقيقة أن قوة الشعر يجب أن تتمثل في الإيحاء بالأفكار عن طريق الصور لا بالتصريح بها مجردة^(١٢).

ونجد الشاعر صوراً شعرية بصرية غير قليلة في أغراضه الشعرية الأخرى، ومن ذلك قوله في رثاء عنته:

فِيَا لَيْتَنِي شَاهَدْتُ نَعْشَكِ، إِذْ مَشَى
حَوَالِيْهِ: لَا أَهْلِي حَفَّةً وَلَا صَحْبِي

وَدَفَنَكِ بِالْأَيْدِيْ الغَرِيبَةِ وَالْتَّقَّتِ
مَعَ الْمَوْتِ فِي إِخْفَاءِ شَخْصِكِ فِي حَدْبِ
فَأَبْسَطَ خَدَّيْ فَوْقَ لَحْدِكِ رَحْمَةً

وَتَسْفِي عَلَيْهِ التُّرْبَ عَيْنَائِي بِالْهَدْبِ^(١٣)

يبدو من خلال هذه الأبيات أن دور البصر يظهر عند الشاعر منذ البيت الأول، ذلك لأن استعماله للفعل "شاهدت" إنما يدل على أنه اعتمد حاسة البصر؛ لنقل صورة نعش عنته المحمول نحو مثواها الأخير، وقد سار حواليه أناس، لا هُمْ أهل الشاعر ولا صحبه، ويصور عملية الدفن التي تمت بأيد غريبة، أيدي أناس ليسوا من ذوي عنته، وهو هنا يلوح إلى أنها دفنت بعيدة عن أرضها (صقلية)، دفنت في مكان، ما شاءت أن تدفن فيه، وقد واراها التراب أناس غرباء، ويمضي في البيت الأخير متمنياً أن يبسّط خذه فوق قبر عنته، وتذري عليه عيناه بأهدابها التراب، طالباً لها الرحمة والمغفرة.

ومما يلاحظ على هذه الصور المعبرة عن مراسيم دفن عنته أنها توحّي إلى أبعد الحدود بمعاناة الشاعر، إذ رسم لنا مشاهد متحركة نراها بأعيننا، لكن براعة التصوير ودقّة العرض وربط ذلك بالإحساس النفسي، جعلها مثيرة لعواطف المتلقّي، معبرة عن أحاسيس عميقـة، وهذا يمكن الفرق بين شاعر وشاعر وبين رسام ورسام.

وفي معرض الغزل نجد للشاعر صوراً شعرية، ينقل إلينا من خلالها جمال محبوبته وبعض خبايا المرأة ودخائل نفسها، فيقول:

وَرِيْحَاتِهِ فِي النَّفْسِ مَنْبَتُ غُصْنِهَا
لَهَا نَفْسٌ يُحِيِّي بِنَفْحَتِهَا النَّفْسَا

وَأَرَاكِ قَدْ حَاوَلْتِ نَقْلَ خُطًّى

فَقَصَرْتَهَا وَعَلَابِكِ الْبُهْرُ

وَعَذَرْتُ مِنْكِ الْخَضْرَ مَرْحَمَةً

وَلَحْمِلِ رِدْفِكِ يُعْزِرُ الْخَضْرُ^(١٥)

يبدو من خلال هذه الأبيات التي اعتمد فيها الشاعر على البصر، أنه قد وفق كذلك إلى حد ما في أبياته الثلاثة الأولى؛ حيث أرانا صدّ المحبوبة له على أنه ألم بالغ الأثر في نفسه، وأرانا الحسن مجسماً يقتني جمالها، وجعل مكانتي الشمس والقمر دون مكانتها، ثم في البيتين الأخيرين يتوصل بالفعل "رأي"؛ ليصورها ثقيلة الخطى قصيرتها، متقطعة النفس بسبب الإعياء، ويعذر خصرها رحمة به؛ لأنه حُمِّل ردها الضخم وهو لا طاقة له على ذلك، ويبدو أن صور المحبوبة في هذين البيتين الأخيرين، لم تؤدّ وظيفتها داخل التجربة الشعرية؛ ذلك لأنّها لم تأت مسايرة للفكرة العامة والشعور السائد، إذ بينما توصف المحبوبة بالجمال الرائع والمنزلة العالية المنافسة لمنزلي الشمس والقمر، إذا بها في الأخير ثقيلة الخطى قصيرتها متقطعة النفس بسبب الإعياء من حمل جسمها الضخم، وهذا نوع من التناقض.

وكذلك نجد للشاعر أبياتاً شعرية يصور فيها امرأة تصوّرها حسيّاً متداولاً جسمها، وكأنه رسام ينقل إلينا صورة ماثلة أمامه، يقول:

وَنَاهِدَةٌ تَرَبَّتْ كَفَهَا

تَرَابَهَا بِسَحِيقِ الْغَبِيرِ

تَصُونُ عَلَى الْقَطْفِ رُمَانَةً

مِنَ النَّهْدِ فِي غُصْنِ بَانِ نَصِيرٍ

إِذَا أَقْبَلْتِ كَانَتْ بِتَقْوِيمِ خَلْقَهَا

وَمِشْيَتِهَا بِالشَّمْسِ تَسْتَوِقُ الشَّمْسَا

فَتَاهَ إِذَا اسْتَعْطَفَتِ بِاللَّيْنِ قَدْبَهَا

عَلَى الصَّبَّ أَصْحَى وَهُوَ مِنْ حَجَرِ أَقْسَى^(١٦)

في هذه الأبيات ينقل إلينا الشاعر صورة لفتاته الجميلة التي يراها نبتة طيبة الرائحة، لها مكانة ثابتة في قلبه ووجوده، ذات رائحة طيبة تتعشّر الروح، إن أقبلت كانت بجمال خلقها ومشيتها وحلبها أجمل من الشمس، ثم يبين لنا مدى معرفته بخبايا المرأة ودخول نفسمها، فيصورها على أنها صعبة القياد عند اللين. ويبدو على هذه الصور الجزئية لفتاة أنها موحية مثيرة للانفعال والوجود في نفس الشاعر والمتلقي؛ ذلك لأنّه ارتقى بها عن مستوى الحس الظاهري رغم وضوح ما هو بصدق نقله إلينا.

وفي الغزل دائمًا يعتمد الشاعر في الأبيات الآتية، على الرواية؛ لتصویر امرأة يبدو أنه أعجب بها، فينقل آلامه البالغة من صدّها عنه، ويبالغ فيرى الحسن مجسماً، يأخذ الجمال من وجهها، وليس هذا فقط بل الشمس والقمر دون جمالها، وأخيراً يراها تمثي غير قادر على نقل خطاهما، وقد انقطع النفس منها بسبب الإعياء، ويعذر خصرها الذي ون عن حمل ردها، فيقول:

وَأَرَى الَّذِي تَجَدِّدَ فِيَكِ لَهُ

نَفْعًا فَمِنْهُ مَسَنِي الْضُّرُّ

مِنْ وَجْهِكِ الْحُسْنُ افْتَنَى مُلَحًا

فَكَانَهَا فِي وَجْهِهِ بُشْرٌ

لَيْسَتْ تَنَالُ الشَّمْسُ مَنْزِلَةً

مِنْهَا، فَكَيْفَ يَنَالُهَا الْبَذْرُ؟

الأساسية لنسجها، ومن ذلك اللون الأحمر الذي اعتمد عليه كثيراً في رسم صوره البصرية، إذ نجده مثلاً يصف به خدّ محبوته في قوله:

لَهَا حُمْرَةُ الْيَاقُوتِ فِي خَدٍ مُخْبِلٍ
وَقَسْوَتُهُ مِنْهَا بِقَلْبٍ مُدَلِّلٍ^(١٧)

ويلوح باللون الأحمر إلى قوة مدوحة على ابن يحيى، فيقول:

أَغْرِيَ كَالْبَدْرِ يَغْلُو سَرْجَهُ، أَسْدٌ
أَظْفَارُهُ حُمْرٌ أَطْرَافِ الْقَنَادِيلِ^(١٨)

وقد يتولّ الشاعر بما يدلّ على هذا اللون، في صوره، كما نرى في افتخاره بقومه الصقليين فيقول:

وَاجْنَاحُ الرَّايَاتِ فِينَا خَوَافِقٌ
كَانَ دَمَ الْأَبْطَالِ فِيهِنَّ عَنْدُمْ^(١٩)

ومن الألوان التي اعتمدها أيضاً وبكثره، اللون الأسود، ومن ذلك وصفه لليلة حالكة، بأن ظلامها أسود سواد القار، يقول:

وَلَيْلَةٌ حَالَكَةٌ إِلَازَارٍ
مَدَّتْ جَنَاحًا كَسَوَادِ الْقَارِ^(٢٠)

وقد يتولّ الشاعر بما يدلّ على السواد الكبير، كما في قوله يصف عين الزرافه:

تَلَفَّتْ أَحْيَانًا بَعْيَنِ كَحِيلَةٍ^(٢١)
وَجِيدٌ عَلَى طُولِ الْمَوَاءِ مُظَلَّ^(٢٢)

وقد استعان باللون الأزرق لرسم صوره، ومن ذلك قوله في البركة التي رآها زرقاء بلون السماء، وقد تتبّعه بفعل ريح الفجر التي هبت عليها، يقول:

لَهَا وَجْنَةٌ صَقَلْتُ بِالنَّعِيمِ
وَنَاظِرَةٌ كُحِلتُ بِالْفُتُورِ
وَتَبْسُمُ عَنْ أَقْحَوَانِ تُرِيكَ
عَلَى نُورِهِ الشَّمْسُ إِشْرَاقَ نُورٍ
كَانَ غَدَائِرَهَا الْمُرْسَلَاتِ
أَسَاؤُدُ سَابِحَاتٍ فِي غَدِيرٍ^(٢٣)

ففي هذه الأبيات تبدو الفتاة أمامنا "كاعب غطى كفها أعلى صدرها بمسحوق العبير"، وهي "غضن بان جميل يغلوه الرمان"، "خدتها يbedo عليه النعيم"، "عيناها كحلت بالفتور"، "عند الابتسام تربينا أسناناً بيضاء تسبه زهر الأقحوان"، "أسنانها البيضاء يزيدوها نور الشمس بياضاً"، "غدائراًها المرسلات أسود تسبح في غدير".

إنّ أوصاف هذه المرأة، كما تبدو تمثل لنا صورة غزلية من النمط القديم الذي شاهدناه عند امرئ القيس وغيره، فهي تركز على الجمال الطبيعي كما تراه عيناً الشاعر، لا كما يراه وجданه وقلبه، ومن هنا فإنّ الشاعر لم يبلغ بها درجة الإيحاء والتوصير الفني اللذين يشيران إلى المعنى عن طريق غير مباشر، فيؤثران في النفس أشد التأثير، أما ما قد تركه فينا هذه الصورة من آثار لا سبيل إلى إنكارها فإنه يعود إلى طبيعة موضوعها، لا إلى درجتها الفنية.

وهناك صور يمكن أن ندرجها تحت عنوان الصور المرئية وهي: الصور اللونية؛ ذلك لأنّه لا يتم تمييزها الحقيقي إلا بالرؤيا والنظر، ومن خلال الديوان نجد ابن حمديس يستعمل اللون بصفته عنصراً مهماً في رسم لوحاته، ووسيلة

اللون للتعبير عنها وإبانتها، ولكن مهارته تكمن في قدرته على اختيار اللون المناسب لكل صورة يود بناءها، وتنظر قدرته المتميزة في معرفة خصائص الألوان عندما يمزج بينها، أو عندما تتعدد في صورة واحدة وتتزاحم.

ويبدو أن الشاعر يكثُر من مزج اللون الأحمر بغيره من الألوان، فهو يمزج الأحمر بالأخضر في وصف انهزام أداء صقلية، فيرسم صورة لدمائهم الحمراء المماثلة للخمور التي يتعاطونها، وقد احمرّ منها ورق الطبيعة الأخضر؛ حيث نشبت المعركة بينهم وبين الحسن بن علي، يقول:

وَحْمَرُ دِمَاءِ كَالْخُمُورِ الَّتِي سُقُوا
تَحْمَرَ مِنْهَا فِي الظُّبَابِ وَرَقُّ أَخْضَرٌ^(٢٧)

ويمزج اللون الأحمر والأصفر والأسود في أثناء تصويره بعض جميلات صقلية عندما ساقهن الأداء تحت دخان النفط المشتعل الذي كانت ترميه السفن الحربية، ويرينا هذه جميلات مثل بنات الزنج الملوثة وجوههن بالدخان الأسود، وفي ألسنتهن الحمراء والصفراء، يريهن إيانا، وقد تهياً، عرائس لزفهن إلى أزواجهن، يقول:

وَحَرْبِيَّةٍ تَرْمِي بِمُحْرِقِ نِفْطِهَا
فَيُغَشِّي سُغُوطَ الْمَوْتِ الْمَعَاطِسَا
تَرَاهُنَّ فِي حُمْرِ الْلَّبُودِ وَصُفْرِهَا
كَمِثْلِ بَنَاتِ الزَّنْجِ زُفْتُ عَرَائِسًا^(٢٨)

وقد يخلط الأحمر بالأبيض والأسود في مثل قوله، مصوراً نفسه لما بلغه نعي أبيه، وقد تحولت عبراته البيضاء إلى حمرة، وشعره الأسود إلى بياض، يقول:

وَزَرْقَاءِ فِي لَوْنِ السَّمَاءِ تَنَبَّهْتُ

لِتَحْبِكُهَا، رِيحٌ تَهُبُّ مَعَ الْفَجْرِ^(٢٩)

واعتمد اللون الأصفر في صياغة صوره الوصفية، ومن ذلك رسمه لصورة الخمرة الصفراء التي تبدو مثل الشمس، يقول:

وَصَفْرَاءَ كَالشَّمْسِ تَبَدُّلَنَا

مِنَ الْكَأْسِ فِي هَالَةِ مُسْتَدِيرَه^(٣٠)

ويستعمل اللون الأخضر أيضاً لنسج صوره في مثل قوله مادحاً يحيى بن تميم، واصفاً إياه بسعة الخير والإحسان والرّزق، معلناً أنه إن قصده الناس، وطلبوه فضلاته وجوده، فإنهم لا محالة تلبى رغباتهم وتقضى حاجاتهم، وينالون من خيراته الواسعة شيئاً كثيراً، وقد رمز إلى ما يملك من رزق وسعة خير بالحدائق الخضر، يقول:

رَحِيبُ ذُرَى الْمَعْرُوفِ مُسْتَهْدِفُ النَّدَى

تَنَدَّى الْأَمَانِيِّ فِي حَدَائِقِ الْخُضْرِ^(٣١)

وقد استعان باللون الأبيض في بناء صوره، ومن ذلك وصفه أسيرات الأداء أثناء سبيها، إذ يذكر الأعلاج، كما يقول، يوم أسر هذه جميلات ذات التراب البني اللائي يمشين متمايلات مثل أغصان البانة، يقول:

هَلْ تَذَكُّرُ الْأَعْلَاجُ سَبْيَ بَنَاتِهَا

بِظُبَابٍ جَعْلَنَ قَلَائِدَ الْأَجْيَادِ

مِنْ كُلِّ بَيْضَاءِ التَّرَابِ غَادَةٌ

تَمَشِّي كَفْصُنِ الْبَانَةِ الْمَيَادِ^(٣٢)

وابن حمديس دقيق في اختيار ألوانه، إذ ليست المسألة عنده مجرد تلوين الصورة، واختيار

ومن يتبع ديوانه لا شك يلاحظ انتشار الألوان في شعره بشكل واسع، ويجد أن لكل عنصر من عناصر صوره اللونية ميزة؛ ذلك لأنه عمل على تسجيلها في شعره تسجيلاً دقيقاً وقد استعان على ذلك بقدرته الفائقة على التمييز بين لون وآخر، وتوظيف حاسة البصر توظيفاً دقيقاً.

المطلب الثاني: الصور الأخرى (سمعية، شمية، ذوقية، لمسية):

لا جدال في غلبة اعتماد البصر وسيلة لنسج الصور الشعرية وبنائها، لكن الشاعر ابن حمديس لم يستغف عن الحواس الأخرى في إخراج صوره وتجسيم الإحساس بها، إذ هولا يخفى عليه ما يتحققه تعاون الحواس جميعاً لجعل مجال الصور أرحب وأوسع، ولهذا فمن يُؤْدِي إلى ديوانه، لا محالة، يَجِدُ إلى جانب الصور المرئية صوراً أخرى رائعة اعتمد فيها على السمع والشم والذوق واللمس.

١- سمعية:

لقد اعتمد بن حمديس اعتماداً بارزاً على السمع لبناء صوره، ولا أحد يجهل ما لهذه الحاسة من أهمية في فهم الأمور الذهنية الخيالية، وفي إدراك الجمال.

يرى إبراهيم أنيس أنّ وسيلة السمع ذات أهمية أكبر من حاسة البصر، أحياناً؛ ذلك لأن السمع يستغل في النور والظلم، بينما البصر لا يستغل إلا في النور، ثم إنه بإمكان الإنسان أن يدرك الأفكار والمعاني بشكل أسمى وأرقى عن طريق السمع أقل من إدراكتها عن طريق البصر.^(٣٦)

أَتَاهَا بِدَارِ النَّوَى نَغِيْهُ
فَبِيَا رَوْعَةَ السَّمْعِ بِالدَّاهِيْهُ
فَحَمَرَ مَا ابْيَضَ مِنْ عَبْرَتِي
وَبَيَضَ لِمَتَّيِ الدَّاجِيْهُ^(٣٩)

وقد تجد ابن حمديس صوراً لونية، توصل فيها بكلمة واحدة تدل على ألوان متعددة، وهي صور نلمس فيها جهداً فنياً ملحوظاً، وقدرة تصويرية بارزة، وهذا ما نراه في وصف إحدى الجميلات بأن خدها ياقوتي اللون، والياقوت كما هو معروف حجر كريم مختلف الألوان، يقول:

لَوْنُ الْيَاقُوتِ وَقَسْوَتُهُ
فِي الْوَجْنَةِ مِنْهَا، وَالْكَبِيدِ^(٤٠)

وقد يستعمل مفردة تدل على مزيج من الألوان أيضاً مثل كلمة "أكلاف" الدالة على لون السواد في صفرة أو لون السواد المشرب بالحمرة، في أثناء وصفه لأحد الطيور الحارحة، ولو أثنا نلاحظ نزوعه إلى الحوشى من الألفاظ، يقول:

وَأَكْلَفَ مِنْسَرُهُ^(٤١) دُو شَغَا^(٤٢)
كَعْطَفَةِ رَأْسِ السَّنَانِ الذَّلِيقِ^(٤٣)
ويتوسل الشاعر كلمة الحرباء بصفتها متعددة الألوان؛ ليصور دنيا علي بن أحمد الفهري بعد وفاته، فيقول:

وَدُنْيَاكَ كَالْحِرْبَاءِ ذَاتِ تَلُونٍ
وَمُبْيَضُهَا فِي الْعَيْنِ أَصْبَحَ مُسْوَدًا^(٤٥)
ويبدو من خلال دراستنا للصور اللونية التي نسجها ابن حمديس، أنه عميق الإحساس بالألوان المتنوعة، بارع براءة تامة في نسج صوره اللونية، معتمد اللون وسيلة من وسائل التصوير،

**رَقِيقَةُ أَطْرَافِ الْغِنَاءِ كَائِنَهُ
إِذَا طَافَ بِالْأَسْمَاعِ جَرْسُ الْخَلَلِ^(٣٩)**
وتتلذذ أذن الشاعر بالكلام الجميل الناقل
لنجوى المحبوبة، فيقول:

**وَشَنَفَ أَذْنِي بِالْهَوَى حُسْنُ مَنْطِقِ
بِنْجُواهُ غَازَلُتُ الْغَزَالَ الْمُشَنَّفَا^(٤٠)**
وتصوير الشاعر لأصوات المغنيات، وكلام النساء، ظاهرة طبعت شعره بطبع على قدر من الطرافة، وأشاعت فيه جوًّا من حياة اللهو التي ينقلها الشاعر إلينا، على بعد الزمان والمكان، هذه الحياة التي كان جزءً منها تلك الجلسات الغنائية والغرامية التي ما فتئ يحضرها الشاعر في المغرب والأندلس.

والشاعر في معرض مدحه للأمير "علي بن يحيى"، يصور أصوات أهل سفاقس المرددة للأدعية، شكرًا للأمير، على أنها ملحقة في السماء لدرجة أن لم تسعها السماء والأرض، يقول:
وَدُعَاؤُهُمْ لَكَ فِي السَّمَاءِ مُحَفَّ
حَتَّى لَضَاقَ بِعَرْضِهِ الْأَفْقَانِ^(٤١)

والصورة هنا واحدة، لكنها متعددة من حيث قيمتها، فالادعية متنوعة، وكل دعاء يعرض فضيلة من فضائل الأمير عرضًا مباشرًا وغير مباشر، وتتصل أطراف الأصوات معاً لتجتمع في نهاية الأمر محسن الأمير وأفضاله، ومن هنا جاء جمال الصورة.

ويتوسل الشاعر بأصوات الطبيعة الحية؛ لينقل إلينا مدى قدرته على نظم شعر مؤثر على المتلقي من جانب موسيقاه، فالمستمع وهو يقرأ

وقد برع ابن حمديس في بناء صور سمعية جميلة بسبب ما أوتيه من حس صوتي مرهف، ولعل أكثر ما تعنى به الشاعر صوت غناء المرأة إضافة إلى تصوير أصوات المخلوقات الأخرى من إنسان وحيوان وطبيعة...

وفي أكثر من موضع في قصائد الشاعر تتتابع إلينا أصوات المغنيات، وذلك على نحو ما نرى في قوله مصوّرًا إحدى الراقصات مقيدة وزن الغناء على نظام حركات أعضائها، منغمة غناءها مؤثرة به على المكرم من الناس، جاعلة إياه أمامها في هوان العبد، يقول:

**وَرَاقِصَةٌ بِالسُّحْرِ فِي حَرَكَاتِهَا
تُقْيِيمُ بِهِ وَزْنُ الْغِنَاءِ عَلَى حَدِّ**

**مُنَغَّمَةً الْفَاظَهَا بِتَرْنُمٍ
كَسَّا مُعَبَّدًا مِنْ عِزَّهِ ذِلَّةِ الْعَبْدِ^(٤٢)**

ويكاد الشاعر هنا يسمعنا صوت المغنية بوصفه الدقيق له، وينقل النغم مثيرًا ملكة الخيال حاثًا إياها على تصور الحان المغنية رغم ما يفصل بينهما وبين السامع من زمان.

ويصور الشاعر في مكان آخر منظر غير مغنيات، مثيرًا فينا حاسة السمع، معلنًا أن الحانهن عذبةٌ لطيفةٌ، تبعد عندهن الهموم عن الحزين وتشيع السرور في جوانحه، فيقول:
وَغِيدٌ لَطَائِفُ الْحَانَهَا

تُنَغِّمُهَا لِسُرُورِ الْكَئِيبِ^(٤٣)

ويرى الشاعر في موضع آخر، غناءً جارية رقيق الأطراف لطيفتها، وهو عند ترديده على آذان السامعين، أشبه بجرس الخالق، يقول:

**وَنَاطِقَةٌ بِالرَّاءِ سَجْعًا مُرَدَّدًا
كَحْسُنِ خَرِيرٍ مِنْ تَكْسُرِ جَدْوَلٍ^(٥)**

فهو هنا يحاكي صوت الحمامات محاكاة دقيقة في أثناء ترديدها حرف الراء، ثم لم ينته عند هذا الحد، وإنما أعطانا مثيله في الطبيعة، وهو خرير الماء عند انعطاف جدول، ولعل جمال الصورة لم يأت من مجرد نقل صوت الحمامات وصوت خرير المياه وإنما جمالها أيضًا فيما تحدثه الحمامات من حركة أثناء ترديدها لحرف الراء، وكذلك ما يحدثه خرير الماء أثناء انسياقه عبر الجدول.

وفي معرض رثاء القائد أحمد بن إبراهيم، يورد الشاعر ضمن قصيده بيته من الشعر يجعل فيه صهيل جياد المرثي بكاءً ونياحًا عليه:

**كَمْ جَوَادِ بَكَاكَ غَيْرَ صَبُورٍ
فَنِيَاحٌ عَلَيْكَ الصَّهِيلُ^(٦)**

وفي هذا البيت نرى أن الشاعر يصور الجياد باكية نائحة، لكن في الحقيقة ليس الأمر كذلك؛ إذ من غير المعقول أن تبكي الحيوانات وإنما منطق الشاعر العاطفي هو الذي جعله يترجم الصهيل إلى أسف وألم أو هو كما يقال أسقط شعوره الحزين على صورة الجياد الصواهل فسمع صوتها بكاءً ونياحًا، ونجاح الصورة فيرأى يكمن في هذه القدرة على إشاعة شعور الشاعر الحزين؛ ليشمل العاقل وغير العاقل.

ونظرًا إلى أن الشاعر كان متوجلاً بين البلدان الإسلامية، فإننا نرى له صوراً كثيرة طبعها بجو الحياة في الفلووات التي كان يقطعها، فهو مثلاً في جولة له في إحدى مناطق المغرب

شعره أو يسمعه لا تنقر أذنيه زفرات الحزن والأسى، لكن يسمع صوتاً قوياً حلواً أشبه بصوت الصرد وهو يتسوق إلى سماع صدأه يتزداد مراراً وتكراراً على أذنيه، ولم لا وهو شعر يجمع بين حلاوة صوت الرئم وقوه صوت الأسد:

**لَا يَسْتَمِعُ فِيهِ مُسْتَمِعٌ
زَفَرَاتٌ أَسَى كَالْمُفْتَقِدِ
فَصَفِيرُ الْبُلْبُلِ مُطَرَّخٌ
فِي الْأَيْكِ لَهُ صَوْتُ الْصَّرَدِ
تَسْتَخْسِنُ عَوْدَةً مُنْشِدِهِ
وَتَقُولُ إِذَا مَا زَادَ: زِدِ
فَبُغَامُ الرَّئِمِ حَلَوْتُهُ
وَجَزَالْتُهُ زَأْرُ الْأَسَدِ^(٧)**

وفي مكان آخر يتولى بالصوت، ليرسم بشعره صورة القوة والتأثير، فيقول:

**وَلِي كَلِمٌ كَانَ الْأَفْظَرُ مِنْهَا
يَرْشُ السَّمْعَ مِنْهُ بِالسَّهَامِ^(٨)
وَدَائِمًا نَحْسَ أَنْ لَهُ قَدْرَةً عَلَى التَّقَاطِ الصَّوْتِ
وَتَشْبِيهِهِ، إِذْ نَجْدَهُ يَصُورُ أَعْدَاءَ عَلَيْهِ بْنَ يَحْيَى
مِنَ الْصَّلَبِيِّينَ، وَيَشْبِهُ أَصْوَاتَهُمْ أَثْنَاءَ طَعْنِهِمْ فِي
نُحُورِهِمْ بِخُوارِ الْأَبْقَارِ، يَقُولُ:**

**إِذَا مَا شَأْتَ نَحْرُ الْعِلْجِ مِنْهُ
تَعَالَى بِالْحِمَامِ لَهُ خُوارُ^(٩)
وَإِلَى جَانِبِ تَصْوِيرِ الشَّاعِرِ لِأَصْوَاتِ الْبَشَرِ
نَجَدَ أَنَّهُ شُغِلَ أَيْضًا بِتَصْوِيرِ أَصْوَاتِ الْحَيَّانَاتِ،
وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ فِي مَحاكَاةِ صَوْتِ حَمَامَةِ، يَقُولُ:**

معاناة المسلمين والألمهم، وكأنني به تتقطع نفسه وتتنزق جوانحه بعد استبدال صوت الآذان رمز التوحيد برنين النواقيس رمز التثابث.

ويسجل الشاعر صوت سكب الخمرة من إبريقها، ويشبهه بتردد صوت السيد الخبرير، ذي المكانة العالية، يقول:

يُقْهِقُهُ فِي الصَّبْ إِبْرِيقُهَا

كَمَا هَدَرَ الْبَازِلُ^(٥١) الْمُقَرَّمُ^(٥٢)

والشاعر لا يبني يردد قهقهة الإبريق بصفتها صورة سمعية ينقل بها جزءاً من واقع حياة المجتمعات الإسلامية آنئذ، يقول:

إِذَا قَهَقَةَ الْإِبْرِيقِ لِلْكَأْسِ خَلْتَهُ

يُرْجِعُ صَوْتاً مِنْ عُقَابِ مُصَرْصَرٍ^(٥٣)

وبينقل إلينا الشاعر صوت الرعد في أماكن عديدة من نظمته، وربما عزا ذلك لشدة صوت الرعد، وإلى ما يحدثه من هلع وخوف عند قعقهته، مدوياً في قلب السماء الفسيح، فهو يصوره مرة، من شدة ارتفاع دويبه، يكاد يجعل فؤاد الأرض منفطرًا، يقول:

إِذَا السَّمَاءُ بِصَوْتِ الرَّعْدِ صَرَخَتْهَا

يَكَادُ مِنْهَا فُؤَادُ الْأَرْضِ يَنْفَطِرُ^(٥٤)

ويصوره مرة أخرى مماثلاً لهدير الفحل المكرم من الجمال: "سَحَابٌ رَعْدُهُ هَدِيرُ الْفَيْقِ"^(٥٦)

ويماثله مرة أخرى بهدير كبار السادة "أَصْوَاتُ الرُّعُودِ... كَانَهُنَّ هَدِيرُ الْجِلَّةِ..."^(٥٧).

ومرة يشخص السحابة فإذا بها تصرخ بصوت الرعد صرخة تملأ بها الليل الأسود أنياناً "صَرَخَتْ بِصَوْتِ الرَّعْدِ... مَلَأَتِ اللَّيْلَ الْبَهِيمَ

الموحشة يسجل على أشرطته الحساسة ما تموح به الطبيعة من أصوات الحيوانات الموحشة من مثل عواء الذئاب وبغام الغزال يقول:

صَحْبُهُمْ فِي مُوحِشِ الْأَرْضِ مُقْفِرٍ

بِهِ الدَّنْبُ يَعْوِي وَالْغَزَالُ تَبَغُّمٌ^(٤٧)

ومثل تصويره لوعودة بن آوى ونئيم البوم في البيت الآتي:

لِابْنِ آوى وَسْطَهَا وَعَوَّةُ

تُوحِشُ الْإِنْسَ وَلِلْبَوْمِ نَئِيمٌ^(٤٨)

وكذلك الأمر بالنسبة للبيت الآتي، حيث يرسم لنا صورة الذئب يعوي مهدداً الأسد في حين أن هذا الأخير لا يراه كفواً له يقول:

وَعَوَّعَ سِيدٌ عَلَى هِزَبِرٍ

فَمَا رَأَهُ الْهِزَبُرُ كُفُواً^(٤٩)

ولم يتوقف الشاعر عند تسجيل أصوات البشر وأصوات الحيوانات، وإنما نقل إلينا عبر شعره أصوات الطبيعة الجامدة، وذلك على نحو ما سجله في أثناء تصويره لمساجد سرقוסة التي حولها النصارى إلى كنائس، أصبح من حقهم أن يدقوا بها دقات النواقيس صباحاً شاؤوا أو مساءً، يقول:

وَكَيْفَ وَقَدْ سِيمَتْ هَوَانَا وَصَيَّرَتْ

مَسَاجِدَهَا أَيْدِي النَّصَارَى كَنَائِسَا

إِذَا شَاءَتِ الرُّهْبَانُ بِالضَّرْبِ أَنْطَقَتْ

مَعَ الصُّبْحِ وَالْإِمْسَاءِ فِيهَا النَّوَاقِسَا^(٥٠)

ويبدو أن الشاعر في هذه الصورة، بتوسله دقات النواقيس وتسميتها نطقاً، قد وفق إلى نقل

أَنِينَا"^(٥٨).

في إحساسه برائحة منتشرة من فتاة كالغزال،
جسمها مصدر مسك لا ينضب معينه، وهي
روضة متوعة الأزهار تُحْيِي، بما يعيق منها من
روائح، روح العاشق الولهان.

وهو يرى مرة أخرى كافورة في بياض لونها
ورائحتها، ومسكة في أريح طيبها:

كَافُورَةٌ^(٦٠) فِي بَيَاضٍ لَوْنٍ
وَمِسْكَةٌ فِي ذَكِيٍّ طِيبٍ^(٦١)

ويعطي صورة عامة عن ساقية رشيقه،
تطوف بالخمر ذاهبة آية، ويركز على تصوير
صدغها، فإذا به حلقات من الشعر معطر بمسك
مزوج بالكافور، وربما كانت الرائحة التي
تنتروع من مزيج عطرها، هي التي جلبت نظره
إلى التركيز أكثر على تصوير هذه الجزئية منها:

تَطُوفُ بِهَا مَمْشُوقَةُ الْقَدْ زَرْفَنْتُ^(٦٢)

منَ الْمِسْكِ فِي الْكَافُورِ صُدْغًا مُعَطَّفًا^(٦٣)

ويبلغ ابن حمديس مبالغة مقبولة، ليصور
المرأة مماثلة لغزال المسك تماماً:

أَغَزَالَةُ الْفُلْكِ الَّتِي عَبَقَتْ

مِسْكًا، فَقُلْتُ: غَزَالَةُ الْمِسْكِ^(٦٤)

ويمضي الشاعر مصوراً المرأة طيبة
أنفاسها: "وَطَيْبَةُ الْأَنْفَاسِ نَحْسَبُ وَصَلَّهَا"^(٦٥)،
طيباً كلامها: "يَنْثُمْ عَلَيْهَا طِيبٌ رَيَّا كَلَامَهَا"^(٦٦)،
ويصورها متخرة يعيق من ثيابها عطر
كأنه المسك: "أَمَّا تَضَوَّعَ مِنْ أَرْدَانَهَا أَرْجُ كَأَنَّهُ
مِسْكٌ"^(٦٧)، أو هي في أثناء مشيتها ينتشر منها
الطيب فتعطر به ما يحيط بها: "مُضَيَّعَةٌ لِلْطَّيْبِ
تُطَيِّبُ... تُرَابًا"^(٦٨)، وهي تحمل أنفاساً عطرة

على هذا النحو، مضى ابن حمديس في
تصوير ما يتراكم إلى حاسة سمعه من أصوات
الحيوانات وغيرها، فتارة يصورها مبيناً جمالها
أو هولها، وطوراً يقارن بينها وبين غيرها من
الأصوات الأخرى في قدرة بارعة أعلنته عليها
حاسة سمعه المرهفة اللاقطة للأصوات المميزة
بينها، ومن يعد إلى ديوانه، يجد إضافة إلى
النماذج السابقة، صوراً صوتية أخرى من
مثل "صفيراً لبلابل" و"بغام الرئم" و"زئير
الأسد" و"هديل الحمام" و"أصوات الطيور بصفة
عامة" و"نعم الناي" و"صوت العود" و"جرس
الخلال" و"نطق الرزايا" و"ألحان الردى" وما
إلى ذلك ...

٢- شميّه:

اعتمد ابن حمديس على حاسة الشّم، وقدّم لنا
بعض الصور، نشعر لدى قراءتها أن الشاعر
يتمتع بحسنة شمية دقيقة، لها قدرة بارعة على
التمييز بين أنواع العطور من الطيب والمسك
والعبير والكافور وما إلى ذلك. ويبدو من خلال
الديوان أن الشاعر، ركز كثيراً على ما يتعلق
بعطور المرأة وروائحها، فهي مرّة في نظره
روضة يعيق منها أرج مسك لا نهاية لرائحته
الطيبة كما في قوله:

أَوْ نَفْخَةٌ تَعْبُقُ مِنْ رَوْضَةٍ
تُحْيِي مِنَ الصَّبِّ رَمِيمَ الْعِظَامِ
غَزَالَةُ السَّرْبِ الَّتِي جِسْمُهَا
مَعَانٌ مِسْكٌ مَا عَلَاهُ خَتَام^(٦٩)
إن المتأمل لهذين البيتين، ليرى جمال الصورة

رائحة المسك الطيبة، بارزةٌ في ثوبها الأصفر،
جالبةٌ نظر متناولاتها، حاثةٌ إياهم على استنشاق
أريجها الطيب وعلى تعاطيها أكثر فأكثر.

ويصور رياً عبير الخمرة مزيلاً هموم
المحزون، فيقول:

وَحَمْرَاءَ تَنْشُرُ رَيَا الْعَبِيرِ

وَفِي طِبِّهِ فَرَحٌ لِلْحَزِينِ^(٤)

وفي هذا الموضع، يعتمد الشاعر حاسة الشم
أيضاً؛ ليعطيانا صورة حسية جميلة لرائحة الخمرة
الحرماء، فيرينا إياها مُعْتَقَةً ينتشر أريح عبيرها،
حاملاً بين طياته ما يخلص المهموم من الشدة
والغم. والحقيقة أن المدمن على المشروبات
الكحولية والمنبهات يرتاح كثيراً عندما يشم
شذاها، وهذه التجربة تصدق كثيراً على رائحة
القهوة بصفتها من المواد التي يُدمَنُ عليها، وهي
تجربة عند غير قليل من الناس.

للشاعر مع الخمرة شؤون، فهو لا يني
يذكرها في جميع أغراضه الشعرية، ومن ذلك
- على سبيل المثال لا الحصر- أنه أيضاً صور
رائحتها من شدة قوتها، أن لوشمنها صاح، لا
يؤثر فيه تعاطي الخمرة؛ لأنسرع إليه السكر،
وفقد توازنه، فيقول:

لَوْشَمَّهَا صَاحٌ عَسِيرٌ سُكْرُهُ

تَحْتَ لِثَامٍ فِدَامٍ^(٧٥) لَطَفَحٍ^(٧٦)

ويعتمد الشاعر حاسة الشم لبناء بعض صوره
المধية، مركزاً على الجوانب المعنوية فيه،
فيقدم أخلاق ممدوده، يحيى بن تميم، طيبة،
فيقول:

وَكَانَ طِيبٌ ثَنَائِهِ أَرجَّعْ

عَنْ رَوْضِهِ يَتَنَفَّسُ السَّخْرُ^(٧٧)

بين طياتها مسک السلام: "...تَحْمِلُ أَنفَاسُهَا
لَطَائِمًا^(٦٩) ضُمَّنَ مِسْكَ السَّلَامِ"^(٧٠)، ويرسم
لها مرة أخرى صورة لعربيٍ صدغيها على
أنهما من عنبر: "وَعَفْرَابًا صَدْعَنِيكَ مِنْ عَنْبَرِ...".^(٧١)
ويصور ها ناقلاً منها عاشقها ريا العبير، ومن
ربوع بلادتها أريح الخزامي يقول:

تَحْمَلَ مِنْهَا بِرَيَا الْعَبِيرِ

وَمِنْ أَرْضِهَا بِأَرِيحِ الْخَزَامِي^(٧٢)

وهكذا فالمرأة في شعر ابن حميس، غالباً ما
توصف، وهي متغطرسة، نكاد نشم رائحة المسك
أو العنبر أو الطيب أو الكافور، تتضوئ منها،
ويبدو أن الشاعر باستخدامه لأنواع الروائح،
إنما يريد أن يرسم صوره بالجمال الحسي المتواصل
لحاسة الشم، وينقلها إلينا عطرة متغطرسة جميلة
رائعة، مثلها مثل النساء الجميلات المتزينات
بمختلف وسائل الزينة؛ ليظهرن أنوثات ذوات
أريح ذكي طيب ساطعةٍ رائحة، كلما انتشر
شذاها، زاد مستنشقوه إقبالاً عليه وطلبو الاستزادة
منه.

ويستخدم الشاعر حاسة الشم؛ ليصور الخمرة
بمختلف أنواعها وروائحها، فهي تهدى أرج
المسك، في قوله:

فَإِذَا فُضَّ خَاتَمٌ عَنْهُ أَهْدَتْ أَرجَ

الْمِسْكِ وَهِيَ فِي شَوْبِ نَارِ^(٧٣)

يجسم الشاعر من خلال هذا البيت أرج
الخمرة، حينما فض خاتم الذِّيل الممتليء بها، وتُزِّع
عنه غطاوه؛ ليُشرع في توزيعها على الجمع،
ويُستشف جمال الصورة في براعة تقديمها، إذ
نراها ونشم شذاها، فإذا هي عطرة تعبق منها

خاضعاً، لا يُسمع منه إلاّ الكلام الطيب العَرِفِ:
"مُطَيِّبُ الذِّكْرِ... عَرْفُهُ مِنْكَ بِكُلِّ فَمٍ".^(٨٠)

ولم ينس الشاعر في معرض مدح يحيى بن تميم أن يصف ريح بلدته بالرحمة ويرجوها أن تتعش الساهر في أرجائها، وتترك من لا يود أن يغتنم فرصة استنشاقها والتلذذ بها، ويرينا إياها متقطبة بالأرض التي عبت رائحتها وأنثقل نداها بشتى أنواع العطور الطيبة، يقول:

فِيَارِيْحِ إِنَّ الرُّوْحَ^(٨١) فِيكَ فَعَلَّيِ^(٨٢)

بِهِ سَاهِرًا، وَقْفًا عَلَى ذِكْرِ نَائِمٍ
تَطَيِّبُتْ بِالْأَرْضِ التِّي طَابَ تُرْبِهَا
وَمَجَّ نَدَاهَا النَّدَّ^(٨٣) فِي أَنْفِ لَاثِمٍ^(٨٤)

ويستعمل الشاعر حاسة الشم؛ لبناء بعض صوره الشعرية في مواضع أخرى، ومن ذلك قوله في عزاء أبي الحسن علي في ابنه:

أَمْسَى دَفِينَا وَلَمْ تُدْفَنْ مَفَاخِرُهُ
كَالْمِسْكِ يُطْوِي، وَنَشَرْ مِنْهُ يَنْتَشِرُ^(٨٥)

والبيت هنا صورة لابن أبي الحسن المتوفى، ويبدو جماله في قدرة الشاعر على توسل حاسة الشم، لتصوير المتوفى مدفوناً إلاّ أنّ مفاخره لم توار التراب؛ ذلك لأنها أشبه برائحة مساك وعطر لا نراها بالعين المجردة لكن نحس بها منتشرة هنا وهناك.

وفي موضوع آخر، يرثي الشاعر القائد عبد الغني، ويصف الأرض التي توفي فيها بأنها أرض تُهدي من المرثي رائحة طيبة ذكية "... لَتُهَدِّي رِيْحُهَا مِنْكَ عَرْفَ مِسْكِ ذَكِيٍّ".^(٨٦)

وفي وصف منازل أهل صقلية والحنين إليها،

وفي هذا البيت يلمح جمال الصورة في جعل الأشياء المعنية محسوسة، ذلك أنّ الشاعر أرانا أخلاق المدوح، طيباً أرجوها، صادرةً رائحتها عن جنة من الجنان الساحرة.

ويقدم الشاعر مدوحاً آخر هو الحسن بن علي مركزاً دائماً على الجوانب المعنية، فيقول:

إِلَيْكَ طَيِّبَ رَوْضُ الْمَدْحِ نَفْحَتَهُ
لَمَّا تَفَتَّحَ فِيهِ بِالنَّدَى زَهْرُ
يَجُوبُ مِنْهُ ذَكِيُّ الْمِسْكِ كُلَّ فَلَّا
وَيَغْبُرُ مِنْهُ الْعَنْبَرُ الْذَّفَرُ^(٧٨)

وصورة المدوح في هذين البيتين جميلة أيضاً، تتناسب ومقامه، إذ جعله منها للرائحة الطيبة يأخذ منها الشاعر حاجته؛ ليطيب بها ما ينظم من شعر في المدح، فرائحة كرم المدوح وجوده وشجاعته، تمدّ الشاعر بالقدر اللازم من العطر؛ ليخرج قصائده المدحية طيبة، مثلها في ذلك مثل الندى الذي يفتح أكمام زهور الروض؛ لتنتشر منه مختلف أنواع الروائح، وبهذا أرانا الشاعر نظمه متضوغاً منه أريج المسك والعنبير المستمدّين من المدوح، ويبالغ على طريقة القدماء؛ ليصور رائحته العطرة شاملة كل الأرجاء والأنحاء "يجب منه المسك كل فلا".

وابن حمديس يلجا إلى هذا الضرب من التصوير؛ لبناء صوره المدحية في أماكن غير قليلة، إذ نراه مثلاً يجسّم التحية ويرسلها طيبة العرف إلى المدوح؛ ليستنقها، ويتلذذ بعبيرها، "أبا الحسن انتشق... سلاماً... تسيمه مسكي".^(٧٩) ويصف رسول ملك قسنطينة، الذي جاء يستعفي منه غزو بلاده بالهدايا، ويصوره عطر الذكر،

يركز على تربتها الطيبة فيصورها لنا عطرة **نُطَيْبُ الْهَوَاء** "... فَمَعَانِي^(٨٧) الْهَوَاء يُطَيْبُ طِبَّ تَرَاهَا الْهَوَاء"^(٨٨)، وفي مستهل مقطوعة شعرية، يصف الشاعر نسيم يوم جميل، ويشرك المتنافي في شم هذا النسيم الممزوج عطره بالكافور والمسك، يقول:

يَوْمٌ كَانَ نَسِيمَهُ

نَفَحَاتُ كَافُورٍ وَمِسْكٍ^(٩٠)

٢ - ذوقية:

إذا كانت حاسة السمع، تتمثل الأصوات والموسيقى وإدراك الأفكار المسموعة، فإن حاسة الذوق هي أيضاً مهمة في إدراك الجمال؛ إذ يلجم إليها الشاعر في كثير من شعره؛ ليقدم لنا صوراً نحس لدى قراءتها أن لسانه فيها يتلمس مواطن الجمال والفن، فيصور لنا في أساليب مختلفة طعم الرُّضاب والريق والشهد والسلاف والمدام والحلوة والسم وغيرها، ويبدو أنّ الشاعر مركز أكثر في صوره الذوقية على رضاب المرأة وريفيها، وفي البيت الآتي، مثلاً، يرسم لرضاب محبوبته صورة يصفه فيها بالسلافة:

أَرْضَابُ فِيكِ سُلَافَةُ، نَشَوَاتُهَا

يَمْشِينَ مِنْ طَرَبِ بِقَدِّكِ رَاقِصاً^(٩١)

والصورة هنا يؤدي الذوق فيها دوراً مهماً، فرضاب المرأة أفضل خمرة، سكرها يسري نشوان عبر قدماها الراقص، ونجاح الصورة، نراه في قدرة الشاعر على الجمع بين الذوق وتجسيم المعنوي والحركة: "الرضاب سلافة، نشواتها يمشين، القد راقص"، إذا فالصورة الذوقية هنا غير جامدة، نابضة بالحياة، يتحرك فيها كل

شيء، فهي صورة نامية.

وفي البيت الآتي يصور رضاب المحبوبة فستقاً وتفاحاً، يقول:

مَازِلْتُ أَشْرَبُ كَأسَهُ مِنْ كَفِهِ
وَرَضَابُهُ نُقلَّ عَلَى مَا أَشْرَبُ^(٩١)

فالشاعر في هذا البيت، ينقل إلينا صورته، فإذا هو يتعاطى الخمرة من كف المحبوبة، أما رضابها فلذته لذة تفاح وفستق، وقد وفق الشاعر في تشبيهه الرضاب بالمكسرات والفاكه، إذ عبر بذلك عن الذوق العام للمجتمعات الإسلامية الحالية التي هي امتداد لعصر الشاعر؛ حيث ما زالت العائلات العربية الإسلامية في لقاءاتها في الأفراح والأعياد وفي السهرات، مازالت تفضل أن تتناول المكسرات والفاكه إلى جانب المشروبات، أقصد غير الكحولية.

وفي مكان آخر، يقدم الشاعر صورة لمعاناته، لما حرمته محبوبته من التلذذ برضابها العذب، "وَمَنْعَثْتِي... جَئِ الرُّضَابِ الْمُسْكِرِ".^(٩٢) ويصفها في موضع آخر بمجموعة من الصفات الجميلة، ويخص بالذكر رضابها الصافي الرائق الممااثل للندى، ليقول: "... وَالظَّلُّ الرُّضَابُ".^(٩٣)

ويكثر الشاعر، أثناء نسجه للصور الذوقية من تصوير ريق المحبوبة، فيرينا نفسه وقد أمسى بماء الشفاه السمراء مشفيًا غليله ومُبَرِّنًا نفسه من المرض، إن ريق المحبوبة طاب له وأسكنه، فهل هو خليط من العسل والخمر؟! يقول:

فَأَمْسَيْتُ بِهَا بِمَاءِ الْمَرَى
أَرْوَى أَوَاماً ^(٩٤) **وَأَشْفَى سِقَاماً**

ونجد الشاعر في أماكن أخرى يصف كرم المدوح بماء نمير، ويصف الحرب، وطعم السم والشهد ونبذ العسل والعلقم، والحلوة والمرارة وما إلى ذلك.

ففي معرض مدحه لعلي بن يحيى، يقول:

تَحْسُبُ الْبَحْرَ بَعْضَ جَدْوَاهُ لَوْلَا

أَنَّهُ فِي الْوُرُودِ عَذْبٌ نَمِيرٌ^(١٠٢)

فهو على غرار قدماء الشعراء يبالغ في هذا البيت، فيصور البحر بوافر خيراته ببعضًا من كرم المدوح، ويُفصّل الصورة متسللاً حاسة الذوق؛ ليحبّ عطايا المدوح "عذب نمير"، ويجعل ما يزخر به البحر دونها "البحر بعض جدواه"، وهو لا شك بهذه الصورة بلغ هدفه المادي إزاء المدوح، أو على الأقل، عبر عما يجيش في جوانحه من أمان، ورسم صورة للمدوح، كما تمنى أن تكون في الواقع، لا كما هي موجودة، إذ من غير المعقول أن تعدد خيرات البحر الكثيرة ببعضًا من عطايا الشاعر وسخائه، لكن الحكم في هذا المقام فرض نفسه بإسناده إلى منطق الخيال والعاطفة.

وفي مدح آل عباد، يصفهم الشاعر بالشجعان الذين بنوا قدراتهم القتالية من ألبان أداء الحرب، ويوظف الذوق؛ ليُنقل إلينا صورتهم مقبلين على هذه الألبان؛ أي على الحروب والمعارك بِنَهَمْ، مستطبيين لها، رغم أنها مثل العلقم مرارة، يقول:

بَئُو الْحَرْبِ غَنَّتُهُمْ لَبَانُ ثُدِّيهَا

وَلَمْ يَسْتَطِيُوْا مِنْهُ إِلَّا الْعَلَاقَمَا^(١٠٣)

وفي وصف الشاعر لله سبحانه عزّ وجلّ، في أثناء رثاء القائد أبي الحسن، يتسلل حاسة

حَلَالِيٍّ وَأَسْكَرَنِي رِيقَهَا

فَهَلْ خَامِرَ الْأَرْبُ^(١٠٤) **مِنْهُ الْمُدَاما**^(١٠٥)

والبيتان هنا صورٌ جزئية توسل فيها الشاعر حاسة الذوق لإخراجها "ماء اللّمّى، أَرْبُّى أوَاماً، حَلَالِيٍّ وَأَسْكَرَنِي رِيقَهَا، فهل خامر الأربُّ منه المُدَاماً".

ويلاحظ توفيق الشاعر هنا؛ حيث استطاع بهذه الصور أن يجسم أمامنا ذوق ريق المحبوبة، فإذا هو حلو شبيه بمزيج من العسل والمدام، والشاعر قبل عليه مشف غليله، متلذذًّا بحلوته، ولا شك أن المتنقي، وهو يستقبل هذه الصور الجزئية، يتمثل إحساس الشاعر تمثيلاً جيداً.

ويصف الشاعر ريق المرأة في مواضع أخرى، إذ يرسم صورة لمحبوبته التي مرت متخترة متمايلة كأنها سكرى من ريقها الشبيه بـ^{بسلاف الكرم}:

مَرَّتْ تَمِيسْ فَقُلْتُ: هَلْ سَكَرْتْ

مِنْ رِيقَهَا بِسُلَافَةِ الْكَرْمِ^(١٠٦)

ويرينا في موضع آخر ريق المرأة يُبَرِّ الشهد حلاوةً ولذةً:

فَلَا تَكُ مِنْهَا ظَالِمًا لِصَفَاتِهَا

عَلَى التَّغْرِيْبِ بِالْأَعْرِيْضِ^(١٠٧) **وَالرِّيقِ بِالشَّهْدِ**^(١٠٨)

ويصف ريق امرأة جميلة بأنه أخ المدام "... فَمِنْ فِيهِ أَخُو الدُّرْ وَأَخْتُ الْمُدَاماً"^(١٠٩).

ويصف الشاعر في بيت آخر نفسه يقطف، متلذذاً، ما حواه فم المحبوبة من ريق منعش لذذ يطفئ به غليله:

وَأَجَتَنِي مُسْتَطِيْبَا مَا حَوَاهُ فَمَ

مِنْ مَاءِ ظَلْمٍ بِرُودٍ يُطْفِيْ الْحَرْقَافَ^(١٠١)

٤ - لمسيّة:

إن الشاعر بصفته فناناً، لم يكتف بالاعتماد على الصور البصرية والسمعية وغيرها، وإنما أشرك إلى جانب هذه الحواس، حاسة اللمس؛ ليصور ما يحسه من ليونة وحرارة وبرودة نوعية وخشونة، يرى جان ماري جويتو أنّ اللمس: "يتتيح لنا أن نشعر بإحساسات فنية من كل نوع حتى ليس بإمكانه أن ينوب عن مناب البصر إلى حد بعيد، وإذا كانت حاسة اللمس عاجزة عن إدراك الألوان، إلا أنها تطلعنا على ناحية جمالية لا تستطيع العين وحدها أن تطلعنا عليها، كالنعومة والرخاؤة والملاسة؛ فجمال المholm لا يقوم على لمعانه فحسب، بل على نعومة ملمسه كذلك، وحين نحكم على امرأة بالجمال فلا شك أنّ محملية بشرتها عنصر أساس في الفكرة التي قامت في أذهاننا عن جمالها. والألوان نفسها تستند بعض جمالها من اقترانها بملمس ناعم، فبريق الشعور الشقر أو السود مرتبط بالملمس الحريري الذي تحسه الأصابع، وهي تداعب هذا الشعور" (١٠٨).

ويبدو من خلال قراءة الديوان أن الشاعر مهمتهم بوصف بعض جوانب المرأة المرتبطة بحسنة اللمس، والتي استمالت إحساسه واسترعت نظره، فهو يستخدم اللمس في تصوير مواطن حمال المرأة، بقول:

تَرَى الْوَرَةَ الْمُخْضَرَةِ فِي الْحِجَرِ الصَّلْدِ
(١٠٩)

وَمَا يُسْتَرِعِي الانتباهُ هُنَا هُوَ أَنَّ الصُّورَةَ
إِشَارَةً إِلَى لِيُونَةِ جَسْمِ الْمَرْأَةِ وَمَمَاثِلَتِهِ بِالْوَرْقِ
الْأَخْضَرِ الْغَضْرِ النَّابِتِ بَيْنَ الْحِجَارَةِ الْصَّلَدَةِ،

الذوق؛ ليبين لنا أن عدله المطلق أرانا حكمه ذا طعمين، طعم يقطع أو صالحنا ويزيقنا السم الناقع، وطعم ينعشنا، ويزيقنا حلاوة العسل ولذته، يقول:

وَمُخْتَلِفُ الطَّعْمَيْنِ مِنْ طَبْعِ عَادِلٍ

فَطَعْمَ لَهُ سُمٌّ، وَطَعْمَ لَهُ شَهْدٌ (١٠٤)

ويوازن الشاعر بين نوعين من الخمور
موظفاً حاسة الذوق مفضلاً خمرة بنت الكرم
على نبيذ العسل من حيث الطعم، يقول:

وَتَبْلُغُ بِنْتَ الْكَرْمِ مِنْ فَرْجِ الْفَتَى

بِلَذِتِهَا مَا لَيْسَ يَبْلُغُهُ الْبَتْعُ (١٠٥)

وتردد كلّتا الشهد والعلم في نظم الشاعر،
وذلك مثل ما رأيَناه له في معرض افتخاره
بقومه الصقليين الذين صمدوا في وجه الأعداء
النورمانديين، صمود الشجعان وما ذاقوا لذة
الشهد وحلواته إلاّ بعد أن نهلو من مرارة العلم
ما نهلوه، أي أنهم لم يحققوا النصر المبين على
أعدائهم، إلاّ بعد أن خاضوا معارك دامية، لقوا
ما لقوها فيها من مشقة وهو از:

صَبَرْنَا لَهُمْ صَبِرَ الْكَرَامُ، وَلَمْ يَسْعُ

لَنَا الشَّهْدُ إِلَّا بَعْدًا سَاعَ عَلَقْمٌ (١٠٦)

وكما ترددت كلمتا الشهد والعلقم في شعر ابن حمديس، ترددت كذلك كلمتا الحلاوة والمرارة، وتوسل بها الشاعر؛ لبناء بعض صوره الشعرية الذوقية، ومن ذلك وصفه مرارة إيايه بعد لقاء المحبوبة مهدمة حلاوة مجيبة إليها والاستعداد للقاءها، فتفقهوا.

فَفَضَّلْتُ حَلَوةَ مَوْرِدِي

مِنْهُ مَرَأَةٌ مَصْدَرِيٌّ (١٠٧)

وهو في معرض رثائه القائد عبد الغني،
يصور دموع الباكين عليه المتأثرين بوفاته،
أنها تسيل جارية على الخود، ومن شدة حرها،
يشبهها بالجمر المحرق، فيقول:

تَذْرِفُ الْعَيْنُ مِنْهُ جَرْيَةً مَاءٍ
تَطَا الْخَدَّ وَهِيَ جَمْرَةٌ كَيٌّ

ويرسم صورة للشمس وقد ألت أشعتها
المحرقـة على رمل الصحراء، فحولـته إلى رماد
ما زالت حرارة النار تتبعـث منه:

إِذَا الشَّمْسُ أَحْيَتْ فِيهَا^(١١٤)، خَلَّ
رَمْلَهَا رَمَادًا، وَقُوْدُ النَّارِ فِيهِ قَرِيبٌ

أثر الحواس
في تشكيل
الصور
الشعرية في
شعر ابن
حمديـس

ويمضي في القصيدة نفسها؛ ليصور الحربـاء
مستقبلـة أشـعة الشمس المحـرقـة دون أن يـبدو
شـحوبـ على وجهـها، "...سـوـامـ الشمس لم يـشوـ
وجهـه ولا لـاحـ منه...شـحوبـ".^(١١٦) ويـشيرـ إلى
شيـ الـوجـوهـ فيـ بـيتـ آخرـ عنـدـ وـصـفـهـ لـسـفـيـنةـ
حـربـيـةـ، يـقولـ:

كَانَ الْمُهْلِـ فـي الـأـنـبـوـبـ مـنـهـ
إـلـىـ شـيـ الـوـجـوـهـ لـهـ اـبـتـدـاـرـ

فهو هنا يـصورـ المـادـعـ الحـربـيـةـ مـمـلـوـءـةـ
أـنـابـيـلـهاـ بـمـعـادـنـ ذـائـبـةـ، منـ اـقـرـبـ منـهاـ أحـسـ بـلـفـحـ
حرـارـتهاـ، وـهـذـهـ الصـورـةـ رـغـمـ ماـ يـبـدوـ عـلـيـهاـ منـ
تقـرـيرـيـةـ، إـلـاـ أـنـاـ نـلـمـحـ مـنـ خـالـلـهاـ رـغـبةـ الشـاعـرـ
الـمـلـحةـ فـيـ أـنـ شـوـىـ وـجـوـهـ الأـعـدـاءـ بـخـلـيـطـ منـ
ذـائـبـ الـمـعـادـنـ الذـيـ تـقـنـفـ بـهـ مـادـعـ السـفـيـنةـ،
وـبـذـاكـ يـنـالـ ثـارـهـ مـنـ اـسـتـولـواـ عـلـىـ فـرـدـوسـهـ
المـفـقـودـ، صـقلـيـةـ.

وـاعـتمـدـ ابنـ حـمـديـسـ، عـلـىـ حـاسـةـ الـلـمـسـ؛

وتـقـدـيمـ بـشـرـتـهاـ طـرـيـةـ لـيـنـةـ بـادـيـةـ عـلـيـهاـ عـلامـاتـ
الـنـعـمـةـ وـالـرـفـاهـيـةـ.

وفي مـوـضـعـ آخـرـ يـرـسـمـ الشـاعـرـ صـورـةـ لـمـسـيـةـ
أـخـرىـ لـجـسـمـ مـحـبـوبـتـهـ؛ إـذـ يـقـدـمـهـ فـضـيـ اللـونـ لـيـنـاـ
مـلـمـسـهـ "جـسـمـ لـجـيـنـ نـاعـمـ مـلـمـسـهـ"^(١١٠) وـالـصـورـةـ
هـنـاـ رـغـمـ أـنـهـ تـبـدوـ لـوـهـلـةـ الـأـولـىـ مـبـاشـرـةـ، إـلـاـ
أـنـ الإـيـحـائـيـةـ التـيـ نـتـلـمـسـهـ بـيـنـ طـيـاتـهـ قدـ قـوـتـهـاـ
وـأـفـضـتـ عـلـيـهـ مـزـيدـاـ مـنـ الـجـمـالـ، "فـالـجـسـمـ
الـجـيـنـ" يـوـحـيـ بـالـرـفـاهـيـةـ وـالـنـفـاسـةـ، "وـنـعـومـةـ
الـلـمـسـ" تـوـحـيـ بـالـرـفـاهـيـةـ وـسـعـةـ العـيـشـ وـالـمـكـانـةـ
الـاجـتـمـاعـيـةـ الـمـرـمـوـقـةـ.

وفي مـعـرـضـ تـغـزـلـ الشـاعـرـ بـإـحدـىـ الـجمـيلـاتـ،
استـعـملـ عـبـارـةـ "لـذـعـ الجـمـرـ" يـقـولـ:

كَرْبُ هَوَاكِ وَمَالَهُ فَرَّاجُ
وَمَتَى يُفَارِقُ لَذْعَهُ الْجَمَرُ

فيـ هـذـاـ الـبـيـتـ يـصـوـرـ الشـاعـرـ عنـ طـرـيقـ
الـلـمـسـ حـزـنـهـ وـمـشـقـتـهـ مـنـ حـبـ مـحـبـوبـتـهـ الذـيـ كـواـهـ
حـرـهـ، وـطـرـافـةـ الصـورـةـ جـاءـتـ مـنـ كـوـنـهـاـ، تـجـسـمـ
الـمـعـانـةـ وـتـقـدـمـهـاـ مـلـمـوـسـةـ رـغـمـ أـنـهـ فـيـ الـحـقـيقـةـ
معـانـاةـ نـفـسـيـةـ تـأـثـيرـهـاـ نـشـعـرـ بـهـ، لـكـنـ مـنـ غـيرـ
الـمـمـكـنـ أـنـ نـرـجـعـهـ إـلـىـ حـاسـةـ بـعـينـهـاـ.

وـقـدـ أـكـثـرـ الشـاعـرـ خـلـالـ صـيـاغـةـ صـورـهـ
الـشـعـرـيـةـ الـلـمـسـيـةـ مـنـ ذـكـرـ الجـمـرـ وـالـشـمـسـ وـالـنـارـ
وـمـاـ تـسـبـبـهـ حـرـارـتـهـ مـنـ أـذـىـ مـادـيـ وـنـفـسـيـ، وـذـلـكـ
عـلـىـ نـحـوـ مـاـ نـازـرـىـ لـهـ فـيـ تـصـوـيرـ عـشـيقـةـ لـهـ سـنـحتـ
لـهـ الـفـرـصـةـ لـلـقـائـهـ، إـلـاـ أـنـهـ وـهـيـ مجـتمـعـهـ بـهـ،
كـانـتـ أـشـبـهـ بـوـاضـعـ قـدـمـهـ عـلـىـ جـمـرـةـ رـبـماـ خـوـفـاـ
مـنـ الرـقـبـاءـ:

كَانَتْ وَقْوَافِ بـنـا زـيـارـتـهـ
كـوـاضـعـ فـوـقـ جـمـرـةـ قـدـمـهـ

لديوانه، لا محالة، يلاحظ توظيفه للحواس الأخرى بشكل ملحوظ، وكان السبق لحاسة السمع بعد البصر، إذ الأذن، كما هو معروف لها دور مهم في صياغة الشعر، كما أن الشاعر وهو يغلب البصر والسمع، إنما: "يتماشى مع ما يردهه النقد الحديث من أنهما معاً يشكلان جوهر الشعر"^(١٢٣)، وبعد الصور السمعية يلاحظ من قراءة الديوان أنّ صوره الأخرى، تأتي حسب الترتيب الآتي؛ الشمية ثم الذوقية ثم اللمسية: "والترتيب النسبي ليس واحداً عند الشعراء عادة، وهذا ما دفع نقاد الغرب إلى تصنيف بعض الشعراء عندهم والمقارنة بينهم على أساس هذه القاعدة"^(١٢٤).

المطلب الثالث: الاعتماد على أكثر من حاسة لتشكيل بعض الصور، وتراسل الحواس.

أ. الاعتماد على أكثر من حاسة لتشكيل بعض الصور.

إن الشاعر في تشكيل بعض صوره الشعرية، غالباً ما كان يعتمد على أكثر من حاسة لإخراجها، ويتجلى ذلك - على سبيل المثال - في وصف مجلس أنس وطرب؛ حيث يقول:

فِي رَوْضَةِ غَنَاءِ غَنَّتْ بِهَا
فِي قُضْبِ الأَوْرَاقِ فُزْقٌ فِصَاحٌ
لَا يَعْرُفُ النَّاظِرُ أَغْصَانَهَا
إِذَا تَثَنَّتْ مِنْ قُدُودِ الْمِلاَحِ
كَأَنَّ مَفْتُوتَ عَبِيرِهَا
مُطَيَّبٌ مِنْهُ هُبُوبُ الرِّيَاحِ^(١٢٥)

ليبعث إحساساً داخلياً أحسته محبوبته، يقول:

تُمَرِّضُ مُقْلَةً لِيَصِحَّ وَجْدًا

تَوَارَى فِي الضُّلُوعِ لَهُ أَوَارٌ^(١١٨)

إنّ الصورة هنا تعبر عن حب مستتر بين جوانح العاشقة، وبيدو جمالها في قدرة الشاعر على نقل حرارة هذا الحب، وجعل المتألق يتمثل معه تجربته الشعرية المصورة لمعاناة هذه العاشقة.

وفي موضع آخر في معرض تصوير الشاعر للخمرة، نجده يتسلل لفظة "المس"، ويصف عملية مزج الماء بالخمرة، مصوراً إياها مندفعاً، وقد تتطاير شرارٌ منها، لما لمسها الماء، وكأنها تود أن تبقى محافظة على صفاتها ونقائتها وتميزها عن الماء، يقول:

أَنْكَحُوا عِنْدَ مَرْجِهَا، الْمَاءَ نَارًا

فَارْتَمَتْ عِنْدَ لَمْسِهِ بِالشَّرَارِ^(١١٩)

ويستعمل الشاعر المس في وصف بعض الأشياء، من مثل تصويره لدرع عليٌ أنها لينة الملمس غير خشنة "لَهَا لِينٌ لَمْسٌ لَا يَخَافُ خُشُونَةً"^(١٢٠)، ويصور في موضع آخر قطرات ماء الحمام الحارة، ويشدّها من شدة حرارتها بأنها سهام موجهة إلى جسمه واقعة عليه مؤذية له، ويتخيلها ناراً متلهبة في عظامه "...قَطَرَاهُ صَابَبَتُ السَّهَامِ"^(١٢١)، و"تَحَيَّلُتْ إِيقَادَهَا فِي عَظَامِي"^(١٢٢).

وهكذا فإنّ صور الشاعر الحسية تق旁وت فيها اعتماده بين حاسة وأخرى؛ حيث نلاحظ أنه أعطى الغلبة للبصر، وهذا أمر طبيعي عند شاعر يتمتع بسلامة هذه الحاسة، إلا أن الدارس

الشاعر ورغبتة، بل عن تجربته الخاصة إزاء لذتي تعاطي الخمرة وسماع الغناء؛ فهو يرجو من المعني أن يزيل الإشكال عن الأوتار ويفسح المجال أمامها لترسل النغم الجميل المؤثر؛ ذلك لأن الخمرة في رأيه لا تبلغ مكانتها من اللذة إلا بسماع الغناء.

ويجمع أيضًا بين حاستين في قصيدة أخرى، إذ نراه يصف راقصات يسحبن ذيولهن معنیات متضمخات بالطيب والعنبر، يقول:

وَمِنْ رَاقِصَاتٍ سَاحِبَاتٍ ذُيولَهَا

شَوَادٍ، بِمِسْكِ الْعَبِيرِ تَضَمَّنُخُ^(١٢٩)

ومنه تجسيمه للسرور ليりئنا إيه كؤوسًا سُقِيَ بها، في خضم غناء الطيور؛ "حيث نُسقى من السرور كؤوسًا، ونُغَنَّى من الطيور..."^(١٣٠).

ويتوسل بالذوق والشم في مكان آخر ليصور خمرة مزجت بذكي مساك ولذذ شهد على أنها دون لذة ريق المحبوبة في وقت الفجر عند تغير رائحة الأفواه، يقول:

وَمَا قَهْوَةً صُفَقَتْ لِلصَّبُوحِ

بِمِسْكِ ذَكَىٰ وَشَهْدٍ مَشُورٍ^(١٣١)

بِأَطْيَابٍ مِنْ فَمِهَا رِيقَةٌ

إِذَا بَرَدَ الدُّرُّ فَوْقَ التُّحُورِ^(١٣٢)

ويصف في قصيدة أخرى، معتمدًا في تصويره على عناصر الصورة السابقة نفسها، ريق المحبوبة في آخر الليل، وهو أشبه بمساك مزاج بالخمر والعسل، يقول:

رِيقُهَا فِي بَقِيَّةِ اللَّيْلِ مِسْكٌ

شَبَبٌ بِالرَّاحِ مِنْهُ شَهْدٌ مَشُورٌ^(١٣٣)

فالبيت الأول في هذه المقطوعة يقوم على حاسة السمع "في روضةٍ غَنَاءً غَنَثٌ... وَرْقٌ فَصَاحٌ"، وفي البيت الثاني يتوصل كلمة "الناظر" مشيرًا إلى حاسة البصر، ثم يمضي واصفًا القدود الملاح على أنها أغصان متمايلة متبخرة، وفي البيت الثالث، يركز على حاسة الشم؛ حيث مفتوت العبير المطيب للرياح، ولعل أهم ما يميز هذه الصور الجزئية هو أن الشاعر وقف منها موقف المصور، المحرك للصور النافذ إلى أعمق جمالها، ولو أنه جمال طبيعي.

وكثيرًا ما نجد الشاعر يجمع بين هذه الحواس الثلاث؛ إذ في أثناء وصفه لإحدى جميلات، نراه يرسم لها صورًا يجعلها ماثلةً أمامنا نشم عطرها ونرى قدتها ونسمع شدوها "عن ذات عَرْفٍ ... ياقوْتَةُ تَلْبُسُ دُرًا ... تُسْمِعُ شَدْوًا يُثِيرُ وَجْدًا"^(١٢٦).

ويصور في موضع آخر إحدى بنات صقلية متولسًا حاسة البصر والذوق والسمع، فالبنـت: "تَبَسُّمٌ عَنْ بَرَدٍ بَيْنَ بُرُوقٍ لَمَعٍ... كَانَ فِي فِيهَا سُلَافٌ قَهْوَةٌ صَرْفٌ... حَصَّتْ مِنَ الصَّوْتِ بِمَعْنَى الْوَصْلِ..."^(١٢٧).

وقد يجمع الشاعر بين حاستين أو أكثر، في مواضع أخرى، على نحو قوله في الخمر:

وَأَشْكِلِ الْأَوْتَارَ عَنْ نَعْمَتِهَا

لَا تَسْوُغُ الْخَمْرُ إِلَّا بِالنَّغْمِ^(١٢٨)

إن الصورة هنا خليط وتدخل بين الذوق والسمع، لكنها ليست نموذجًا لصورة غير منتظمة، بل هي لوحة واضحة جميلة غلت عليها حاستا الذوق والسمع، وتبدلنا التأثير والتأثير، وعبرتا في نهاية الأمر عن مراد

في ذلك على حاسة البصر، يقدم لنا صورته أمام جميلةً أذى عينه ما رأى في خدّها من شباب، فجرتْ دموعه غزيرةً، وقد غَيَّب اللسان، أداة الذوق، وجعل العين تؤدي وظيفتها، في قوله: "أنا الذي ذاقْت حلاوة حُسْنِه عَيْنِي"، وكأن الشاعر هنا يعرف ما دعت إليه المدرسة الرمزية من "تراسل الحواس"، إذ يرى أصحابها أن: "تحول صفات الحواس وصورها، بعضها إلى بعض يجعل العالم الواقعي مثالياً صوريًا مختلطًا تتجاوب فيه الحقائق مع الخيالات والأحلام" (١٤٢).

وهناك مثال آخر جعل فيه الشاعر العين تذوق أيضًا؛ حيث يقول في معرض وصفه لفرس علي بن يحيى:

أو أَشْعَل (١٤٣) كَالْسِيدِ (١٤٤) عَرَضَ سَابِحًا

فَحَسِبْتُهُ بِالْأَيْطَلَيْنِ (١٤٥) غَرَّاً

أو مُشْبِهٍ لَعَسَ (١٤٦) الشَّفَاهِ فَكُلَّما

رَشَفَتْهُ بِالنَّظَرِ الْعَيْنُ أَحَالَ (١٤٧)

لقد جعل الشاعر العين في الشطر الثاني من البيت الثاني، ترشف.

وهو في مثال آخر يجعل العين تسمع، إذ يقول:

كَمْ سَامِعٌ بِالْعَيْنِ مِنْ آلامِهِ

قِيلًا بِأَفْوَاهِ الدُّمُوعِ وَقَالَ (١٤٨)

إلى جانب اعتماد الشاعر على تراسل الحواس لبناء بعض صوره البصرية، فإنه اعتمد أيضًا، وإن في أماكن تعد على أصابع اليد الواحدة، على هذه الوسيلة لبناء صوره السمعية، وفي هذا نجده يعطي الأذن على وجه

ويعطي صورة أخرى للخمرة، مركزًا على اللون والطعم والرائحة، يقول:

وَمُعْتَقَةٌ حَمْرَاءٌ تَنْثُرُ فَضْلَاهَا

لِخُطَابِهَا فِي اللَّوْنِ وَالطَّعْمِ وَالنَّشْرِ (١٤٩)

والشاعر في أبيات شعرية متالية، يصور الطبيعة عطرةً تبعثر منها رائحة عِيقَة: "وَنَفْحَةُ الرَّهْرُ شَمْهَا عَيْقٌ" (١٥٠) وهواؤها مشبع بالماء البارد "وَزِيقَةُ الْمَاءِ بِالصَّبَابِ" (١٣٦) شِيمَهُ (١٣٧)، "شِيمَهُ" (١٣٨)، ويصور البلبل بين الطيور الأخرى مغرداً مرددًا صوته الجميل مطربًا به الأسماع، "...بَلْبُلُهَا مُرْجِعًا فِي غُصْنِهِ نَغَمَهُ" (١٣٩).

ب - تراسل الحواس:

يتخذ ابن حمديس تراسل الحواس وسيلة لنقل بعض تجاربه الشعرية، وتراسل الحواس، هو وصف مدركات حاسة من الحواس بصفات مدركات حاسة أخرى؛ وهنا قد يعطي الشاعر الأشياء التي ندركها بحاسة الذوق صفات الأشياء التي ندركها بالعين، ويعطي الأشياء التي ندركها بحاسة السمع صفات الأشياء التي ندركها باللمس أو البصر وهكذا... (١٤٠).

وقد استخدم الشاعر هذه الوسيلة في بناء صوره البصرية قليلاً، ومن أمثلة ذلك في شعره تصويره للعين تذوق، يقول:

وَمُنَعَّمٌ جَرَحَ الشَّبَابَ بِخَدِّهِ

لَحْظِيِّ، فَسَالَ عَلَى الْمَهَا الْيَاقُوتُ
وَأَنَا الَّذِي ذاقْتْ حَلاوة حُسْنِهِ

عَيْنِي فَسَاغَ لِطَرْفِهِ وَشَجَبْتُ (١٤١)
والشاعر من خلال تصويره لمحبوبته معتمداً

وفي هذا البيت نلاحظ أن الحواس الأخرى، استعارت مهمة حاسة الذوق، وقامت لتضطلع بوظيفة غير وظيفتها، وهذا التبادل بين مدركات الحواس يعد محباً جدًا؛ لأنّه يعتمد على إثارة تداعيات جمالية متعددة^(١٥٥).

الفاتمة

استطاع ابن حمديس من خلال قدراته وتوظيف حواسه أن يرسم لنا صوراً عن أحاسيس إنسانية عميقة، إذ ارتقى بكثير منها عن مستوى الحس الظاهري إلى مستوى الإيحاء والحركة وإثارة الانفعال، وقدمها ناميةً متغللةً في جوهر الأشياء، عاكسةً إيمانه مبرزةً له في حالة قشيبة تحرّك فيها أوتار الطرب، لكن رأينا البعض منها لم يتعد حدود التعبير المباشر عن الأفكار، ونقل الأشياء الموجودة في العالم الخارجي نقلًا كاملاً، كما تراه العين وتحسه الحواس الأخرى، فهي صور تقوم على أسلوب منطقي يصف بها ما يقع تحت الحس دون التأثير في النفس.

ونظرًا إلى أن الشاعر يتمتع بحس البصر، فقد غالب على نظمه الصور البصرية، وجعل عينيه وخاليه الوسيلة الأولى في نسج صوره؛ إذ عن طريق الرؤية البصرية تخزن الذاكرة آلاف الصور، والعين فقط هي التي تميز الألوان والأشكال والأحجام، وهي الوسيلة الأساسية للإحساس بالجمال والإلمام بمعانيه.

ولا يخفى على أحد ما يتحققه تعاون الحواس جميعًا لجعل مجالات الصور أرحب وأوسع، فإنّ الشاعر توسل إلى جانب البصر بجميع الحواس الأخرى؛ حيث اعتمد على حاسة السمع لنسج بعض صوره؛ لأن هذه الحاسة تتميز بإمكان

الخصوص صفات العين لإدراك الأشياء، ومثال ذلك تصويره السمع يقوم مقام البصر "كَانَ لِلسَّمْعِ مِنْهُ رُؤْيَاً لِبَصَرٍ"^(١٤٩)، ونسبة الرؤية للأذن "كَانَ فِي أَذْنِهِ مُفْلَحًا"^(١٥٠) أو جعل السمع وسيلة لجني الزهر "ذَاتُ لَفْظٍ تَجْزِي بِسَمْعِكَ مِنْهُ زَهْرًا..."^(١٥١)

وجعل الشاعر حاسة الشم مكان الأذن، إذ صور راهبة مُعلقاً ديرها، وقد اهتدى وصحبه إليها، وعرف سرها الذي أذاعه طيب الخمرة التي تتبعها:

**هَدَانَا إِلَيْهَا شَذَّى قَهْوَةٌ
تُذِيعُ لَنْفِكَ أَسْرَارَهَا**^(١٥٢)

وهنا نرى الأنف الذي وظيفته الشم، يستقبل الأسرار المذاعة؛ ليؤدي وظيفة الأذن التي هي السمع، وهذا نوع من تداخل اختصاصات الحواس، وهو الذي يثير فينا كثيراً من الشعور بالجمال والإحساس به.

والشاعر في بيت شعري آخر يرسم صورة لغادة مظهراً شذا عبرها كلاماً، فصار الأنف يقوم بوظيفة الأذن، يقول:

**يَنِمُ عَلَيْهَا طِيبٌ رِيَا كَلَامَهَا
فَيَدْرِي غَيْرُ أَنَّهَا تَتَكَلَّمُ**^(١٥٣)

وفي قصيدة أخرى، يصور لنا الشاعر شرب الخمرة الذي هو من مدركات حاسة الذوق تتم بالأذن والسماع والرؤية، وهي صفات من مدركات الشم والسمع والبصر، يقول:

**حَمْرَاءٌ تُشْرَبُ بِالْأُنْوَافِ سُلَافُهَا
لُطْفًا وَبِالْأَسْمَاعِ وَالْأَحْدَاقِ**^(١٥٤)

(*) ولد عبد الجبار بن حمديس في بلدة نوطس على مسافة خمسة وعشرين كيلومتر من مدينة "سرقوسة" الواقعة على الساحل الشرقي من جزيرة صقلية سنة ٤٤٧هـ، ١٠٥٥م (ابن حمديس: الديوان، ص ٣. وزين العابدين السنوسي: عبد الجبار بن حمديس، ص ١٣). وتوفيت والدته وهو شاب، تاركةً إياه وأخته الصغيرة، ولما تزوج أبوه أبو بكر بن محمد، تولى تربيته جده محمد بن حمديس، إذ ضمه وأخته إلى بيته، وتولت العناية بهما عمتها (بنت محمد بن حمديس) أرملة ابن أبي الدار التي عادت إلى بيتها بعد وفاة زوجها بولدين هما علي وأخته، وتربى الأربعة في بيت جدهم (زين العابدين السنوسي: عبد الجبار بن حمديس، ص ١٣-١٤).

وقد كان والد عبد الجبار حريصاً على تعليم الإسلام وتقاليد الدين الحنيف، إذ ورث هذه الطابع عن أبيه (جده شاعرنا) محمد بن عبد الجبار، والذي طال عمره إلى أن أشرف على تربية أحفاده، بجوار عمّه صواماً قواماً، اتخاذها عبد الجبار بن حمديس، أمّا عطوفاً حنوأً يسكن إليها، وبيتها لواعجه، ومثل هذا الجو العائلي المحافظ جعل الشاعر ابن حمديس ينشأ محترماً للدين مقدساً لتعاليمه (د. سعد إسماعيل شلبي: ابن حمديس الصقلي حياته من شعره، ص ٢١٢). لكن من الطبيعي "... إلا يخلو شبابه من المغامرات المعروفة لأمثاله يرافق فيها أترابه وأصدقاءه إلى مجالس الشراب واللهو، بل إلى المعازف والمراقص، وتقوده بعض هذه المغامرات إلى التهور والاستهانة، فيصف ذلك في شعره، وقد يبالغ متأنراً بأحلام الذكريات ومزايدات الشعراء". (فؤاد أفرم البستاني: ابن حمديس منتخبات شعرية، دار المشرق-بيروت، ط ١، ١٩٧٧، ص ب). وقد هاجر ابن حمديس إلى الأندلس عن طريق تونس وعاد منها بعد زمان إلى المغرب الأقصى ثم الأوسط، ثم جزر البليار، ولم يتوجه إلى المغرب الأدنى (إفريقية) إلا فيما بين شوال وذي الحجة سنة ٨٥٠هـ (د. سعد إسماعيل

استغلالها في النور والظلم وفي فهم الأفكار والمعاني بشكل أسمى. واعتمد على حاسته الشمية الدقيقة ذات القدرة على التمييز بين أنواع العطور من مسك وعنبر وكافور وما إلى ذلك، وقدمنا صوراً شمية بارعة، وتوسل حاسة الذوق في بناء بعض صوره، واستطاع عن طريقها أن يقدم صوراً نحس لدى قراءتها أن لسانه يتلمس مواطن الجمال والفن، وأشرك إلى جانب هذه الحواس جميعاً حاسة اللمس ورسم لنا صوراً بارعة لما أحسه من ليونة وحرارة وبرودة وخشونة وما إلى ذلك، والشاعر في أثناء بنائه للصور، غالباً ما نراه يعتمد على أكثر من حاسة لإخراجها؛ فالإحساس بالجمال وتمثله، لا يجب أن يتم بالضرورة عن طريق حاسة واحدة؛ ذلك لأن الحواس مجتمعة، تتفاعل مع البيئة في كل تجلياتها، وليس العين أو الأذن أو أي حس آخر سوى المجرى أو القناة التي تمر عبرها الاستجابة الكلية. ثم إن الشاعر في بعض صوره اهتدى إلى ما عرف في عصرنا بتراسل الحواس، فقدمنا صوراً حول من خلالها مهام حاسة إلى حاسة أخرى؛ فأعطي، مثلاً، للأشياء التي تدرك بالسمع صفات الأشياء التي تدرك بالعين، وللأشياء التي تدرك بالعين صفات الأشياء التي تدرك بالسمع، وجعل مقام السمع للذوق، ومقام الشم للسمع وهكذا... ويبدو أن الشاعر وهو يمزج بين مدركات الحواس على النحو الذي رأيناه كمن يعلم أنه: "يفجر من تلك المحسوسات مشاعر مهمة وأحاسيس غامضة تساعد على نقل الأثر النفسي كما هو عند الشاعر أو قريب مما عنده" (١٥٦).

**أثر الحواس
في تشكيل
الصور
الشعرية في
شعر ابن
حمديس**

- ٤ - نفسه، ص ٢٨٢.
- ٥ - نفسه، ص ٢٠٠.
- ٦ - نفسه، ص ١٧٩.
- ٧ - نفسه، ص ٣٥٢.
- ٨ - نفسه، ص ٣٩٣.
- ٩ - نفسه، ص ٤١٥. العندم: هو خشب البقم الذي يحتوي على مادة ملونة بالأحمر تستعمل في الصباغة.
- ١٠ - ابن حمديس: الديوان، ص ١٨٨. الفار: هو مادة سوداء تطلى بها السفن، وقيل أنها الرفت.
- ١١ - عين كحيلة: أي عين كثيرة السوداد، أو مكحولة بالكلل.
- ١٢ - ابن حمديس، الديوان، ص ٣٨١.
- ١٣ - نفسه، ص ١٨٧.
- ١٤ - نفسه، ص ١٨٣.
- ١٥ - نفسه، ص ٢١٥.
- ١٦ - نفسه، ص ١٤٦.
- ١٧ - نفسه، ص ٢٥٣.
- ١٨ - نفسه، ص ٢٧٦.
- ١٩ - نفسه، ص ٥٢٣. اللمة: هي ما تشعث من الشعر.
- ٢٠ - نفسه، ص ١٨٥.
- ٢١ - المنسر: الطير الجارح.
- ٢٢ - الشغف: الطول.
- ٢٣ - الذليق: الحاد.
- ٢٤ - ابن حمديس، الديوان، ص ٣٢٧.
- ٢٥ - نفسه، ص ١٦٦.
- ٢٦ - د.إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ط١، د١، ص ١٩٥.
- ٢٧ - ابن حمديس، الديوان، ص ١٣٣.
- ٢٨ - نفسه، ص ١٣.
- ٢٩ - نفسه، ص ٣٩٥.
- ٣٠ - نفسه، ص ٣١٧.
- ٣١ - نفسه، ص ٥٠٠.
- ٣٢ - نفسه، ص ١٦٢.
- ٣٣ - نفسه، ص ٤٣١.

سلبي: ابن حمديس الصقلي حياته من شعره، ص ٢٠٧.

أما وفاة الشاعر ابن حمديس فيتفق المؤرخون على أنها سنة ٥٢٧هـ، ويقول ابن خلكان: "وأبياته الميمية التي في الشيب والعصا تدل على أنه بلغ الثمانين" (ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٢١٥). ذلك ما يتعلق بمتوهه الزمانى، أما موضع وفاته، فقد رجح إحسان عباس أحد محققى ديوانه أن تكون بمدينة بجاية فى رمضان عام ٥٢٧هـ، الموافق لـ تموز (جويلية) ١١٣٣م، وتم دفنه فى المدينة نفسها. (ابن حمديس: مقدمة الديوان، ص ١٦).

- ١ - جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النبدي والبلاغي، ط : دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٧٤م، ص: ٣٧٢.
- ٢ - شوقي ضيف: في النقد الأدبي، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٢م، ص ٩٣-٩٢.
- ٣ - د.بعز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه، دراسة ونقد، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٨م، ص ١٤٠.
- ٤ - جان ماري جويتو، مسائل فلسفة الفن المعاصرة، ترجمة د. سامي الدروبي، دمشق، ١٩٦٥م، ص ٧٩.
- ٥ - ديبرى موسى صالح، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، ص ٩٠.
- ٦ - ابن حمديس، الديوان، ص ٢٦٩.
- ٧ - د.عبد القادر الرباعي، الصورة الفنية في شعر أبي تمام، جامعة اليرموك، أربد، الأردن، ١٩٨٠م، ص ١٤٦.
- ٨ - ابن حمديس، الديوان، ص ٢٢٩.
- ٩ - نفسه، ص ٣١٠. والنزع: الرمي.
- ١٠ - د.بعز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، ص ١٥٦.
- ١١ - ابن حمديس، الديوان، ص ١١٧.
- ١٢ - د.محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، ص ٤٥١.
- ١٣ - ابن حمديس، الديوان، ص ٣٦.

- ٤٤ - نفسه، ص ٢٣٩. الحمام : الموت، الخوار : صوت الأبقار.
- ٤٥ - ابن حمديس، الديوان، ص ٣٦١.
- ٤٦ - نفسه، ص ٤٠٠.
- ٤٧ - نفسه، ص ٤١٣.
- ٤٨ - نفسه، ص ٤٥١.
- ٤٩ - نفسه، ص ٥٢٠.
- ٥٠ - نفسه، ص ٢٧٤.
- ٥١ - البازل: معناه هنا الرجل الخبير.
- ٥٢ - المعلم: السيد.
- ٥٣ - ابن حمديس، الديوان، ص ٤١٨.
- ٥٤ - نفسه، ص ٥٥١. مصرصر : صوت.
- ٥٥ - نفسه، ص ٢٢٢.
- ٥٦ - نفسه، ص ٣٣٢.
- ٥٧ - نفسه، ص ٣٩٢.
- ٥٨ - نفسه، ص ٤٥٠.
- ٥٩ - نفسه، ص ٤٥٩.
- ٦٠ - الكافورة: شجرة أوراقها دائمة، وأزهارها بيضاء ضاربة إلى الصفرة يستخرج منها الكافور.
- ٦١ - ابن حمديس، الديوان، ص ٦.
- ٦٢ - زرفنت شعرها: جعلته حلقات.
- ٦٣ - ابن حمديس، الديوان، ص ٣١٧.
- ٦٤ - نفسه، ص ٣٤٥.
- ٦٥ - نفسه، ص ٤٠٧.
- ٦٦ - نفسه، ص ٤٠٩.
- ٦٧ - نفسه، ص ٣٣٦.
- ٦٨ - نفسه، ص ٥٤.
- ٦٩ - اللطائم: جمع لطيمة وهي هنا نافحة المسك، أي وعاؤه.
- ٧٠ - ابن حمديس، الديوان، ص ٤٦٠.
- ٧١ - نفسه، ص ٣٤٥.
- ٧٢ - نفسه، ص ٤٥٢.
- ٧٣ - نفسه، ص ٢٢٨.
- ٧٤ - نفسه، ص ٤٨٨.
- ٧٥ - الدمام: المصفاة أو الخرقة تجعل على فم الإبريق ليصفي بها ما فيه أو يصفى ما يوجد فيه.
- ٧٦ - ابن حمديس، الديوان، ص ٨٦.
- ٧٧ - نفسه، ص ٢٢٠.
- ٧٨ - نفسه، ص ٢٥١. والذفر : هنا الطيب، الشديد الرانحة
- ٧٩ - نفسه، ص ٣٣٤.
- ٨٠ - نفسه، ص ٤٥٦.
- ٨١ - الروح هنا الرحمة.
- ٨٢ - عالي: عالجي.
- ٨٣ - الند: هنا عود يت弟兄 به، (فارسية).
- ٨٤ - ابن حمديس، الديوان، ص ٤٤٣.
- ٨٥ - نفسه، ص ٢٢٢.
- ٨٦ - نفسه، ص ٥٢٩.
- ٨٧ - المغاني: هنا المنازل.
- ٨٨ - ابن حمديس، الديوان، ص ٤٠٤.
- ٨٩ - نفسه، ص ٥٥٥.
- ٩٠ - نفسه، ص ٢٨٨.
- ٩١ - نفسه، ص ٥٤١.
- ٩٢ - نفسه، ص ١٧٨.
- ٩٣ - نفسه، ص ٦٤.
- ٩٤ - الأوام: العطش.
- ٩٥ - الأري: العسل.
- ٩٦ - ابن حمديس، الديوان، ص ٤٥٣-٤٥٢.
- ٩٧ - نفسه، ص ٤٠٦.
- ٩٨ - الإعریض: يوصف به كل أبيض .
- ٩٩ - ابن حمديس، الديوان، ص ١٥٠.
- ١٠٠ - نفسه، ص ٤١١.
- ١٠١ - نفسه، ص ٣٣٧.
- ١٠٢ - نفسه، ص ٢٤٦.
- ١٠٣ - نفسه، ص ٤٢٦.
- ١٠٤ - نفسه، ص ١٧٤.

- .١٣٣ - نفسه، ص ص ٢٤٥ .١٣٣ - نفسه، ص ٢١٥ .١٣٤ - نفسه، ص ٤٢٠ .١٣٥ - نفسه، ص ٤٢٠ .١٣٦ - الصبا: ريح مهبها الشرق .١٣٧ - شبهه: باردة. .١٣٨ - ابن حمديس، الديوان، ص ٤٢٠ .١٣٩ - نفسه، ص ٤٢٠ .١٤٠ - د. علي عشري، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، مكتبة دار العلوم، القاهرة، ط ١٩٧٨، ١، ٨١، ص ٨١. .١٤١ - ابن حمديس، الديوان، ص ٧٢. والمهأ: الثغر النقي إذا ابيض وكثير ماوه، ابن حمديس، هامش الديوان، رقم ١، ص ٧٢. .١٤٢ - د. محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، ص ٤١٩. .١٤٣ - الأشعـل: الحصان ذو العينين الحمراوين. .١٤٤ - السيد: الأسد أو الذئب. .١٤٥ - الأيطلان: الساقان. .١٤٦ - اللعـس: سواد شفاه مستحسن. .١٤٧ - ابن حمديس، الديوان، ص ٣٩٠ .١٤٨ - نفسه، ص ٣٨٧ .١٤٩ - نفسه، ص ٢٧٢ .١٤٥٠ - نفسه، ص ١٤٤ .١٥١ - نفسه، ص ٣٥٣ .١٥٢ - نفسه، ص ١٨١ .١٥٣ - نفسه، ص ٤٠٩ .١٥٤ - نفسه، ص ٣٢٦ .١٥٥ - د. عبد القادر الرباعي، الصورة الفنية في شعر أبي تمام، ص ١٤٨ .١٥٦ - د. عبد الباقى محمد حسين، سيد قطب حياته وأدبه، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، ط ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٦ م. ص ٢٣٤ .١٥٧ - نفسه، ص ١٧٦ .١٥٨ - جان ماري جويتو، مسائل فلسفة الفن المعاصرة، ترجمة الدكتور سامي التّروبي، دمشق، ط ١٩٦٥ م، ص ٧٣. .١٥٩ - ابن حمديس، الديوان، ص ١٥٠ .١٦٠ - نفسه، ص ٤٦٠ .١٦١ - نفسه، ص ٢٠٠ .١٦٢ - نفسه، ص ٤٢٠ .١٦٣ - نفسه، ص ٥٢٨ .١٦٤ - فيحها: شدة حرارتها. .١٦٥ - نفسه، ص ٣٩ .١٦٦ - نفسه، ص ٣٩ .١٦٧ - نفسه، ص ٢٣٩ .١٦٨ - نفسه، ص ٢٣٧. الأوـار هو الحرـ. .١٦٩ - نفسه، ص ٢٢٨ .١٧٠ - نفسه، ص ٥٢١ .١٧١ - نفسه، ص ٥٦٠ .١٧٢ - نفسه، ص ٥٦٠ .١٧٣ - د. عبد القادر الرباعي، الصورة الفنية في شعر أبي تمام، ص ١٤٩ .١٧٤ - نفسه، ص ١٤٩ .١٧٥ - ابن حمديس، الديوان، ص ٩٠ .١٧٦ - نفسه، ص ١٢٨ .١٧٧ - نفسه، ص ٣٠١ .١٧٨ - نفسه، ص ٤٣٩ .١٧٩ - نفسه، ص ١١٢ .١٨٠ - نفسه، ص ١٢٦ .١٨١ - مشور: مجموع. .١٨٢ - ابن حمديس، الديوان، ص ١٧٩.

المصادر والمراجع

- ٨- عبد الباقي محمد حسين، سيد قطب حياته وأدبه، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، ط ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٦ م.
- ٩- عبد القادر الرباعي، الصورة الفنية في شعر أبي تمام، جامعة اليرموك، أربد، الأردن، ١٩٨٠ م.
- ١٠- عبد المنعم تلieme، مدخل إلى علم الجمال الأدبي، ط. دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨٧ م.
- ١١- عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه، دراسة ونقد، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٨ م.
- ١٢- عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر. دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٦ م.
- ١٣- علي عشري، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، مكتبة دار العلوم، القاهرة، ط ١٩٧٨ م.
- ١٤- محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، مكتبة دار الثقافة، بيروت لبنان، د.ت، ١٩٧٣ م.

١٩٦٢ م.

- ١- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ط ١، دب.
- ٢- بشري موسى صالح، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط ١، ١٩٩٤ م.
- ٣- جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقي والبلاغي، ط: دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٤ م.
- ٤- جان ماري جويتو، مسائل فلسفة الفن المعاصرة، ترجمة د. سامي الدروبي، دمشق، ط ٢، ١٩٦٥ م.
- ٥- جون ديوي، الفن خبرة، ترجمة د. زكريا إبراهيم، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٣ م.
- ٦- ابن حمديس، الديوان، تحقيق د.إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ط ١٩٦٠ م.
- ٧- شوفي ضيف: في النقد الأدبي، القاهرة، دار المعارف،

جَمَالِيَّةُ التَّوَاتِرِ بَيْنَ الشَّدَّةِ وَالرَّقَةِ فِي دِيْوَانِ أَطْلَسِ الْمُعْجَزَاتِ لَصَالِحِ الْخَرْفِيِّ الْقَرَارِيِّ الْزَّيْتُونِيِّ الْجَزَائِرِيِّ (١٩٣٢ - ٢٠٠١)

د. عبد اللطيف حني

كلية الآداب واللغات - جامعة الطارف

جمالية
التواتر
بين الشدة
والرقة في
ديوان أطلس
المعجزات
لصالح الخريفي
القراري
الزيتوني
الجزائري
- ١٩٣٢
(٢٠٠١)

بَسْطٌ مَنهجيٌّ:

كَشَفت الدَّرَاسَاتُ النَّقْدِيَّةُ الْعَدِيدُ مِنَ الْجَمَالِيَّاتِ الْفَنِيَّةِ لِلأَدَبِ الْجَزَائِيرِيِّ، وَبَيَّنَتْ تَلَازُمُ ثَانِيَةِ الثَّوَرَةِ وَالْوَطَنِ فِي مَوْضِعَاتِهِ، وَعَدَّهَا الْكَثِيرُ مِنْهُمْ أَحَدَ سَمَاتِهِ الثَّابِتَةِ؛ لَأَنَّهُ يَعْبُرُ عَنْ أَحَدِ أَعْظَمِ الثُّورَاتِ الَّتِي شَهَدَهَا الْعَالَمُ؛ لِذَلِكَ دَأَبُ الْمُبْدِعِ الْجَزَائِيرِيِّ عَلَى التَّمَسُّكِ بِهَذِهِ الْجَدِيلِيَّةِ، خَلَالِ الثَّوَرَةِ التَّحرِيرِيَّةِ وَبَعْدُهَا، فَرَاحُ يَتَغَنىُ بِهَا وَبِبَطْوَلَاتِهَا مَدُونًا تَارِيخَهَا، وَرَاصِدًا أَحَدَاثِهَا، مَوْظِفًا التَّوَاتِرَ بَيْنَ لِغَةِ الْعِنْفِ التَّحْرِيرِيَّةِ الَّتِي طَبَعَتْ مَوْقِفَهُ مِنَ الْمُسْتَعْمَرِ وَمِنَ جَرَائِمِهِ ضَدِّ الشَّعْبِ الْجَزَائِيرِيِّ الْأَعْزَلِ، وَبَيْنَ لِغَةِ الرَّقَةِ وَالنَّشُوَّةِ وَالْتَّفَاؤِلِ مِنْ خَلَالِ تَغْيِيْبِهِ بِالْجَزَائِيرِ أَمَّا وَرْفِيقَةِ وَحْبِيَّةِ زَوْجِهِ وَبِشَجَاعَةِ الْمَجَاهِدِينَ وَبِطَوْلَاتِهِمْ، وَبِالْعِلْمِ الْجَزَائِيرِيِّ، وَمَبْدِيًّا شَوْقَهُ وَحَنِينَهُ لِأَحْبَبِهِ وَأَهْلِهِ، وَهُوَ فِي غَرْبَتِهِ، وَنَجَدَ هَذِهِ السَّمَةُ تَتَلَوَّنُ بِهَا دَوَّاَوِينَ الشَّعْرِ الْجَزَائِيرِيِّ قَبْلَ وَبَعْدِ الثَّوَرَةِ التَّحرِيرِيَّةِ، وَهِيَ ظَاهِرَةٌ نَقْدِيَّةٌ تَسْتَحِقُّ مِنَ الْوَقْوفِ عَلَيْهَا وَالنَّظَرِ فِي جَدِيلِهَا وَبِوَاعِثِهَا وَتَجْلِيَّاتِهَا.

وَالْمَدْفَعُ، كَمَا حَمَلَ الْخَرْفِيُّ أَنْوَثَةَ قَصَائِدِهِ بِلُغَةِ اِنْسِيَابِيَّةٍ رَفِيقَةِ سَلْسَةِ حَبَّهُ وَعَشْقِهِ لِلْجَزَائِيرِ وَطَنِّهِ إِنْسَانًا، وَغَازِلَ الرَّايَةِ (الْعِلْمِ) بِأَلْوَانِهَا الْخَفَاقَةِ عَلَى سَفُوحِ الْأَطْلَسِ وَالْأَوْرَاسِ، وَبِثَ شَوْقَهُ وَحَنِينَهُ لِلْحَرَيَّةِ وَلِاسْتِقْلَالِ وَلِأَهْلِهِ خَلَالِ غَرْبَتِهِ، وَتَظَهَّرُ الْدَّرَاسَةُ كَفَاءَةُ الشَّاعِرِ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ هَذَا التَّخَالُفِ الْمَعْنَوِيِّ وَالْدَّلَالِيِّ فِي دِيْوَانِهِ بَلْ عَلَى

تَأسِيسًا عَلَى مَا سِيقَ تَنْتَزِلُ هَذِهِ الْدَّرَاسَةُ لِتَغْوصُ فِي عَالَمِ الْقَصِيْدَةِ التَّحْرِيرِيَّةِ الْجَزَائِيرِيَّةِ مَتَّخِذَةً مِنَ دِيْوَانِ أَطْلَسِ الْمُعْجَزَاتِ لِلشَّاعِرِ صَالِحِ الْخَرْفِيِّ الْقَرَارِيِّ الْزَّيْتُونِيِّ الْجَزَائِيرِيِّ^(١) أَنْمُوذِجًا، فَقَدْ أَفْضَى فِي مَنْ أَطْلَسَهُ هُمُومَهُ وَآلَامَهُ وَوَجَعَهُ مِنْ جَرَائِمِ الْمُسْتَعْمَرِ، فَكَانَتْ لِغَتَهُ وَإِيقَاعُهُ يَمْتَازُانِ بِالْعِنْفِ وَالضَّرَاوةِ وَالرَّصَاصِ

فاقدة الإحساس بالألام الجسدية»^(٢)، كما جعل شاعرنا ملتصقاً بالثورة التحريرية «في سهولها وجبالها ومحاورها وكهوفها، فالثورة فيه خافقة تائفة زاحفة متتموجة؛ حيث اختلط الشعر بالدم ورائحة البارود، إذ لا يكتفي الشاعر بالتحويم العائم على الجبال أو بالصورة القاتمة تلتقط من الجو وإنما يتبعها بأسمائها، ويلون الخارطة بالألوان البارزة، ويستوحى الأبعاد البطولية»^(٣)، ومن هذه الأسماء: أوراس، البيضاء، تبسة، القصبة، شوارع الجزائر العاصمة، فهذه «الأماكن من قرى ومدن وجبال في الشعر العربي تبث العواطف المرتبطة بحب الوطن، فتهيج في المغترب الأشواق والحنين... وتذكّي شعلة الغربة المحترقة والحنين الدائم لأرض لا تنحني معالمها الجغرافية ولا تزول»^(٤).

ولعل أهم ما جعل شاعرنا يعيش مأساة الجزائر بذاته وروحه هي حياة الغربة التي كان يعياني منها، فهذه الغربة صقلت تجربته الشعرية، وبخاصة عندما تمتزج مع الأخبار المزعجة التي تصل إلى المشرق العربي عن الثورة التحريرية الكبرى، وعن جرائم المستعمر ووحشيته في قتل الشعب الأعزل غدرًا وتعدياً، وزج الشباب والمتظاهرين في السجون، وهذه العوامل أججت الروح الثورية في روح الخرفي منذ صغره، وكبرت معه كلما كبر، وتبلورت في أفكاره، وشدته شدًا إلى أرض البطولات إلى مسقط رأسه وذكرياته وصباه، إلى الأرض التي عاش فيها أجداده، الأرض التي عشقها صغيراً واكتوى بنارها كبيراً؛ أرض الجزائر الثائرة، فكان بذلك ديوانه "أطلس المعجزات" بمثابة المنبر الذي يرى منه الناس فيكون خطيباً

مستوى القصيدة الواحدة والبيت الواحد.

١- التماهي الثوري في ديوان أطلس المعجزات:

تعد الثورة التحريرية منطلق الشعر الجزائري الحديث، فقد أججت عواطف الشعراء فراحوا يسكنون حبر أقلامهم على الأوراق ليدونوا أحداثها ويصفوا عظمتها ويتغنوا ببطولة الشعب الجزائري الذي ضحى بأغلى ما يملك، فكان الإبداع الشعري الثوري والوطني، الذي جند الشعراء الجزائريون في ساحاته طاقاتهم التعبيرية؛ لتسجيل كل مناسبة أو حادثة تمر في قصيدة خاصة أو ضمن ثناياها بغض النظر عن المناسبة سواء أكانت دينية أم قومية، فقد كان همهم الوحيد مواساة هذا الوطن المكلوم بالجرح والألام، والدفاع عن مقوماته وتأصيل معالم هوبيته الوطنية، والحفاظ على سماتها وأسسها أمام تيارات التغريب التي كان يمارسها المستعمر الغاشم، ورفع رايته عالية في المحافل الدولية والمؤتمرات القومية.

ومن بين الشعراء الجزائريين الصادحين بشعر ثوري صاحب أطوار ثورتنا التحريرية المباركة التي نحتفل بذكرها الخمسين شاعرنا صالح الخرفي؛ من خلال العديد من دواوينه، وبخاصة أطلس المعجزات الذي هو محل دراستنا، فإذا تصفحنا أوراقه، ورثنا نتلمس جسد قصائده ونحاورها، ونحاذثها، إننا نلحظ ظاهرة بارزة إلا وهي الاحتقان الثوري الوطني المبثوث فيها، فهي حللى بالمعانى والدلائل التي توحى بصدق وانفعال الخرفي، كما برع أن «هذا الاحتقان الثوري في الجزائر فجر بطولة ساخرة لا مبالغة

جَاهِلَةُ
الْتَّوَافِرِ
بَيْنَ الشَّدَّةِ
وَالرَّفَقَةِ فِي
دِيُونِ أَطْلَسِ
الْمَعْجَزَاتِ
اصْحَاحُ الْخَرْفِيِّ
الْفَرَارِيِّ
الْزَّيْتُونِيِّ
الْجَزَائِريِّ
١٩٣٢ - ٢٠٠١

وحشية النازية وهمجية الفاشية فيقول حزيناً^(١):
رَفِعُوكَ فِي لَيْلِ الْكَفَاحِ مَنَارًا
إِذْ غَادُوكَ أَيَا تِبَّسَةَ نَارًا
فِي كُلِّ قَلْبٍ نَابِضٍ قَدْ أَضْرَمُوا
هَا يَسْتَفِرُ أَوْرَاهَا الْأَخْرَارَا
مَا انْهَدَ رُكْنَ فِيكَ إِلَّا وَالْعُرُو
بَةَ قَدْ تَصَدَّعَ قَلْبُهَا وَانْهَارَا
يوظف الخRFي كلمات توحى بشراسة المستعمرو وحقده على الجزائريين مثل (نارا، أضرموا، انهد، انهارا) التي سطا بها على تبسة، وما هي إلا مثال على الكثير من الأماكن التي عاث فيها المستعمرو قتلاً وتنكلاً وتشريداً لأهلها، ونتيجة ذلك فهو يتوعده برد الكيد والنيل منه، فالثورة كفيلة به بتأثير مناشد للحق استطاب الحرب وألف لظاها، وهذه الجرائم ستزيدنا عزماً على أخذ حريتنا؛ حيث يقول^(٢):
صَرَخَاتٌ بَنْتَ مِنْ بَنَاتِكَ كَالْخَرْي
دَةَ هَتَّكَ الْبَاغِيِّ لَهَا أَسْتَارَا
رَفَرَاثُ قَوْمٍ أَبْعَدُوا عَنْ أَرْضِهِمْ
ظُلْمًا فَهَامُوا فِي الْقِفَارِ حَيَارًا
تَلَكَ الْمَاسِيِّ قَدْ كَفَانَا وَقْعَهَا
لَيُثِيرُهَا بَيْنَ ضُلُوعَنَا إِعْصَارًا
إِعْصَارٌ حَقْدٌ فِي الْجَوَانِحِ كَامِنْ
إِنْ شَارَ دَكَ الشَّرِّ وَالْأَشْرَارَ
لعل الخRFي يرسم لنا هذه اللوحة المأساوية، مبيناً كيف صب المستعمرو حقده على الأبراء موظفاً في بيان تفاصيل الفاجعة لغة غاضبة

ناصحاً، مرشدًا تلهمه الثورة التحريرية المباركة بالكلمات، وتمده بالأفكار الثائرة المدوية، فيلون بالدم قصائدهن فيرسلها من صخور الأطلس الشامخ الأشم مشيداً بالمجاهدين الأحرار.

٢- **غَضَبُ الثَّوْرَةِ** في ديوان أطلس المعجزات:
إن ديوان أطلس المعجزات هو أناة شاعر احترق حباً في جزائره، واكتوى بنار البعد عنها، فألهنته ثورتها المباركة الكلمات فراح مقاعلاً ومنفعلاً مع أحداها موظفاً في ذلك مزيجاً من الخطابات التي تكشف عن حالته وتدل على نفسيته، ومن أبرزها ظهوراً خطاب العنف الذي نلاحظ لغته تطغى في القصائد التي خصصها الخRFي في إظهار موقفه من الاستعمار وتمثل في:

أ-جرائم الاستعمار:

بين الخRFي في ديوانه خطير الاستعمار ووصف بشاعة جرائم المستعملاً قوافي مدوية، ذات جرس قوي ينم عن سخطه وغضبه بلغة عنيفة شديدة تقرع الآذان، وتوقظ الإحساس وتتبه الشعور وتشد الإدراك، لهول جرائم المرتكبة ضد أبناء الشعب الجزائري، بهذه الحالة الصارخة تملئها العاطفة الوطنية الساكنة في نفس الخRFي «هذه النفس التي تميز بالحرية المنطبعية في ديوانه أطلس المعجزات»^(٣).

ولعل لأول قصيدة تصادفنا في الديوان هي "مسألة تبسة" المدينة التي حولها المستعمرو الفرنسي إلى أطلال مترامية، وحول أهلها الضعفاء إلى جثث خامدة منتاثرة في المكان، وساق بعض شبابها إلى السجون، فالشاعر يصف بلغة ساخطة وغاضبة المسألة التي تجاوزت

في هذه المواقف التي تنفي كل الشعارات، وتجيز كل الخطب والمقالات.

ويعرج شاعرنا على القصبة (حي قديم بالجزائر العاصمة) مهد البطولة والتضحية مظهراً المأساة التي حلت به فقد أحرق المستعمر الكثير من المنازل بحثاً عن الثوار بعدّها قلعة حصينة لهم ومنها تنفذ العمليات الفدائية إبان الثورة، فكانت هدفاً للغارات الفرنسية الوحشية، فوقف الشاعر واصفاً للقصبة وقد تحولت إلى قبور للأحياء، بنبرة تعلوها حدة وغضب على ما حل من تتكيل؛ حيث يقول^(١٠):

فَتَلَكَ الْقَصْبَةُ الْمَصْلَةُ نَارًا

فَزَادَتْ نَارًا ثُورَتْنَا اتَّقَادَا

فَهَلْ جَبَرُوْتَهَا أَطْفَأْ لَهِيَا

وَهَلْ بَلْغُوا بِقَسْوَتِهِمْ مُرَادَا

إِذَا خَانَتْكَ أَسْبَابُ التَّرَاضِي

فَلَنْ تَقُوْيَ عَلَى الْأَعْدَادِ عِنَادَا

أَلَا إِنَّ الْجَزَائِرَ يَا فَرَنْسَا

لَكَالْعَنْقَاءَ تَكُبُرَ أَنْ تُصَادَا

لعل شاعرنا وظف الأفاظاً وعبارات حادة مثل (ناراً، المصلاة، اتقاداً، لهيَا، قسوتهم، عناداً، تصاداً) وتوجه بها للمستعمر الذي لا يدخل بنعته بأشر النعوت، ويكشف عن جرائمه بأبخس الأوصاف، وبعنف الثورة التي استأصل عروقه من الجزائر، وبثوره العنف كان لغة التعامل معه، وقد أتقن أبجدياتها شارعنا، فراح يصوغ على أوتارها قصائد الكثيرة التي تصف جرائمه، ومنها ما حدث في شهر يناير ١٩٥٧؛

عنيفة توجه بها للمستعمر (إعصار، حقد، كامن، الشر، الأشرار) فهذه الألفاظ تعكس نفسية شاعرنا الحاقدة على أعماله وجرائمها، وتتدد بها وتستذكرها، فالخرفي يؤكد أن الثورة ولدت من هنا وثار الشعب؛ لأن البطش قد تكبه وحان أوان التحرر من ريبة الذل والهوان، وبال مقابل يرى أن هذه الجرائم لا تزيد الشعب إلا صموداً وعزيمة وقوة وثورة على الباغي، فقد السهول مقابر من شدة القتل والإبادة فيقول^(٨):

بَلْ صَيَرُوا تُلُكَ السُّهُولَ مَقَابِرَ

وَأَدْرُوا الجَبَالَ الشَّامِخَاتِ غَبَارًا

الْكُلُّ يَخْضُعُ لِلْحَدِيدِ وَلَنْ يَنْ

لَحَدِيدَكُمْ مِنْ عَزْمَنَا مَعْشَارًا

ويخفف الخرفي الألم على تبسة المكلومة الحزينة ويتوعد المستعمر برد الثأر والنيل منه على جرائمه فيها، فلا التاريخ ولا العالم ولا الشعب يغفر عمله فيها فيقول بنبرة حادة قوية شجاعة^(٩):

صَيَرَ تَبَسَّةً إِنْ شَقَّيْتَ بِنَارَ

أَوْ غَادَ بِكَأسِ الْأَنْتَقَامِ سُكَارَى

سَيُزِيْجُ عَنْهُمْ ظُلْمَةَ الأَسْكَارِ فَجَرَ

الْجَزَائِرَ يُبَهِرُ الْأَنْظَارَ

لَا تَحْزَنِي لِلْوَكْرِ إِنْ عَصَفتَ جَبَأَ

بَرَةَ بِهِ وَالسَّرْبَ رَيْعَ فَطَارَ

وتشيع هذه اللغة التي تتعالى منها أصوات الحرب والنار في وصف مكان المستعمر التي يدبرها ضد الشعب الجزائري، فترك شاعرنا الكلمة للرصاص والمدفع والبنడقة فقولهم الفيصل

فالحرب عند الخRFي مسألة موروثة لا يهابها الشعب الجزائري؛ لأنـه سليل ابن الوليد، وما كان لهؤلاء الأحفاد أن يخافوا الـوغـى؛ لأنـهم أصحاب مبادئ لا تغريـهم الدـنيـا، ولا تخـدـعـهم الـوعـودـ الكـاذـبـةـ، فـهمـ لا يـرـيـدونـ إـلـاـ الـحرـيةـ أوـ الـاستـشـاهـادـ فيـ سـبـيلـ وـطـنـهـمـ، فالـشـاعـرـ يـعـرـفـ الـمـسـتـعـمرـ بـحـقـيقـةـ الشـعـبـ ، فـيـقـوـلـ^(١٣):

فَنَحْنُ بَنُوا الْمَعَامِعَ مِنْ قِدَمِ
سَلِيْخَوَاضَهَا ابْنُ الْوَلِيدِ
وَلَسَنَا فِي الْوَغَىْ جُدَدًا فَتَثْتَنِي
عَزَائِمَنَا الْقَذَافُ كَالرَّعُودِ
وَلَا عُشَاقُ دِينَارٍ فَتَلَوِي
أَعْنَتِنَا بَوَارِقَ مِنْ وُعُودِ
وَلَعِلَ الْخَرْفِيَ فِي تَحْديِهِ لِلْمَسْتَعْمِرِ يَسْتَكِينُ
إِلَى صُورٍ وَلُغَةٍ صَارَخَةٍ وَغَاضِبَةٍ لَكُنُها تَقْليْدِيَةٌ؛
حِيثُ «يَصْفُ فِيهَا مَعَارِكَ الْحَرْبِ التَّحرِيرِيَّةِ
مِنْ خَلَالِ صُورٍ لَا تَمَتَّ إِلَى الْحَرْوُبِ الْمُعَاصِرَةِ
بِأَيَّةٍ صَلَةٍ إِنَّهَا صُورٌ مُسْتَقَاهَا مِنْ أَجْوَاءِ الْقَصَائِدِ
الْعَرَبِيَّةِ الْقَدِيمَةِ»^(١٤) الـتـيـ يـكـثـرـ فـيـهـ ذـكـرـ السـيـوـيفـ
وـالـصـهـوـاتـ وـتـصـوـيـرـ الـقـتـلـ وـشـجـاعـةـ الـفـارـسـ،
وـهـوـ يـحـارـبـ الـأـعـداءـ، كـلـ هـذـهـ الصـورـ الـقـدـيمـةـ
لـاـ تـفـارـقـ الـخـرـفـيـ فـيـ نـسـجـ قـصـائـدـ الـثـورـيـةـ، مـنـ
ذـلـكـ يـقـوـلـ^(١٥):

تَغَاضَيْنَا عَنِ السَّوَاءَتِ حِينَا
وَقَلَنَا وَالنَّهِيَّ يَقْظَى لَعْلَا
وَلَمَالَمْ يَفْدِ حَلْمَ وَصَبَرَ
رَكَبَنَا فِي طَرِيقِ الْمَجَدِ جَهَلاً

حيـثـ شـنـتـ الجـازـيرـ إـضـرـابـاـ عـامـاـ دـامـ أـسـبـوـعاـ
كـامـلاـ بـمـنـاسـبـةـ عـرـضـ القـضـيـةـ الـجـازـيرـيـةـ عـلـىـ
الـأـمـمـ الـمـتـحـدـةـ لـأـوـلـ مـرـةـ، فـقـامـ الـمـسـتـعـمـرـ بـشـنـ
حـمـلـاتـ اـعـتـقـالـ وـدـهـمـ لـلـبـيـوتـ وـالـدـورـ وـالـمـحـلـاتـ
بـجـنـوـدـهـ وـذـخـيرـتـهـ الـحـيـةـ دـونـ رـحـمـةـ أـوـ شـفـقـةـ،
يـصـورـ الـخـرـفـيـ حـالـ الجـازـيرـ وـأـعـمـالـ الـمـسـتـعـمـرـ،
مـعـبـراـ عـنـ حـالـتـهـ النـفـسـيـةـ إـزـاءـ جـرـائـمـهـ فـيـقـوـلـ^(١٦):

خَبْرُونِيْ أَبِيـالـجـازـيرـ أَنـسـ؟
أَمْ طـوىـ شـعـبـهـاـ الـمـكـافـحـ رـمـسـ
أَنـهـجـ خـيـمـ السـكـونـ عـلـيـهـاـ
وـأـنـاسـ بـيـنـ الـمـنـازـلـ خـرـسـ
سـكـنـتـ لـاـ سـكـونـ عـجـزـ وـكـانـتـ
كـعـبـابـ الـخـضـمـ تـطـفوـ وـتـرـسـوـ
غـيرـنـارـ وـمـتـرـيـاتـ تـدـوـيـ
وـذـئـابـ سـطـتـ تـجـورـ وـتـقـسـوـ
بـطـرـتـ فـانـثـنـتـ تـعـضـ وـتـغـوـيـ
وـلـهـاـ فـيـ إـبـادـةـ الـنـفـسـ أَنـسـ

ب - تحدي المستعمر:

يـتـعـالـىـ مـنـ أـطـلـسـ الـمـعـجزـاتـ صـوتـ الـخـرـفـيـ
الـمـتـحـديـ التـائـرـ الشـجـاعـ المـقـادـمـ، مـمـتـطـيـاـ الـكـلـمـاتـ
وـالـجـمـلـ الـصـلـبـةـ الـقـوـيـةـ وـالـلـغـةـ الـثـائـرـةـ الـتـيـ لـاـ
تـعـرـفـ لـلـيـنـ طـرـيـقاـ وـلـاـ لـلـرـقـةـ مـسـلـكاـ، مـخـاطـبـاـ
الـمـسـتـعـمـرـ فـيـقـوـلـ^(١٧):

فـلـاـ تـرـقـبـواـ مـنـاـ سـلـامـاـ دـعـونـاـ
صـخـرـةـ وـدـعـوـهـ وـعـلـاـ
يـاـ نـسـرـ الـجـبـالـ أـدـرـ رـحـاـهـاـ
وـأـجـجـ نـارـهـاـ أـوـ تـسـقـلـاـ

لا نجح لتزويق الامانى
زمان القول يا مولى تولى
الا إن الجزائر أنجبتنا
لضى نار به الأعداء تصلى
الا إن العربية علمتنا
وعلمنا الآباء الا نذلا
ولما لم يفدى حلم وصبر
ركبنا في الطريق المجد جهلا
فمن بنزالنا غرته نفس
تركنا أممه تبكيه ثكلى
إذا خضنا الوغى أبنا بنصر
وغادرنا الثرى جرحى وقتلى
نلاحظ أن الخرفي صعد في لغته؛ حيث نقل
القصيدة إلى الأجواء الجاهلية التي تغالي في
وصف الحروب وتعلي من شأنها وتبدى ولاءها
لقبيلتها، وتستلذ الدفاع عنها والاستماتة لأجلها،
وكذلك يفعل الجزائري من أجل وطنه، يثير
بقوة وعنف ويسترخص في سبيل نيل الحرية
أو الشهادة كل غال، وهذا ما دأب على تأكيده
شاعرنا في كل قصائده متفاعلاً مع سياقها
ومنفعلاً لرصد المعاني والدلالات المعبرة عن
تجربته الشعرية؛ حيث يقول^(١٨) :
فجئنا والنيران في لهب
تديراها فتية عرب صناديد

وثرنا صارخين بملء فينا
رويدك يا فرنسا ثم مهلا
فمن بنزالنا غرتة نفس
تركنا أمه تبكيه ثكلى
إذا خضنا الوغى أبنا بنصر
وغادرنا الثرى جرحا وقتل
فالشاعر يستعين باللغة العنيفة في التعبير
والألفاظ التي لا تعرف رحمة ولا هودة تتحدى
المستعمر وتهدد كيانه وتتوعده بأن تزيحه،
فالثورة عند الخRFي تتاجج وتعلو صرخاتها
وأصواتها المرتفعة إلى حد أقصى، وهذا ما يؤكد
خطابه لأحد الجنرالات الفرنسيين، فيقول^(١٦):
وهالته الجزائر إذ رآها
تشرد قومه سبيا وقتلا
وتلّاك سيفونا صدئت فثرنا
نروم لها على الأعنق صقلاء
كما يوجه شاعرنا تحديه للمستعمر من خلال
توجيهه قصيدة " صرخة الأحرار في وجه غي
موليه" لرئيس الوزارة الفرنسية أثناء زيارته
للجزائر، وتشدقه بالمبادئ الاشتراكية ودعوة
البناء والتعمير، فيجدد شاعرنا خطابه الحاد
العاكس لكره الحكومة الفرنسية، ومن سار في
ركبها، واستهانته بكل ما تصرح به فهو كذب
وبهتان فقد خبر الشعب فرنسا وحيلها وخداعها،
فيقول^(١٧):

أي(مولى) استقل و تتحى عنا

فإن السيف أصدق منك قولاً

حبه للجزائر وثورتها المباركة فيقول^(٢٠):

يا روضة الشهداء من أرض الفدا
ياأسد معقلها و لاأسد الشرى
يا روضة الشهداء لولا كعبه
هي قلتي سميتها (أم القرى)
يا صيحة الأحرار من أرض الجزا
ئر لم زل تغزو المدائن والقرى
لولا اختتام الوحي بالهادي ولو
لا روضة فيها أقام معطرا

أقسمت أن الأطلس الدامي
يُخْبِي لِلْبَرِّيَّةِ هَادِيَا وَمُبَشِّرَا
فَالْخَرْفِيُّ يَتَسَامِي بِحُبِّ الْجَزَائِرِ؛ حِيثُ يَصِفُّهَا
بِرَوْضَةِ الشَّهَدَاءِ وَمَعْقَلِ الْأَبْطَالِ، فَيَفِيضُ عَلَيْهَا
بِأَوْصَافِ قَدْسِيَّةٍ، مَا يَجْعَلُ لِغَتَهُ لَغَةَ حَالَمَةَ
عَمِيقَةَ الْأَغْوَارِ، وَغَايَتِهُ بَنْثُ الْحَمَاسِ، وَإِلَهَابِ
الْمَفَالِخِ بِأَرْضِ الْجَزَائِرِ؛ لَأَنَّهَا ثَغَرَ مِنْ ثَغَرِ
الْعَرَوَةِ وَالْإِسْلَامِ.

وقد اتَّخذَ الخُرْفِيُّ مِنْ نَفْسِهِ الْمُتَأْجِجَةِ مِنْتَلْقاً
لِرَؤْيَتِهِ الشَّعْرِيَّةِ فَجَاءَ شِعْرُهُ وَجَدَانِيَا اِنْفَعَالِيَا مَا
أَمَطَ اللَّاثَمَ عَنْ رَؤْيَتِهِ الْحَزِينَةِ وَنَفْسِهِ الْمُتَأْلِمَةِ
وَقَلْبِهِ الْمُحْطَمِ، فَهُوَ يَعِيشُ حَيَّةَ الْخُوفِ؛ لَأَنَّهُ
يَصْبُو لِلْحَرِيَّةِ، فيقول^(٢١):

أَنْتَ أَنْشُودَةُ الصَّبَاحِ إِذَا افْتَرَ
وَفِي غَفْوَةِ الدَّجَى أَنْتَ نَجْوِيَّ
فَهُذَا التَّغْنِيُّ بِالْجَزَائِرِ يَعُودُ إِلَى أَنَّ الشَّاعِرَ لَا
يَرَى فِي الْجَزَائِرِ إِلَّا حَرِيَّةَ وَحَرِيَّةَ شَعْبَهُ، وَلَا
يَحْسَ بِالْحَرِيَّةِ إِلَّا إِذَا كَانَ فِي أَرْضِ الْجَزَائِرِ؛

خاضوا المعامِعَ فِي شَوَّقٍ وَفِي

لَهْفٍ كَأَنْ قَلْبَهُ بِالْمَوْتِ مَعْمُودٌ

فَهَذِهِ الْمَوَاقِفُ فِي سَاحَاتِ الْوَغْيِ تَبَيَّنُ شَجَاعَةَ
أَبْنَاءِ شَعْبِ الْجَزَائِرِ، وَهُمْ يَتَسَلَّقُونَ الْجَبَالَ؛ لِنَيلِ
حَرِيَّتِهِمْ، وَلَا يَفَارِقُونَهَا أَبَدًا حَتَّى يَنْلَاوُوا سِيَادَتِهِمْ،
فَالْخَرْفِيُّ يَبِطِّنُ أَبْيَاتَهُ بِالْأَفْلَاظِ عَنِيفَةَ مُسْتَوْحَاهَةَ مِنَ
الْحَرْبِ وَسَاحَاتِ الْوَغْيِ.

٣ - رقة الثورة في أطلس المعجزات:

إِلَى جَانِبِ الْلُّغَةِ الثُّورِيَّةِ الْحَادِهِ وَالْعَنِيفَةِ الَّتِي
وَظَفَهَا الْخُرْفِيُّ فِي أَطْلَسِهِ لِمُخَاطَبَةِ الْمُسْتَعْمَرِ
وَكَشْفِ جَرَائِمِهِ، نَجَدَهُ امْتَطَى لِغَةَ أَخْرَى
وَقَوْضَ خَطَابًا مُخَالِفًا وَمُنَاقِضًا لِلْأَوَّلِ، أَلَا وَهُوَ
الْرَّقَّةُ وَالسَّلَاسَةُ وَاللَّيْنُ، تَعلُّوهُ فِي الْكَثِيرِ مِنَ
الْمَوَاضِعِ لِمَسَةِ رُومَانِسِيَّةِ تَظَهُرُ الْجَانِبُ الْآخَرُ
مِنْ شَخْصِيَّةِ الْخُرْفِيِّ، فَقَدْ رَأَيْنَا فِيَهُ الشَّخْصَ
الْمُحَارِبُ وَالْمُنَاهَضُ الشَّرِسُ أَمَامَ أَعْمَالِ
الْإِسْتَعْمَارِ وَجَرَائِمِهِ ضِدِّ شَعْبِهِ، وَسَنَرِيَ مِنْهُ
الْشَّخْصُ الْحَالِمُ الْهَادِيُّ الْمُتَطَلِّعُ لِمُسْتَقْبَلِ الْجَزَائِرِ
الْمُتَحْرِرَةِ وَالْجَمِيلَةِ الَّتِي تَنْعَمُ بِالْأَمْنِ وَالسَّلَامِ
وَالْطَّمَانِيَّةِ، وَقَدْ تَجَلَّتْ هَذِهِ السَّمَةُ فِي:

أ - التَّغْنِيُّ بِالْجَزَائِرِ:

عِنْدَمَا نَطَّالَعَ شِعْرُ الْخُرْفِيِّ نَجَدَهُ يَهْبِمُ بِحُبِّ
الْجَزَائِرِ، فَهُوَ «غَارِقٌ فِي حُبِّ وَطَنِهِ إِلَى أَعْمَقِ
أَعْمَاقِهِ وَأَحْمَصِ قَدَمِيهِ؛ لَأَنَّهُ مَعْذُبٌ بِهُوَاهِ هَائِمٌ فِيَهِ
وَلَذَا عَاشَ مُؤْرِقاً بِوَطَنِهِ مُتَشَوِّقاً إِلَيْهِ لَا يَبْهَأُ مِنْ
هَجَمَةِ الْحَنِينِ إِلَّا عَاوِدَهُ هَذَا الْحُبُّ مَا جَعَلَ حُبَّ
الْوَطَنِ تَضَخُّمَ كَلَمَا كَبَرَتِ الْمَأْسَاةِ، وَكَلَمَا عَاوَدَهُ
الْفَلَقُ وَتَمَلَّكَهُ الْخُوفُ»^(٢٢)؛ حِيثُ يَتَغَنِّي بِنَوْفَمْبَرِ
الْأَغْرِي بِجَمَالِيَّةِ مُمْتَعَةِ وَبِرُومَانِسِيَّةِ مُمْتَاهِيَّةِ، كَاشِفًا

والسيادة باخضارها واحمرارها وبنجامتها الخامسة، فالخرف يشيد بالعلم الجزائري ويؤمن به كرمز للجزائر وحريتها، ويضع الثقة في الثورة منذ انتصاراتها الأولى، فوصفه في قصيدة "عهد جديد" للعلم التي نظمها بمناسبة إعلان الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في سنة ١٩٥٨ ، والتي يشيد فيها بهذه الرأية التي ظلت خفافة، فالشاعر يكثر من التغنى بالرأية إلى حد أنه يرى أن كل جزائري لا تظلله إلا هذا العلم المقدس الذي يجب أن نفتخر به وندافع عنه ونتمكن له، متوسلاً بلغة سلسة طبعة تصفي على القصيدة جمالاً ورقه؛ حيث يقول^(٤):

يا أخي ظللتك أقدس رأية
وفي غفوة الدجى أنت نجوى
وبها سرت نحو أشرف غايه
إنها دولة وليس حمايه
وفي غفوة الدجى أنت نجوى
إنها النصر والعلا في النهايه
إنها يا أخي برغم الجبار
وفي غفوة الدجى أنت نجوى
دولة من صميم شعب الجزائر

فالعلم بتاريخه الطويل يحتل مكانة في نفوس الشعب، فهو صورة مصغره للوطن، وعنوان الثورة ولواؤها، وجدير «بأن يحظى من الشعر بوقفات نقديس وإجلال ولفتات افتتان وهياق فتحتفق في خفقاته أوزانه وقوافي، ولم يقل الشعر عن السلاح وفاء للعلم الجزائري فطالما حياد بطرف مطرق وقلب خاشع»^(٥) دليل على

حيث يتغنى بعودته من غربته إلى الجزائر الحرة بخطاب رومانسي في قصيدة " صرخة جزائري " مصوراً لنا نفسية جديدة وروحًا آخرى تمثلها الخRFي في حديثه عن الجزائر؛ حيث يقول^(٦):

سنة الكون أكون طليقا
وفي غفوة الدجى أنت نجوى
أتخطى في الغرب دربا سحيفا
و من الشرق أستمد شروقا
وفي غفوة الدجى أنت نجوى
لبلاد أقسمت أن تفيقا
إنهاتربة تسمى الجزائر
وفي غفوة الدجى أنت نجوى
أخرجتها للكون قبضة ثائر

ويتسامى الخRFي متغنىً بالجزائر وبمكانتها الأصلية الضاربة في التاريخ، العاكسة لحضارتها العربية والإسلامية، فقد عرفت بين الأمم بالعزيمة والكرامة فعليها أن تثور لتثبت وتؤكد هذه الحقيقة، يقول^(٧):

وطني عهتك في المروءة والكرا
مة؛ حيث يعشق ذكرك الجلاس
وعهدت فيك يشمخ أنه
نحو السماء وللعزيز شamas

ب - التقني بالرأية:

فإذا كان الخRFي قد تغنى بالجزائر وقدسها، فهو لا يملك إلا أن يعتز برأيتها، التي ضحى لأجلها الآلاف من الشهداء، إنها رأية العز

ج - الشوق والحنين:

إن الخرفي شاعر ثوري ووطني يحترق شوقاً إلى الجزائر المحترقة بالألام ونيران الأداء، ولهم تهزته تلك المناسبات الغالية حين يجد نفسه غريباً بعيداً عن وطنه المحترق بلا أم تواسيه، ولا بيت يأويه، ولا أخ يمسح همومه، هنا تتجلى اللغة الرقيقة الحبلى بالرومانسية المغفرة في جو من المشاعر الفياضة التي نتلمس وقها، ونسمع إيقاعها من خلال حديث الخرفي عن والدته التي تركها في أرض الجزائر، ولا يدرى ما حل بها، وكيف نكل بها المستعمر، فالخرفي شغوف لرؤيتها يتطلع إلى كل خبر عنها، فقد حرم من مناداتها والجلوس إليها، فيرسل الزفرات الحارة حين يرى الأمهات مع أبنائهن فيذكره المشهد فيقول^(٢٩):

كم ذكرتني أمهات في ثياب زاهية
وفي غفوة الدجى أنت نجوى
أيمك السوداء بين الذناب الضاربة
والعيد خصب منك كفا بالدماء القانية
وفي غفوة الدجى أنت نجوى
وتقلد الخدان لؤلؤ مقلة لك باكية
والكف ساند خافقا دقاته متالية
وفي غفوة الدجى أنت نجوى

تتراء لنا الرقة المبثوثة في المقطوعة والتي تظهر الجانب الآخر لشخصية الخرفي؛ حيث تشع من روحه معاني ودلالات تشعرنا بالشوق والحنين إلى ما يشعر به، وبخاصة الأم التي نشاق إليها، وهي قريبة منا، فالشاعر يتخطى بين

مكانته لذا وصف العلم برئيته الشعرية وبالألوان التي «يستمدّها من الطبيعة الجزائرية، وأخلاق أبناء الجزائر، وموافقهم البطولية، فالعلم فلذة من أكبادهم ودفقة من دمائهم وقطعة من وطنهم الأخضر وتسيج من عروقهم النابضة، فهو أهل؛ لأن يفدى»^(٣٠)؛ حيث يصفه الخرفي بلغة تتسبّب على القلوب الحزينة فتحبّها، وعلى الجروح فتشفيها فيقول^(٣١):

ظللت نابن جمة وهلال
وفي غفوة الدجى أنت نجوى
سلام على ممر الليالي
واحضرار على الربى والتلال
وفي غفوة الدجى أنت نجوى
ودم مفرد القدسية غال

لقد سكن هذا العلم أفئدة الشعب، فأحبّوه واحترموه؛ لذلك لا يزال صاعداً إلى العلا ولا يزال أبناء الشعب يبادعونه الواحد تلو الآخر، فهو علم الثوار وأنّات الجزائر وصرخات البتامي^(٣٢):

علم ثائر إلى المجد صاعد
وفي غفوة الدجى أنت نجوى
فتلتقته أعين على السوا وأبعاد
أقرباء بكاف حرم مساعد
وفي غفوة الدجى أنت نجوى
باعوه بكاف حرم مساعد
تلك أنّات يتم وحرائر
وفي غفوة الدجى أنت نجوى
فجرت بالحنان أقسى الضمائر

لأنه «اغتراب لا يعلم له انتهاء مما يجعل الأنفس معلقة بين اليأس والطمع، ولكن المشاعر رغم ثبوتها بين الحناء فقد طوتها الضلوع، وهي تتمزق وتنكرت لها، وهي تضرب بجذوتها بأعماقها وتسamt عليها وانصرفت عن ذكرها»^(٣٢) فتجنح العاطفة الثورية المفعمة بحنين الوطن؛ لتصبح شعوراً يضمها الشاعر في نفسه، شوقاً وحرقة بمقابلة الأهل والأصحاب، فيكون نكراً للذات عنده عبارة عن التضحيه بالعواطف الشخصية والتسامي بالمشاعر الذاتية، ونلمح ذلك في قصيدة "نداء الضمير" التي أظهر فيها هذه العاطفة المعيبة بالحنين لتربيه الجزائر في القصيدة «جمع بين الحب والثورة... تصور حياة حبيبين نعماً بالحب وفروقت بينهما الحرب، فهاهي الحبوب تتلهف على حبيبها وتعرب له عن حبها ووفائها وأملها باللقاء به يوم النصر القريب»^(٣٣) فشعور الخوفي بالعودة للوطن والتلاقي مع الحبوب جعل أفكاره تتلاشى انتياً؛ لتجاوز المحن قهراً وذلاً؛ حيث يقول:^(٣٤)

يا حبيبي ذكريات الأمس لم تبرح خيالي
وفي غفوة الدجي أنت نجوى
كيف تغفو مقلتي عن ذكرها عبر الليالي
لا تلمني إن ترامت بي أمواج البعد
وفي غفوة الدجي أنت نجوى
لا تلمني لم يزل يخفق للحب فؤادي
غير أن القلب هزته نداءات شجية
وفي غفوة الدجي أنت نجوى
صعدتها في دجي الليل قلوب عربية

ألم البعاد وألم الحيرة عليها في أرض الجزائر، وهي تكابد مع شعبه قهر واضطهاد المستعمر. لعل اللوحة التي رسمها الشاعر لأمه هي لوحة مأساوية لما حل به في العيد، ولما يتصوره في الجزائر؛ حيث يتخيّل والدته دافنة رأسها بين كفيها والدم يترفق من مقلتيها وحيدة غريبة عنه لا يستطيع مواساتها، ولا هي كذلك، فيقول^(٣٥):

أمي يهنى كل نجل أمه ويعانق
وفي غفوة الدجي أنت نجوى
وأنا نصيبي منك يا أمي الخبر الطارق
أحيا هنا وأنا لمرآك الوصيي مفارق
وفي غفوة الدجي أنت نجوى
لكنني بالرغم منه باللقاء أنا واثق
أماد هذا المعتدي هذا الغراب الناعق
وفي غفوة الدجي أنت نجوى
أنا والجميع وأنت يا أمي عليه صوابع

ويشتند الشوق بالخرفي فيذكر كيف يمضي العيد مع والدته؛ حيث تمر صورتها أمام عينيه، وهي تحضر لذلك اليوم بدءاً بالإبكار وتزيين البيت للزائرين فيتفاعل حنيناً مع المشهد، ويغوص في عالم الذكرى الحالمة فيقول^(٣٦):

من يا ترى ينسى فؤادي بقطة باكره
في جر يوم العيد والأعياد ذكرى عابره
لتزييني البيت الجميل لزائر أو زائره
والبشر رسم في محياك الجميل بشائره
فهذه من ثورية ووطنية الخوفي وشعوره
بالحنين والسوق للجزائر، وهو في غربته؛

ويذيب الليل والآلام فجر من دمانا
سوف ألقاك مع النصر وأفراح البشائر
وفي غفوة الدجى أنت نجوى
سوف نبني عشنافي ظل تحرير الجزائر

د - الإشادة بالمجاهدين:

إن الشخصية الثورية التي عرف بها الخرفي
تجعله يتغنى بالمجاهدين والشهداء في أطلسه،
«مشيداً بأعمالهم وشجاعتهم في كل ربوع وطنه،
يحثهم على الجهاد صراحة، ويشد من أزرهم
ويثمن أعمالهم ويبارك انتصاراتهم وصف
بسالتهم وينبذع إنجازاتهم»^(٣٧) بلغة لا تخلو من
الرقابة والسلasse، فالمجاهدون يصنعون التاريخ
الطاهر ويرسمون طريق الحرية، بعز وكرامة؛
لذا نجده يصفهم براصنة وهدوء فيقول^(٣٨):

يا أيها الزاحفون زحف المنايا
في ذرى الأطلس الأشم المصابر
يا نسور الجبال حدق منكم
رابض في الثرى وحلق كاسر
أين سباقكم في المعالي
من باق التسلح المتظاهر
هذه الصيحات الجهادية تبعث العواطف
المرتبطة بالثورة، والوطن والجهاد وتشجع
المجاهد في ساحات الوجى «بخوض المعارك
وهو مستعد لها، يحمل كل الصفات التي تؤهله
لها، وتمكنه من النصر في الأخير، من شجاعة
وابتسال، وتحد الموت، ونفور من الذل»^(٣٩)؛
لينافح عن بلاده، إنها توجيهات القائد^(٤٠):

وجفون مسها الضيم فقصت بالدموع
فاستطرات شعلة الحب لهيبا في ضلوعي
وفي غفوة الدجى أنت نجوى
وتراعت لي وراء الصوت أعلام البشائر
فوهبت الحب قربانا وبأيوب الجزائر

يبدو الخرفي متشبّثاً بالوطن مخلصاً للثورة
التحريرية الكبرى يغزلها بشتى الأوصاف
والنعوت والأسماء قاصداً حبيبته الجزائر فتسيل
قصائده في حرارة وحرقة تنم عن رقة إحساسه
وجميل نفسه ورومانسيّة روحه^(٤١):

يا حبيبي لم أخن عهدي ولا خلت هوايا
وفي غفوة الدجى أنت نجوى
غير أن الحب أمسى ثورة بين الحنايا
لـك حبي في ذرى الأطلس في تلك الروابي
وفي غفوة الدجى أنت نجوى
فهناك الأفق الربح لأحلام الشباب

يبدو أن هذا البوح العاطفي الشجي البعيد
الأغوار يعمق التجربة الشعرية للشاعر، و يجعل
هذه العواطف تنساح انسياحاً، ولا تقف أمامها
الحدود ولا القيود، وهذا يخفف من آلام الشاعر
وبيعث الأمل^(٤٢):

يا حبيبي كم فرشنا الربع وردا وزهورا
وفي غفوة الدجى أنت نجوى
كم بنينا من هوانا لأمانينا قصورا
لـك حبي يوم تعلو بسمة النصر ثرانا
وفي غفوة الدجى أنت نجوى

غاض نبع الحياة منكم

وارد يستقي الردى غير صادر
أنت المجد والخلود وأنتم

مهرجان انطلاقنا والمنابر

يرى الخري أن تربة الجزائر تطهرت بدماء الشهداء، وتعطرت، وارتوت بها، فأضحت روضة لهم، ومعقلًا للأسود المجاهدين الذين لم يدخلوا جهاداً لتحريرها، فالخري في آمن بقضيته، وتمكن حب الجزائر منه، فهو ثوري ووطني للنخاع، ويركب اللغة القاسية حيناً والرقيقة الهامسة حيناً آخر؛ حيث يقول^(٤):

بسمة النصر تلك في يوم عيد
أم هي الدمعة احتفت بالشهيد
خليا دمعة الشهيد تروي
مقاتلي خليا يذكي صمودي
لا تقولا أين ابتسام الأمانى
بسمة البشر ضاق عنها وجودي
أي عيد بوقف إطلاق نار
ولهم في دمانا ألف عيد
خليا آهـة المعذب تحدو
ثورتي؛ لأنطافها من جديد

يبدو أن شاعرنا اعتمد في المقطوعة على بعض الكلمات التي سعى إلى تكرارها، وهي ذات دلالات راقية وسامية تعبر عن الناحية الجمالية والمقدسة للثورة وهي: (بسمة، ابتسام، الشهيد، خليا، عيد، دمعة)، كما تعكس حرص الخري على الارتفاع بالشهداء وبقيمة المجاهد الجزائري وعمله.

فاتمة

وبعد فقد كانت هذه الدراسة محاولة لسبر أغوار عالم القصيدة الثورية الجزائرية في ديوان أطلس المعجزات لصالح الخري القراري الجزائري، والكشف عن ثنائية العنف والرقابة التي طبعت لغة ومعاني ودلالات قصائده، فشكّلت صورة جمالية تلوّنـت بها نصوصه، وكشفت عن شخصية الخري التي تتميـز بالقوة والعنف والحرز حيناً، والرقابة والسلasse والرومانسيـة المطلقة حيناً آخر في عالم ثوري يعـج بلغة الحديد والنار، كما استطاع الخري إنتاج بنية شعرية نـبعـت من صميم التجربة الشعرية الثورية التي عـاشـت أيامها واكتـوىـتـ بـنـارـهاـ وـآـلـمـهاـ وـتـلـذـ بـنـشـوـتهاـ عـنـدـ الاستـقـلـالـ.

ومن ثم فقد جاءت تلك النصوص الثورية وفقاً للرؤـيةـ النفـسـيةـ وـالـفـنـيـةـ لـلـخـرـيـ؛ـ حيثـ رـصـدـ فـيـ أـطـلسـهـ مـحـطـاتـ الثـورـةـ الـأـلـيمـةـ،ـ وـعـبـرـ عـمـاـ قـاسـاهـ الشـعـبـ الـجـزاـئـرـ مـنـ ذـلـ هـوـانـ،ـ كـمـ كـشـفـ فـيـهـ عـنـ عـنـفـ الثـورـةـ التـحرـيرـيـةـ الـتـيـ عـصـفـ بـالـمـسـتـعـمرـ فـسـجـلـ أـطـوارـهـ وـمـحـطـاتـهـ،ـ وـإـلـىـ جـانـبـ ذـلـكـ أـشـادـ بـالـجـزاـئـرـ وـبـجـمـالـهـاـ وـخـاطـبـ أـنـوـنـتهاـ،ـ وـاشـتـاقـ لـلـحـدـيثـ إـلـيـهاـ مـنـ خـلـالـ مشـاعـرـ النـبـيـلـةـ،ـ فـكـانـ روـمـانـسـيـاـ إـلـىـ أـبـعـدـ الحـدـودـ،ـ فـقـدـ جـمـعـ فـيـ أـطـلسـ الـمـعـجزـاتـ بـيـنـ هـذـاـ وـذـاكـ فـيـ جـمـالـيـةـ فـنـيـةـ مـطـلـقـةـ.

الحواشي

١ - الشاعر صالح الخري من مواليد ١٩٣٢ م بمدينة القرارة بولاية غرداية، من أسرة تقـدـسـ العلمـ والـعـلـمـاءـ،ـ حيثـ حـفـظـ القرآنـ الـكـرـيمـ سـنـةـ ١٩٤٦ـ،ـ ثـمـ تـلـعـمـ فـيـ مـدـرـسـةـ الـحـيـاةـ الـابـتدـائـيـةـ،ـ وـبـعـدـهاـ أـرـسـلـ إـلـىـ تـونـسـ لـيـهـلـ مـنـ عـلـومـ جـامـعـ الزـيـتونـةـ،ـ

جمالية
 التوازن
 بين الشدة
 والرقة في
 ديوان أطلس
 المعجزات
 لصالح الخريفي
 الفقري
 الزيتوني
 الجزائري
 - ١٩٣٢
 (٢٠٠١)

- جامعة باتنة، ١٩٨٩، ص ٦٩.
- ٢٠- صالح الخريفي، أطلس المعجزات-الديوان-، ص ١٨٠.
- ٢١- نفسه، ص ٢٢٢.
- ٢٢- نفسه ، ص ١٠١.
- ٢٣- نفسه ، ص ١٣-١٢.
- ٢٤- نفسه ، ص ١١٠-١٠٩.
- ٢٥- صالح الخريفي، الشعر الجزائري الحديث، ص ٢٨٤.
- ٢٦- صالح الخريفي، أطلس المعجزات-الديوان-، ص ٢٨٥.
- ٢٧- نفسه، ص ١١٠.
- ٢٨- نفسه، ص ١١١-١١٠.
- ٢٩- نفسه، ص ٩٧.
- ٣٠- نفسه، ص ٩٥.
- ٣١- نفسه، ص ٩٦.
- ٣٢- محمد ناصر، الأصالة في شعر ثورة نوفمبر، مجلة الأصالة، السنة العاشرة، العدد ٨٩ - ٩٠، جانفي - فيفري، ١٩٨١م، ص ١٢٣.
- ٣٣- الوناس شعباني، تطور الشعر الجزائري الحديث منذ سنة ١٩٤٥م حتى سنة ١٩٨٠م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص ١١٤.
- ٣٤- صالح الخريفي، أطلس المعجزات-الديوان-، ص ١٩٣.
- ٣٥- نفسه، ص ١٩٤.
- ٣٦- نفسه، ص ١٩٥.
- ٣٧- أنيسة درار بركات، أدب النضال في الجزائر من سنة ١٩٤٥م حتى الاستقلال، المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٤م، ص ١٠٢.
- ٣٨- نفسه، ص ٢٣٨-٢٣٧.
- ٣٩- يحيى الشيخ صالح، شعر الثورة عند مفدي زكرياء دراسة فنية تحليلية، دار البعد للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر، ط ١، ١٩٨٧م، ص ١٢١.
- ٤٠- صالح الخريفي، أطلس المعجزات-الديوان-، ص ٢٣٨.
- ٤١- نفسه، ص ٢٠٦-٢٠٥.
- والمدرسة الخلوذية سنة ١٩٥٣م، بعدها رحل الشاعر إلى القاهرة، فلتحق بجامعتها فتحصل على شهادة الليسانس ثم الماجستير ثم الدكتوراه في الآداب، ناضل الشاعر لإسماع صوت الثورة للرأي العالمي، ثم عاد إلى الجزائر ليشارك في الثورة حتى الاستقلال، توفي الخريفي سنة ٢٠٠١م.
- ٤٢- صالح الخريفي، الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط ٢، ١٩٨٤م، ص ٢٣٣.
- ٤٣- نفسه، ص ٢٣٣-٢٣٤.
- ٤٤- سلمى خضراء الجبوشي، أبعاد الزمان المكان عند الشابي- دراسات عن الشابي-، الدار العربية للكتاب، ط ٢، ١٩٨٩م، ص ٢١٤.
- ٤٥- مقداد محمد، دراسة نفس حرية لأطلس المعجزات- ديوان شعر لصالح الخريفي- مجلة الرواسي، باتنة، الجزائر، العدد العشرين، السنة الثالثة، رمضان ١٤٤٤هـ- جانفي فيفري ١٩٩٤م، ص ٤٥.
- ٤٦- صالح الخريفي، أطلس المعجزات-الديوان-، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨٢م، ط ٢، ص ١٩.
- ٤٧- نفسه، ص ٢١.
- ٤٨- نفسه، ص ٢٢-٢١.
- ٤٩- نفسه، ص ٢٢.
- ٤١٠- نفسه، ص ٤١.
- ٤١١- نفسه، ص ٤٧.
- ٤١٢- نفسه، ص ٣٠.
- ٤١٣- نفسه، ص ٦٧.
- ٤١٤- محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٨٥م، ص ٤٣٥.
- ٤١٥- صالح الخريفي، أطلس المعجزات-الديوان-، ص ٢٩.
- ٤١٦- نفسه، ص ٢٥.
- ٤١٧- نفسه، ص ٣٠، ٢٧، ٢٦.
- ٤١٨- نفسه، ص ٥٣.
- ٤١٩- محمد زغبنة، شعر السجون والمعتقلات في الجزائر (١٩٥٤ - ١٩٦٢)، رسالة ماجستير في الآداب، مخطوط، معهد اللغة العربية وأدبها،

قائمة مراجع الدراسة

١- أنيسة درار بركات، أدب النضال في الجزائر من سنة

- ٧- محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٥ م.
- ٨- مقداد محمد، دراسة نفس حربية لأطلس المعجزات- ديوان شعر لصالح الخريفي- مجلة الرواسي، باتنة، الجزائر، العدد العشر، السنة الثالثة، رمضان ١٤١٤ هـ- جانفي فيفري ١٩٩٤ م.
- ٩- الوناس شعباني، تطور الشعر الجزائري الحديث منذ سنة ١٩٤٥ م حتى سنة ١٩٨٠ م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- ١٠- يحيى الشيخ صالح، شعر الثورة عند مفدي زكرياء دراسة فنية تحليلية، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر، ط١، ١٩٨٧ م.
- ١١- سلمى خضراء الجبوشي، أبعاد الزمان المكان عند الشابي- دراسات عن الشابي-، الدار العربية للكتاب، ط٢، ١٩٨٩ م.
- ١٢- صالح الخريفي، أطلس المعجزات-الديوان-، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨٢ م، ط٢.
- ١٣- صالح الخريفي، الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط٢، ١٩٨٤ م.
- ١٤- محمد زغينة، شعر السجون والمعتقلات في الجزائر (١٩٥٤ - ١٩٦٢ م)، رسالة ماجستير في الآداب، مخطوط، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة باتنة، ١٩٨٩ م.
- ١٥- محمد ناصر، الأصالة في شعر ثورة نوفمبر، مجلة الأصالة، السنة العاشرة، العدد ٨٩ - ٩٠، جانفي - فيفري ١٩٨١ م.

من مَوَارِدِ السُّهُوِ والخَطَا وِالْإِخْلَالِ فِي تَحْقِيقِ النُّصُوصِ التَّرَاثِيَّةِ

مُحَمَّد رُضْوان الدَّائِيَّة
دمشق - سوريا

(١)

شغل التَّصْحِيفُ وَالتَّحْرِيفُ فِي النُّصُوصِ التَّرَاثِيَّةِ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْواعِهَا۔ اهْتَمَ الْعُلَمَاءُ وَالرُّوَاةُ وَالْأَدْبَاءُ وَالْمُؤْلِفِينَ وَالْمُصَنَّفِينَ. وَاجْتَهَدُوا فِي ضَبْطِ النَّصِّ كِتَابَةً وَرِسْمًا، مُثْلِمًا اجْتَهَدُوا فِي ضَبْطِهِ رَوَايَةً وَمُشَافَهَةً، وَقَدْ اسْتَظَلُوا بِظَلَّ رَوْيَةٍ إِسْلَامِيَّةٍ اتَّصَلَتْ بِجَانِبِهِمْ مِنْ الْعِقِيدَةِ، كَمَا دَعَتِ الْعَرَبُ وَالْمُسْلِمِينَ إِلَى تَأدِيَةِ كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَمَا سَمِعُوهُ، وَالْأَيْضُ يُزِيدُ الرَّاوِي عَلَى مَا سَمِعَ وَلَا يَنْقُصُ مِنْهُ، وَأَنْ يَجْتَهِدَ فِي ذَلِكَ الْاجْتِهادِ الْأَعْلَى الَّذِي يَسْتَطِيعُهُ الْإِنْسَانُ مُسْتَعِنًا بِالْأَدْوَاتِ الْمُتَاحَةِ لِلضَّبْطِ وَالْحِفْظِ وَالصَّوْنِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ.

من مَوَارِدِ
السُّهُوِ
وِالْخَطَا
وِالْإِخْلَالِ
فِي تَحْقِيقِ
النُّصُوصِ
التَّرَاثِيَّةِ

تَبَيَّنَأْ وَتَفَرِّقَ)، وَعَلَامَاتُ الإِهْمَالِ لِلْحُرُوفِ الْمُهَمَّلَةِ كِرْسِمُ السِّينِ (س) تَحْتَ حِرْفِ السِّينِ عَلَى أَنَّهَا السِّينُ الْمُهَمَّلَةُ وَلَيْسَ السِّينُ (الْمُعْجَمَةُ). وَاسْتَقَادَتِ الْكِتَابَةُ الْعَرَبِيَّةُ، وَسَائِرُ مَنَاسِطِ الرَّسْمِ وَالضَّبْطِ وَتَوْخِي الصَّحَّةِ وَالسَّلَامَةِ مَمَّا صَنَعَهُ الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ اشْتَغَلُوا بِالْمُصَحَّفِ الشَّرِيفِ، وَنَسْخَهِ وَضَبْطِهِ.

وَاغْتَنَّوا بِالْحَدِيثِ النَّبِيِّ الشَّرِيفِ بِوَضْعِهِمْ عَلَامَاتُ الْإِعْجَامِ وَالْإِهْمَالُ لِلْحُرُوفِ، وَتَقيِيدُهَا فِي الْحَاشِيَةِ لِلتَّبَيَّانِ، وَوَضْعُ عَلَامَاتِ الْفَصْلِ بَيْنَ الْأَخْبَارِ: الْدَّائِرَةِ، وَبِدَاخْلِهَا نَقْطَةً، وَوَضْعُ النَّقْطَةِ

وَالضَّبْطُ ضَبْطًا:

١- ضَبْطٌ صَدْرٌ: وَذَلِكَ بِأَنَّ يُؤَدِّيَ الرَّاوِي الرَّوَايَةَ كَمَا سَمِعَهَا مِنْ شِيخِهِ. (الْحَفْظُ فِي الصُّدُورِ).

٢- وَضَبْطٌ كِتَابَةً: وَذَلِكَ بِأَنَّ يُؤَدِّيَ الرَّوَايَةَ كَمَا يَرَوِيهَا مِنْ كِتَابِهِ الَّذِي رَوَاهُ مِنْ شِيوخِهِ، عَلَى أَنْ يَكُونَ عَلَى الْكِتَابِ أَمَارَاتُ الضَّبْطِ. لَمْ تَعْتَوِرْهُ يُدُّ التَّغْيِيرِ وَالتَّبَدِيلِ.

وَكَانَ فِي جُمْلَةِ مَا صَنَعَهُ الْمُهَتَمُونَ بِضَبْطِ الْكِلَامِ وَسَلَامَةِ النَّقْلِ، وَاسْتِقْلَالِ كُلِّ حِرْفٍ بِرِسْمٍ وَضَبْطٍ يَحْجِزُهُ عَنِ التَّدَالُّ بِغَيْرِهِ الْإِصْلَاحُ الَّذِي تَمَّ بِالْإِعْجَامِ (وَوَضْعُ النَّقَاطِ عَلَى بَعْضِ الْحُرُوفِ

بعد المقابلة دلالةً على انتهاء المقابلة حتى هذا الخبر.

(٢)

ويجتمع لتحقيق النص التراثي ثقافتان:

١ - ثقافة عامة: وينبغي أن تكون واسعةً، وصار لزاماً التتبّع على أساسيات هذه الثقافة في العصر الحديث، وقد كان أمراً عادياً حاصلاً دون عناء. فالثقافة اللغوية (بكل ما فيها من النحو والصرف واللغة ومعرفة المعاجم واستعمالها...) والثقافة الأدبية العريضة (من معرفة الشعر والنشر وحفظ النصوص والمذاكرة بها)، وإنقاذ شيء لازم من السيرة والتاريخ، ومعرفة الأسماء والبلدان (ومظان العودة إليها) وإنقاذ العروض والقافية، والبلاغة، ومعرفة أساليب العرب في كلامهم.. الخ.

... كل أولئك وما يلحق بذلك كان حاضراً لدى المستغلين بالعلوم العربية والإسلامية، والمستغلين بسائر العلوم والفنون كعلوم الأوائل، وسائر مناطق التأليف والتصنيف والعنابة بالنصوص.

ومع انتقال عملية تحقيق النصوص (والوثائق وما شابه ذلك) من المستشرين والمدققين والمحققين الأوائل الذين واكبوا حركة الطباعة الأولى، ومن خلفهم من الشيوخ والعلماء والباحثين إلى الأجيال التالية، بدأت تظهر "مشكلات" أدت إلى ظهور جديد (طاغ أحياناً) للتحصيف والتحريف والإخلال.

وهناك ثقافة خاصة: يحتاج إليها محقق المخطوطات الجديدة التي يعالجها بإتقان مُطلباتها من المعلومات والمصطلحات والمصادر

والتصحيف^(١) - في بعض تعريفاته - هو: تغيير في نقط الحروف أو حركاتها مع بقاء صورة الخط، مثل نَمْت ونَمْتُ، و: لَعَلَه ولِعَلَه، والعَذْل والعَدْل.

والتحريف هو العدول بالشيء عن جهته، قال تعالى: ﴿مَنِ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّقُونَ الْكَلَمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء: ٤٦]. وقال: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّقُونَهُ، مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥].

والتحريف: قد يكون بالزيادة في الكلام، أو القص منه، وقد يكون بتبدل بعض كلماته، وقد يكون بحمله على غير المراد منه، " فهو بكل هذه التعريفات أعم من التصحيف"، وفي العلماء قديماً من لا يفرق بين المصطلحين: (التصحيف والتحريف).

وأصل مصطلح "التصحيف" من الأخذ عن الصحف دون التقى عن أفواه العلماء. والصحفى - في تعريف لأبي أحمد العسكري: "هو الذي يروي الخطأ عن قراءة الصحف بأшибائه الحروف". وينتج عن هذا أحياناً وقوع شيء من التغيير، فيقال: قد صحفوا أي رددوه عن الصحف، وهم مصحّفون، والمصدر التصحيف.

وقد استجد في عصر الطباعة جديدٌ كثيرٌ مما يدخل تحت عنوان: التصحيف والتحريف، يعود شيء منه إلى عمل الطباعة نفسه في مراحله المتعددة.

وقيل في الأخطاء الناتجة عن عمل المطبعة

المراجع وخصوصيات المعلومات واللغة... الخ.

ومع اجتماع الثقافتين المذكورتين، وتجديدهما
والإضافة إليهما كلما أمكن ذلك يحتاج المحقق
إلى الصبر والأناء والمتابعة والإخلاص في
العمل...

وشيء آخر ذو أهمية، هو الاستفادة من أهل الخبرة من شيوخ الصنعة أو أهل العلم بمضمون المخطوط المحقق. وهذا يحقق تواصل أجيال المحققين حالاً بعد حال وجيلاً بعد جيل.

(۳)

أ- من أطرف ما قرأت-في موضوع السهو والخطأ في النصوص المدونة-بيتان لأحد الأدباء: (يعقوب النيسابوري) في ترجمته في فوارات الوفيات^(٢)، و هما:

كِمْ مِنْ كِتَابٍ قَدْ تَصَفَّحْتُهُ
وَقُلْتُ فِي ذَهْنِي: صَحَّحْتُهُ!

شِمْ إِذَا طَالَعْتُنَاهُ ثانِيًّا

رأيُتْ تَصْحِيفًا، فَأَصْلَحْتُهُ!

والبيتان يشيران إلى: وقوع التصحيف والتحريف في النصوص-لأسباب مختلفة سنمر بها، منها أن يُفوت المدقق والمصحح شيءً مما يحتاج إلى تصحيحٍ في مقابلةٍ ثانيةٍ للنص، وإن ظنَّ أنه فرغ منه!

وأنكر هنا خبرين يتعلّقان بهذا الأمر: أحدهما أنّني في أول لقاء مع د. إحسان عباس، في بيروت (وكنت معهياً في قسم اللغة العربية بجامعة دمشق) أستشيره في اختيار بحث لدرجة

الماجستير (في جامعة القاهرة)^(٣) سمعته يقول: في أثناء تجاذب لأطراف الحديث إله يأسف لإلغاء دار المعرف بالقاهرة وظيفة المصحح أو المدقق اللغوي، وذكر كتاباً ذا صلة بعلم النفس، وشكا من كثرة أخطائه؛ ونبه على ضرورة وجود ذلك المدقق الخبير.

والخبر الثاني: أنه كان بيني وبين د. عمر فرُوخ صلة، فقد علّمنا في جامعة دمشق (١٩٥٧-١٩٥٨)، وكنت ممّن ربط صلة تلمذة بأستاذ فائق المزايا. مرّة استهديتُ بعض كتبه، وكان معه كتاب ألهه طلاب المرحلة الثانوية في لبنان، فأخذته، وقرأتُه، وصحّحتُ الأخطاء الطباعية التي ظهرت لي، وأشارت إشارات تلمذ قارئ إلى بعض القضايا. ولما لقيته في الأسبوع التالي أعطيته الكتاب وأطعنته على ما صنعت، فقال: لك مما أصدّر من الكتب نسختان واحدة تقرؤها وتردّها، والثانية لك. واستمرت هذه الحال بيني وبينه مدةً طويلة، على أن علاقتي العلمية به ظلت مستمرة ولو من بعيد في أحيان كثيرة.

ولمّا صرّتُ أولف وأحقّ، عرفتُ المطابع،
وطُرق العمل فيها، وألفتُ المكوث في جانبٍ
منها لتصحّح المازمة التي انتهى الطباع من
تضييقها، أيام صفّ الحروف اليدويّ، وما وراء
ذلك أيضًا، وكان لا بدّ من زمِنٍ يُحكم التجربة
وبعد إلى تعميق الخبرة.

بـ- ويُسْهِم النَّاسُخُ فِي إِيَّاهِ الْمَحْقَقِ حِينَ
يُصَحِّفُ هُوَ أَوْ يُحَرِّفُ، وَيَكْثُرُ ذَلِكَ حِينَ تَكُونُ
مَتَابِعَةُ النَّاسُخِ عَلَى مَا كَتَبَ مُؤْدِيَةً مَعْنَى مِنْ
الْمَعْانِيِّ، وَلَكِنَّهُ لَيْسُ هُوَ الَّذِي يَدْلُلُ عَلَيْهِ السَّيَاقُ،
وَتَصَحُّ بِهِ الْقِرَاءَةُ.

"قال أبو بكر الخوارزمي: أنسندي أبو الحسن
الناشئ لنفسه، وهو مليح جدًا:

إذا أنا عاتبُ المُلوكَ فِتَّا
أَخْطُّ بِأَقْلَامِي عَلَى الْمَاءِ أَخْرُفَا
وَهَبْهُ ارْعُوَى بَعْدَ الْعَتَابِ أَلَمْ تَكُنْ
مَوْدُّهُ طَبَّا فَصَارَتْ تَكْلُفًا؟!

كذا ورد النص "إذا أنا عاتبُ المُلوك..."
و"المُلوك" على هذه القراءة جمع "مَلِك" ويكون
المعنى: إنه إذا عاتب الملوك لم يُجده ذلك شيئاً،
وكان كالذى يكتب على الماء!

قلت: صواب القراءة: "إذا أنا عاتبُ المُلولَ"
وهذا من: مَلَّ-يَمُلُّ، الواحد مُلول. (كثير الملل،
أو سريع الملل) وهو ذو مَلَّة، كما قال الآخر^(٥):

إِنَّكَ وَاللَّهِ لَذُو مَلَّةٍ
يَطْرُفُ الْأَذْنَى عَنِ الْأَبْعَدِ!

والشاعر يتحدث في البيتين المذكورين عن
شخصية (صديق) / يصلح أن تقال في الحبيبة).
ومن صفات هذه الشخصية أنها يُسرع إليها
الملل. والكلام على واحد، كما يدلّ البيت الثاني:

وَهَبْهُ ارْعُوَى....

وهذا ليس كلاماً دالاً على جمع كما تؤهم
قراءة: "عاتبُ المُلوك". وكلمة "المُلوك"
محرفة عن "المُلول" وقد يقع الوهم من القارئ،
ومن الناسخ بين الكاف واللام إن طرأ السهو أو
الغفلة، أو ساق إلى ذلك الاستهواء.

وقد أُعجبَ د. عمر فروخ بالبيتين المذكورين
فاختارهما في ترجمة الناشئ الأصغر من
كتابه^(٦)، ورواهما كما وردًا في طبعة الوفيات

وقد يكون الوهم من سوء المخطوطة أو سوء
التصوير لسوء الأصل (غالباً) فيذهب إعجم
بعض الحروف، أو يزداد بأثر طاري ليس من
الأصل كتدخل الحروف المتقاربة في الرسم،
كالباء والتاء والثاء، والطاء والظاء، والقاف
والفاء.... وقد يكون الحرفان متباuginين ثم يُسهم
النسخ أو التصوير بالإبهام كالباء والقاف، والعين
والعين.

وقد يكون السهو من عدم الانتباه لقاعدة
الناسخ الخطية كالتصوّص الأندرسية الخطوط.
ومن ذلك اقتراب الباء من الفاء (نقطة الفاء)
في الخط الأندرسية المغربي من تحت الحرف،
والقاف ب نقطة واحدة من فوق). ومن لم يتمرس
بالخطوط الأندرسية خلط بين حرف وأخر كالكاف
والطاء والظاء.

جـ- ومما يورد المحقق موارد الخطأ رُكونه
إلى نسخة مطبوعة من مخطوطته، طبعة سابقة:
يسْعُ النص المطبوع بين يديه، ويُجْيلُ قلمه فيه
على نية التحقيق. ثم يقع في أخطاء من استهواه
الطبع السابق. ويتبَّع هذا في الأخطاء الناتجة
عن الوهم إضافة إلى الاستهواه الذي ذكره.

ويدخل في ذلك أن يُسلّم المحقق مخطوطته
(أو مخطوطات الكتاب المراد تحقيقه) إلى من
ينسخه نسخاً جيداً على قواعد الإملاء السائدة
الآن، وإغفال مراجعة ما صنعه الناسخ، ولو
كان من طلاب الدراسات العليا، أو من النساخ
المحترفين.

ومن طريف ما ذكره في هذا الجانب قطعة
وردت في ترجمة الناشئ الأصغر^(٤) من كتاب
وفيات الأعيان (٣: ٣٦٩)، وفيه:

ديوانه^(٨)، فقد أَنْشَدْ قصيدة ذكر فيها الطّيف، استطرد فيها إلى وصف طُول اللّيل، وتشبيه الجُوزاء، والصّيام والظلام والفجر والسّحاب... وأخر بيتين فيها هما:

والفَجْرُ يَنْظُرُ مِنْ وَرَاءِ غَمَامٍ
عَنْ مُقْلَةٍ كَحَلتْ بِهَا وَرْقَاءُ

فِرَغْبَتْ نُو نَوْرِ الصَّبَاحِ لِزَوْرَةٍ
أُغْدِي لِهَا بِنَفْسِهِ الظَّلِمَاء

و قال ابن خفاجة بعد هذا (٩).

(لَوْرُ الصَّبَاحِ) فِي الْبَيْتِ الْآخِيرِ مِنَ الْقَطْعَةِ
الْمَهْمُوزَةِ ثَبَّتَ فِيهَا مَفْتُوحَ النُّونِ؛ وَسَيُغَيِّرُ
فِينَشَدُ لَا مَحَالَةَ مَضْمُومَ النُّونِ، فَيَنْقُصُ رُونَقُ
الْبَيْتِ !!

وَخَافَ ابْنُ خِفَاجَةَ مِنْ أَنْ يَغْيِرَ الْقَارِئَ أَوْ
نَاسِخَ الْدِيْوَانَ ضَبْطَ كَلْمَةً "نُورٌ" وَقَدْ أَرَادَهَا هَذَا
بَقْتَحُ النُّونِ (وَهُوَ زَهْرَ النَّبَاتِ) فَتَنَقَّلَ بِالْتَّغْيِيرِ
إِلَى نُورٍ! الْكَلْمَةُ بِالضَّمِّ (نُورٌ) لَهَا مَعْنَى، لَكِنْ
الشَّاعِرُ بْنُ مَقْصِدِهِ عَلَى التَّشْبِيهِ؛ وَالصَّنْعَةُ
الْفَنِيَّةُ. وَابْنُ خِفَاجَةَ مِنْ مَذَهِبٍ "الْتَّصْنِيعُ" (بِحَسْبِ
تَعْبِيرِ دَبْشُوقِيِّ صَيْفِ)^(١٠)، أَوْ "الْمُرَأَصَعُ" كَمَا
سَمِّيَ ذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْغَفُورِ الْكَلَاعِيُّ فِي
كِتَابِ: إِحْكَامُ صَنْعَةِ الْكَلَامِ^(١١).

وقول ابن خفاجة إنه سيغىّر، مبني على أن القارئ أو الناشر سيجري في القراءة والكتابة على العبارات الشائعة "نُور الصباح" وفي عبارة ابن خفاجة نُور الصباح صُورةً مبتكرة، وهو اللفظ الذي قَصَدَ إليه، والمعنى الذي طلب، والصُورة التي أرادها لفكرته.

دون تعليق.

- وقد يكون الخطأ ممّا يعرض من التطبيع، ثم لا ينتبه المحقق إلى ذلك، ومفتاح ردّ الأخطاء الطّباعية: مقابلة النص. والذي أعرفه من متابعي، أن أكثر من يمارسون "التحقيق" من طلبة الدراسات العليا، والشّدّاة، وأمثالهم لا يقابلون النصوص مع مَنْ يُتابع معهم، أو لا يُحسنون ذلك. وأضرّب مثلاً شاملاً من الجزء الثالث من كتاب "حماسة الظرفاء" فإن التطبيع هو السمة الأولى فيه، وكأنّ المحقق الفاضل لم يشهد طباعته (نقله من مخطوط يده إلى المطبوع).

ومن طريف التّطبيع والوقوع في التّحرير
والتصحيف كتابة هذا البيت على هذه الصُّورة:

وَلَا تُرْجِعْ فَعْلَ الصَّالِحَاتِ إِلَى غَدٍ
لَعْلَّ غَدًا يَأْتِي وَأَنْتَ فَقِيرٌ!
وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَاشِيَةِ: "لَا تُرْجِعْ: لَا تُؤْخِرْ،
وَالْفَعْلُ مَحْزُونٌ بِلَا النَّاهِيَةِ"

وظاهر أنّ الأصل كان صحيحاً: ولا تُرِجَّعُ
(بالراء المهملة) من أَرْجَأْ يُرْجِي بمعنى: أَجَّلَ
وأَخَّر؛ ثم ظهر النصّ-مع التطبيع- "ولا تُرِجَّعُ"
باليزي المُعجمة. ولا معنى له في هذا النصّ؛
وهو خطأً محض. ويكثر هذا التطبع وتفسّد
النصوص المحققة، وإن كان المحقق متقدّماً، حين
يتولّى أمر الطباعة والمراجعة والتدقيق ممن فلت
خبرته، وقل صَنْبُرُه.

د- من طريف الكلام على ضبط النص
المحقق على وجهه (تدقيقاً في الخطّ والرسم،
وتعزيزاً بالمعنى المراد) كلمة لابن خفاجة في

أُوكِلَ إِلَيْهِ، قَادِرًا عَلَى أَدَاءِ ذَلِكَ بِإِتقَانٍ.

ويخفف (ويقلل) من أخطاء السّهو وغيره عودة المحقق إلى المصادر الثانوية (بعد النسخة أو النسخ المخطوطة المعتمدة). مثلاً ورد بيت لمحمد بن أبي عبيدة في الجليس الصالح الكافي على هذه الصورة^(١٢):

زارتك مني همة منازعة

إلى العلام من مراتب الهم
وقوله: (مني) يكسر البيت ويفسد وزنه، وهو من بحر المنسرح، وصوابه في الأغاني^(١٣)، وصورته:

زارتك بي همة منازعة

.... البيت. وتقطيعه:
زارتك بي/ همة م-/ نازعة...
مست فعلن/ مفعلات/ مستعلن
وبيت آخر للشاعر نفسه، وصورته في الجليس الصالح^(١٤):

أنا الذي إذا كفرت نعمته
أذبّت ما في جنبيك من عَكْن
وهو مكسور الوزن أيضاً، وصوابه في الأغاني^(١٥):

أنا الذي إذا كفرت نعمته
.....
- والبيت من بحر المنسرح أيضاً.

والإحساس بالوزن الشعري، وإتقان العروض والقافية يحمي المحقق من الخطأ، ولو كان في النصّ الذي بين يديه اضطرابٌ من هذه الناحية.

في هذا البحث ملحوظات من بعض كتب التراث العربي كانت سجلتها على أطراف تلك الكتب مما يدخل في عنوان البحث من السهو والخطأ والإخلال، وهي كتب مختلفة من أدبية ولغوية ونقية وتاريخية وجغرافية، ومن كتب التراجم والرجال، والمعارف العامة وغيرها.

وهي كتب محدودة من كتب كثيرة من المكتبة التي تطيف مجلداتها بي في مكان العمل: كان المقصود اختيار نماذج مختلفة من قضايا متعددة تدخل في إطار البحث. ومحققو هذه الكتب من العلماء والباحثين والدارسين، وخرّيجي الدراسات العليا (في كتب كانت جزءاً من رسائلهم الجامعية لنيل درجة الدكتوراه).

والغرض العام هو التنبيه على نماذج وقع فيها السهو والخطأ والإخلال، على سبيل الإسهاب في إغناه حركة تحقيق المخطوطات، واستدرك ما يُشبه هذا الذي تتبه عليه وفي أعمال المنخرطين في هذه المهمة العلمية. وقد رتبت النماذج المختارة، وعالجتها بإيجاز، يحقق الغرض المقصود (في هذا الإطار المحدود).

ثم أقول:

شيءٌ من نتائج السهو وشيءٌ آخر من الخطأ ومن الإخلال يُستدرك بالمراجعة الجادة، واستحضار ما يمكن أن يكون المحقق قد نقص منه أو أخلّ به.

هـ - وقد تُوكِلُ المراجعة إلى محقق (أو قارئ) آخر، يفترضُ أنه أكثر خبرةً، وأطول باعًا في الفن. وهذا حَسَنٌ حين يكون المراجع جادًا في ما

٤- التاء هي حرف الروي (الذي ثبّنى عليه القصيدة في الشعر العربي) وحركته لازمة في أبيات القصيدة جميعاً.

- أمّا الهاء في "سَتَرْتَهَا" فهي الوصل.

- وأمّا الألف الأخيرة في "سَتَرْتَهَا". فهي: الخروج، والقصيدة: تانية.

و- وفي مناهج التحقّيق أن يستوفي المحقق العناية بالنص الذي بين يديه، فإن صادفه أمر يحتاج إلى تعليق أو إيضاح لم يجد له إفاده أو إضافة نبه على ذلك، بعد أن حاول، وقدّم جهده واستوفى معرفته - .

- ويدخلُ في هذا الإشارة إلى الأعلام والبلدان، وإلى الأقوال المشهورة والأمثال، وإلى الأسعار، والأخبار، وإلى المؤثر من تراث العرب، مما شاع واشتهر.

ومن التصحيف والتحريف ما يشير إلى المستوى اللغوي.

- وفي مطلع قصيدة للسان الدين هذان البيتان، أوردهما كما وردوا في الديوان^(١٧):

قَسْمًا بِاللَّيلِ وَمَا وَسَقا

وَآيَاتِ الْبَدْرِ إِذَا اتَّسَقا
وَالنَّجْمِ الثَّاقِبِ حِينَ هُوَ

رَاجِمًا وَالصُّبْحِ إِذَا انْفَلَقا
والقصيدة: مقدمة في إقبال النيروز (بدء فصل الربيع) والنقائض وشيك إلى المدح.

قلت:

(١) الشعر من بحر الخبر (فعلن) أربع مرات في كل سطر.

إنه بوصلة تقيد المحقق، وتصحّح جانبًا من عمله.

ومن الخطأ الذي يجمع فيه شيء من قراءة النصّ وضبطه، شيء من اللغة، ومن فهم النصّ، ومن الإخلال بعلم القافية ما ثبت في الوافي بالوفيات^(١٦) من شعر لشرف الدين بن جبار السخاوي، قال فيه (والضبط من المطبوع):

يَا قَلْبَ وَيْحَكَ خُنْثِي وَفَعْلَتْهَا
وَحَلَّتْ عَقْدَةَ تَوْبَتِي وَنَكْتَهَا
يَا عَيْنَ أَنْتِ بَلِيَّتِي، يَا خُبْثَهَا
لِمْ لَعْنَ الْوَجْهِ الْمَلِيجِ سَتَرْتَهَا

والمعنى ظاهر فقد خاطب قلبه في البيت الأول، واستنزله إلى الهوى ولم عيشه فهي مفتاح القلب، ثم التفت من العين إلى جزء من العين وهو الجفن الذي تقاعس فلم يغمض، ولم يمنع العين عن النظر إلى الوجه فيحجب عنها وعن القلب العودة إلى الحب الذي كان منسيًا.

قلت:

١- اختار رواية "يا خبثها" وعنه رواية "يا جفونها".

٢- العين مؤنثة فلما وصل بقراءته للنص إلى آخر البيت قال: "وَسَتَرْتَهَا" وهذا يخل بالمعنى والقافية.

٣- وجه قراءة البيت هو:

يَا عَيْنَ أَنْتِ بَلِيَّتِي، يَا جَفْنَهَا
لِمْ لَعْنَ الْوَجْهِ الْمَلِيجِ - سَتَرْتَهَا
والجفن مذكر. ولا يلائم البيت إلا قراءة الفتح (سَتَرْتَهَا).

٢) الشطر الثاني من البيت مضطرب الوزن. ويصح الوزن، والمعنى بالقراءة الصحيحة:

قَسْمًا بِاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ

وَإِيَّاهُ الْبَدْرُ إِذَا اتَّسَقَ

وفي البيت الثاني إشارة (واقتباس) إلى قول ابن الخيمي في القصيدة المذكورة:

بِاللَّهِ إِنْ جُزْتَ كَثِبَانًا بِذِي سَلَمِ

قَفْ بِي عَلَيْهَا، وَقُلْ لِي: هَذِهِ الْكُبْرَا

لِيَقْضِيَ الْخَدُّ مِنْ أَجْرَاعِهَا وَطَرَا

فِي تُرْبَهَا، وَيَؤْدِي بَعْضَ مَا يَجِبُ!

وَنَلَاحِظُ التَّوْرِيَةَ فِي قَطْعَةِ لِسَانِ الدِّينِ،
وَجَنَاسِ الْقَوْافِيِّ أَيْضًا.

- وقصيدة ابن الخيمي المخمسة شرقت وغربت،
وممّن عارضها ابن خاتمة الأنصاري^(٢٠)، واتّكأ
على بعض عبارات الشاعر فيها. وابن خاتمة
معاصر لسان الدين ومن أصدقائه.

ز- ومن أخطاء التّحو، ما ورد في وفيات
الأعيان^(٢١) في ذكر عمرو بن العاص رضي الله
عنه، قال: "ثم رفع يديه وقال: اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمْرَتَ
فَعَصَيْنَا، وَنَهَيْتَ فَارْتَكَبْنَا، فَلَا بُرْيَاءَ فَأَعْذُرْنَا، وَلَا
قوَىٰ فَانْتَصَرْنَا، وَلَكُنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ...".

- وظاهر أنَّ صواب العبارة فلا بُرْيَاءَ
فَأَعْذُرْنَا، وَلَا قَوَىٰ فَانْتَصَرْنَا... و(لا) هنا النافية،
أي: لا أنا بُرْيَاءُ... ولا أنا قَوَىٰ...

- وهو يتحدث عن نفسه، لكنَّ عبارة "لا
بُرْيَاءَ" على هذه الصُّورَة مختلفةٌ فـ"لا" هنا هي
النافية للجنس. وللكلام تفصيل في كتب النحو.

٣) قوله: "راجماً" في البيت الثاني يكسر الوزن. وصواب القراءة: "رجماً".

- و: رَجْمَه: رماه بالحجر. والإشارةُ في البيت من الاقتباس القرآني.

- في ديوان لسان الدين بن الخطيب ثناءُ
شعريٌ على قصيدة لصديقه الشريف
الغرناتي (صاحب شرح مقصورة حازم)
قال فيها:

زَرَتْ بَابَنِ الْحُسَيْنِ فَمَا

لَهُ فِي الْحُسْنِ مُنَتَّسِبٌ
وَنَادَتْ بِالرَّاضِيِّ: لَقَدْ
"حَكَيْتَ وَفَاتَكَ الشَّنَبُ"!

وظاهر أنه يشير إلى المتibi والشريف
الراضي، ويشير (ويقتبس) في البيت الثاني إلى
قصيدة لابن الخيمي، فيها قوله^(٢٨):

يَا بَارِقاً بِأَعْلَى الرَّقْمَتَيْنِ بَدَا
لَقَدْ حَكَيْتَ وَلَكُنْ فَاتَكَ الشَّنَبُ
وقد عاد لسان الدين إلى هذه القصيدة مرة
أخرى في ديوانه، وقال^(٢٩):

قلت: وَجْهُ الْكَلَامِ أَنَّ الْبَاءَ فِي "بَسُوسِي" فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ مِنَ الْقَطْعَةِ الْأُولَى هِيَ أَدَاءً (حِرْفٌ جَرٌ) وَ"سُوسٌ" مِدِينَةٌ فِي أَقْصَى بَلَادِ الْمَغْرِبِ يُصْنَعُ بِهَا مِنَ الْخَزْرِ الْعَتِيقِ (الْنَّفِيسِ) كُلُّ جَلِيلٍ، وَتُعْمَلُ بِالسُّوسِ مِنَ الْأَكْسِيَةِ الرَّقَاقِ، وَمِنَ الثَّيَابِ مَا لَا يَقْرُرُ أَحَدٌ عَلَى مُثْلِهِ...". وَالْبَاءُ فِي "سُوسِي" هِيَ يَاءُ النَّسْبَةِ^(٢٥).

- وَمِنَ السَّهُوِ عَنْ ذِكْرِ الْمَكَانِ أَوِ الْمَوْقِعِ الْجَغْرَافِيِّ، وَهُوَ مِنْ مَنْهَجِ الْمُحَقِّقِ مَا كَانَ فِي قَصِيدَةِ لِأَحْمَدِ شَوْقِيِّ، فِي رِثَاءِ صَدِيقٍ لَهُ، قَالَ فِيهَا^(٢٦):

سَلَامٌ عَلَيْكَ سَلَامُ الرَّبِّ

إِذَا نَفَحْتُ وَالْغَوَادِي الْهُنْتُ

سَلَامٌ عَلَى جِيرَةِ بِالْإِمَامِ

وَرَهْطُ بِصَرْحَائِهِ مُرْتَهَنُ

سَلَامٌ عَلَى حُفَرِ الْقَبَابِ

وَأُخْرَى كِمْنَدَرَسَاتِ الدَّمَنْ

وَلَمْ يَجُرِ الْمَعْتَنِي بِالْدِيَوَانِ دَاهِدَ الْحُوْفِي عَلَى مَا دَرَجَ عَلَيْهِ فِي إِخْرَاجِ الْدِيَوَانِ مِنَ التَّبَيِّهِ وَالتَّعْقِيبِ، وَأَغْفَلَ التَّعْرِيفَ، وَالْتَّعْلِيقَ عَلَى الْبَيْتِ الثَّانِي (فِي الْأَبْيَاتِ الْثَّلَاثَةِ الْمُخْتَارَةِ) "سَلَامٌ عَلَى جِيرَةِ بِالْإِمَامِ...".

وَالْمَرَادُ بِكَلْمَةِ (الْإِمَامِ) هُنَا مَدَافِنُ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٢٧). وَلِهَذَا أُدْرَجَ الشَّاعِرُ الْكَلْمَةُ مَعَ أَخْوَاتِهِ فِي الْأَبْيَاتِ التَّالِيَةِ.

وَالْمَكَانُ مَشْهُورٌ فِي مِصْرَ، مَعْرُوفٌ فِي الدُّنْيَا، وَقُبَّةُ ضَرِيْحِهِ مِنْ أَكْبَرِ الْقَبَابِ الْمُمَاثَلَةِ.

- وَقَدْ يَكُونُ السَّهُوُ (وَالْأَسْتَهْوَاءُ) مِنْ عَدْمِ

وَمِنْ أَخْطَاءِ الْلِّغَةِ مَا وَرَدَ فِي كِتَابِ لَطَائِفِ الْأَخْبَارِ^(٢٨): قَالَ: "دَخَلَتْ بَكَارَةُ الْهَلَالِيَّةُ عَلَى مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفِيَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَدْ اسْتَدَدَ ضَعْفُ بَصَرِهَا تَهَادِي بَيْنَ جَارِيَتَيْنِ فَرَدَ عَلَيْهَا السَّلَامُ...".

ضَبَطَ الْمُحَقِّقُ الْكَلْمَةُ هَذَا عَلَى وَزْنِ ثَنَادِيِّ، وَالصَّوَابُ تَهَادِيُّ عَلَى وَزْنِ نَسَامِيِّ. فِي تَاجِ الْعَرُوسِ (هَدِيٌّ): "تَهَادَتِ الْمَرْأَةُ تَمَالِكَ فِي مَشِيشَتِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَمَاشِيهَا أَحَدٌ، قَالَ الْأَعْشَى:

إِذَا مَا تَأَتَى تَرِيدُ الْقِيَامَ
تَهَادَى كَمَا قَدْ رَأَيْتَ الْبَصِيرَا

قَالَ: وَكُلُّ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ بِأَحَدٍ فَهُوَ يَهَادِيْهِ...
قَالَ: وَمِنْهُ: تَهَادَى بَيْنَ رِجْلَيْنِ إِذَا مَشَ بَيْنَهُمَا مَعْتَمِدًا عَلَيْهِمَا مِنْ ضَعْفٍ...".

جـ- وَمِنَ الْخَطَا فِي مَعْرِفَةِ الْبُلْدَانِ، وَالْجَغْرَافِيَّةِ عَامَّةً:

فِي طَبْعَةِ دَمْشِقٍ مِنَ "الْبَدِيعِ فِي وَصْفِ الرَّبِيعِ" قَطْعَةٌ فِيْهَا قَوْلُ الشَّاعِرِ:

وَرَدَ كَمَثْلُ دَمِ الْوَرِيدِ وَسَوْسَنٌ
غَضُّ بَسُوسِيِّ الْغَلَائِلِ مَكْتَسِيِّ
كَذَا فِيهِ^(٢٩)، وَقَالَ الْمُحَقِّقُ فِي الْحَاشِيَّةِ:
"بَسُوسِيِّ" مِنَ الْإِبْسَاسِ بِمَعْنَى الْأَنْسِيَابِ. اِنْتَهَى
مِنْهُ.

وَقَدْ وَرَدَتِ الْكَلْمَةُ مَرَّةً أُخْرَى فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ^(٣٠):

شَخْتُ الْمَازِرِ لَازِيُّ الظَّهَائِرِ قَدْ
أَتَاكَ يَرْفَلُ فِي شَوْبِ لَهِ سُوسِيِّ
- وَلَمْ يَشْرَحْ الْمُحَقِّقُ هَذَا، وَلَمْ يَعْلَقْ.

دِبَابُ الْبَغَا^(٣١) فَقَدْ أَوْرَدَ اسْمَ (ابن عساكر) فِي صفحاتِ الْكِتَابِ حِيثُ وَرَدَ فِي مَوْضِعِ صَاحِبِ الْاسْمِ الصَّحِيفَ - وَهُوَ (ابن عساكر) نَبَّهَ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ إِيَادَ طَبَاعَ فِي تَحْقِيقِهِ لِلْكِتَابِ الْمَذَكُورِ^(٣٢).

وَهُذَا غَرِيبٌ فَالْعَلَمَانُ مُتَبَاعِدُانِ فِي الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ، فَابْنُ عَسَاكِرَ هُوَ أَبُو الْقَاسِمِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الدَّمْشَقِيِّ، الْمُشْهُورُ صَاحِبُ تَارِيخِ دَمْشِقٍ وَغَيْرِهِ مِنَ الْمُؤْلِفَاتِ (٤٩٩-٥٧١هـ).

وَابْنُ عَسَاكِرَ هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ الْغَسَانِيِّ الْمُعْرُوفِ بِابْنِ عَسَاكِرَ، أَدِيبُ عَالَمِ الْتَّارِيخِ وَالْحَدِيثِ مِنْ أَهْلِ مَالَقَةِ بِالْأَنْدَلُسِ، تَوْفَى سَنَةَ ٦٣٦هـ.

- وَمِنَ الْغَرِيبِ فِي تَحْرِيفِ الْأَسْمَاءِ وَتَصْحِيفِهَا مَا وَرَدَ فِي كِتَابٍ "رَبِيعُ الْأَبْرَارِ" لِلزَّمْخَشِريِّ فِي طَبْعَةِ مَوْسِسَةِ الْأَعْظَمِيِّ، وَفِيهِ^(٣٣):

سَمَّتُ الْعَرَبَ سَنَةَ الْمِئَةِ مِنَ التَّارِيخِ سَنَةَ الْحَمَارِ، مِنْ حَدِيثِ حَمَارِ عَزِيزٍ.

- وَفِي الْحَاشِيَةِ:

- الْعَزِيزُ: مِنْ أَنْبِيَاءِ إِسْرَائِيلَ، قِيلَ إِنَّهُ كَانَ لَهُ حَمَارٌ فَمَاتَ، وَبَعْدَ مَرْوَرِ سَنَةٍ مِنْ مَوْتِهِ أُحْيَاهُ اللَّهُ مِنْ جَدِيدٍ.

- وَوَاضَحٌ أَنَّ الْمَرَادَ هُوَ الْعَلَمُ الَّذِي وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: عَزِيزٌ.

- وَمِنَ الْخَطَأِ فِي قِرَاءَةِ الْأَسْمَاءِ عَلَى وَجْهِهَا، الْمُؤَدِّي إِلَى الْاِخْتِلَافِ، وَالتَّدَافُعِ، مَا وَرَدَ فِي تَرْجِمَةِ الْحِرْمَازِيِّ (أَبِي عَلِيِّ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ) فِي الْوَافِيِّ بِالْوَفِيَاتِ^(٣٤)، قَالَ:

"قَالَ الْمَبَرَّدُ كَانَ الثَّوْرِيُّ وَالْحِرْمَازِيُّ وَالْجَرْمَيُّ يَأْخُذُونَ عَنْ أَبِي عَبِيدَةَ، وَأَبِي زَيْدٍ

إِنْتِبَاهُ الْمُحْقِقِ لِبَعْضِ الْقَضَايَا التَّارِيخِيَّةِ الَّتِي تَقْدِيدُ مَعْرِفَتِهَا فِي حُسْنِ قِرَاءَةِ النَّصِّ.

وَقَدْ سَهَا مَحْقِقُ دِيَوَانِ أَبِي تَمَامَ (طَبْعَةُ دَارِ الْمَعْرِفَ بِمِصْر) حِينَ قَرَأَ مِنْ قَصِيدَةٍ فِي مدحِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الْزَّيَّاتِ، وَكَانَ وزَيْرُ الدُّولَةِ الْأُولُّ، الْمُمْسِكُ بِزَمَامِ الْأُمُورِ (بَيْنَ يَدِيِّ الْخَلِيفَةِ) قَوْلُهُ:

وَزِيرٌ حَقٌّ وَوَالِيٌ شَرْطَةٌ وَرَحَا

دِيَوَانٌ مَلِكٌ، وَشَيْعَيٌّ، وَمُحْتَسِبٌ^(٣٥)
فَالشَّاعِرُ يُحَلِّيُّ ابْنَ الزَّيَّاتَ بِهَذِهِ الْأَوْصَافِ
الْوَزَارِيَّةِ وَالْإِدارِيَّةِ وَالْأَمْنِيَّةِ... الخ. وَصَوَابُ
قِرَاءَةِ الْبَيْتِ:

وَزِيرٌ حَقٌّ وَوَالِيٌ شَرْطَةٌ وَرَحَا

دِيَوَانٌ مَلِكٌ، وَسَيْفِيٌّ، وَمُحْتَسِبٌ
وَكَانَ أَبُو تَمَامَ قَدْ أَثْنَى عَلَى قَلْمَ الزَّيَّاتِ (أَيِّ
عَلَى كَتَابِتِهِ الْفَنِيَّةِ وَسَطْوَةِ قَلْمِهِ) فِي قَصِيدَةِ
أُخْرَى^(٣٦):

لَكَ الْقَلْمُ الْأَعْلَى الَّذِي بِشَبَابِتِهِ

تَصَابُّ مِنَ الْأَمْرِ الْكَلِيِّ وَالْمَفَاصِلِ^(٣٧)
وَأَرَادَ أَبُو تَمَامَ فِي الْبَيْتِ الْأُولِيِّ أَنْ يُضْمِنَ إِلَى
الْمَدْوِحِ السَّيْفَ إِلَى الْقَلْمِ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الدُّولَةِ الْعَبَاسِيَّةِ كَانَتْ قَبْلَ سَنَوَاتٍ
قَلِيلَةً مِنْ تَارِيخِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ (أَيِّ أَيَّامِ الْمَأْمُونِ)
قَدْ فَرَغَتْ مِنْ تُوكِيدِ عَبَاسِيَّةِ الدُّولَةِ، وَاسْتَقَرَّ الْأَمْرُ
عَلَى ذَلِكَ.

طَ وَمِنَ التَّصْحِيفَاتِ الْخَاصَّةِ بِالْأَعْلَامِ مَا وَرَدَ
فِي كِتَابٍ "مَفْحَمَاتُ الْأَقْرَانِ فِي مَبْهَمَاتِ الْقُرْآنِ"
لِلْسَّيُوطِيِّ فِي النَّشْرَةِ الَّتِي أَخْرَجَهَا دَ. مَصْطَفَى

ومن الخطأ العروضي الناشئ عن خطأ القراءة ما ورد في ديوان حافظ إبراهيم؛ في مطلع قصيدة له، وهو^(٣٦):

ما لي أرى الأكمام لا تُفتح
والرَّوض لا يَزْهُو ولا يُنْفَحُ
وبهذه القراءة يكون الشعر من بحر الرجز،
ولكن الأبيات الآتية في هذا الشعر تجيء على
وزن آخر، وفيها:

والطَّيرُ لا تَلْهُو بِتَدوِيمِهَا
في ملكها الواسع أو تَضَدُّح!
وهذا من بحر السريع. ولكي ينتمي البيت
الأول مع سائر النص ينبغي قراءته على هذا
الوجه^(٣٧).

ما لي أرى الأكمام لا تُفتح
والرَّوض لا يَزْهُو ولا يُنْفَحُ
ويعود إلى بحر السريع.

- ومن الطريف ما ورد في حاشية الصفحة عند كلمة (ينفح) كما قرأتها لجنة ديوان حافظ^(٣٨): "... ينفح: يفوح عليه. ويلاحظ أننا لم نجد في كتب اللغة: "نفح" بتشديد الفاء؛ فلعل حافظاً رأى هذه الصيغة في كلام بعض المولدين".

وظاهر بعد ما أسلفت من صواب القراءة أن حافظاً قال (ينفح) على الصواب.

- ويظهر من متابعة تسمية بحور الشعر في الكتب المحققة أن أكثر ما يقع الخطأ في التسمية في البحور القصار (يتألف كل شطر من تفعيلتين)، وفي البحور المجزوءة.

ويزيد ذلك الخطأ، وقد يكون سهواً حين يقع

الأنصاري، والأصمعي، وكان هؤلاء الثلاثة أكبر أصحابهم...".

وقد رُسم الاسم على هذه الصورة "الثوريّ"، ولو كان هو لكان: سفيان بن سعيد الثوري (٩٧ - ١٦١هـ). والصواب أن المقصود هو التوزي: أبو محمد عبد الله بن محمد بن هارون المتوفى سنة ٥٣٨هـ.

ثم قلت: ولمثل هذه الهفوات - ولو صدرت عن أحد العلماء - وضعـت كتب المتشابه، والمؤلف والمختلف، والتصحيف والتحريف... الخ.

ومن السهو، أو الخطأ في ضبط أسماء الأعلام ما صنعه كارل بروكلمان في ترجمة شمس الدين، أبي علي محمد بن علي الكناني الدمشقي المشهور بابن عراق.

وكان بروكلمان قد ضبطه بفتح العين وتشديد الراء المفتوحة (ابن عراق). وتتابعه على ذلك أحد العلماء الأجلاء: عبد الفتاح أبو غدة مؤلف كتاب "تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنية الموضوعة". وقد اطرب هذا الضبط في كتب هذا العالم القدير.

وكان الزركلي قد ضبطه على وجهه: ابن عراق (بكسر العين وفتح الراء المخففة) على صيغة اسم القطر المعروف.

وقد تتبع الأستاذ المحقق إياد الطباع هذه المسألة وانتهى إلى الأخذ بما قاله الزركلي مدققاً في ضبط الاسم، ومخططاً كارل بروكلمان في قراءته وضبطه^(٣٩).

ي- هناك علاقة متبادلة بين صحة قراءة النص، وصحة إيراد الشعر على وزنه الصحيح.

أَبِيتُ تَحْتَ سَمَاءِ الْهَوَى مُعْنِتًا
شَمْسَ الظَّهِيرَةِ فِي ثَوْبٍ مِنَ الْغَسَقِ
بِيَضَاءِ يَحْمِرُ خَدَاهَا إِذَا خَجَلَ

كَمَا جَرَى ذَهَبٌ فِي صَفْحَتِي وَرَقٍ
كَذَا فِيهِ وَالصَّوَابُ: فِي صَفْحَتِي وَرَقٍ..
وَالْوَرَقُ الْفَضْلَةُ، وَهِيَ الْمَرَادَةُ فِي الشِّعْرِ.

- ومن السَّهُوِ الْغَفَلَةُ عَنْ حُرُوفِ الْقَافِيَةِ
وَحْرَكَاتِهَا، وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ فِي نَصٍّ فِي كِتَابِ
الْمَجْتَنِي لِابْنِ دَرِيدِ^(٤٢) وَفِيهِ:

دَخَلَ عُمَرُ بْنُ الْعَاصِ مَعَ الْمَاعُوْيَةِ، وَقَدْ وَرَدَ
كِتَابٌ مِنْ بَعْضِهِ لِأَنَّهُ فِيهِ نَعِيَ رَجُلٍ مِنَ السَّلْفِ،
فَاسْتَرْجَعَ مَعَاوِيَةَ قَالَ عُمَرُ:

يَمُوتُ الصَّالِحُونَ وَأَنْتَ حَيٌّ
تَخْطَّاكَ الْمَنَاهِيَا لَا تَمُوتُ

فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ:

أَتَرْجُو أَنْ أَمُوتَ وَأَنْتَ حَيٌّ
وَلَسْتُ بِمَيِّتٍ حَتَّى تُمُوتَ
كَذَا ضَبَطَ الْمَحْقُقُ الْبَيْتَيْنِ. وَهُمَا يَدْخَلُانِ فِي
الْمَنَاقِضَةِ (رَدَ شَاعِرٌ عَلَى شَاعِرٍ). وَهَذَا الضَّبْطُ
يَغْيِرُ مَا يُعْرَفُ بِالْمَجْرِيِّ فِي عِلْمِ الْقَافِيَةِ وَهُوَ
حَرْكَةُ حَرْفِ الرُّوْيِّ (وَهُوَ هَذَا النَّاءُ).

وَالشِّعْرُ مِنْ بَحْرِ الْوَافِرِ. وَالْقَافِيَةُ مَقِيدَةُ (لِيَتَمَّ
أُسْلُوبُ الْمَنَاقِضَةِ). وَقَدْ أَثْبَتَ الشِّيْخُ الْحَنْفِيُّ^(٤٣)
لِبَحْرِ الْوَافِرِ ضَرِبًا ثَانِيًّا: لِلْوَافِرِ التَّامُ، وَهُوَ
(فَوْلُ)، وَضَبْطُ الشِّعْرِ إِذْنُ مَعِ إِضَافَةِ الضَّبْطِ
وَعَلَامَاتِ التَّرْقِيمِ:

مِنْ مَحْقُوقٍ مَمْكُنٍ؛ بِسَبَبِ الْعَسْفِ فِي عِلْمِ
الْعِروْضِ وَالْقَافِيَةِ، وَقَلَّةِ التَّمَرِّسِ بِقِرَاءَةِ الشِّعْرِ،
وَقَلَّةِ الْمَحْفُوظِ مِنْهُ، وَالْإِسْرَاعِ إِلَى أَوَّلِ خَاطِرٍ
يَخْطُرُ فِي تَسْمِيَةِ الْبَحْرِ.

وَتَتَّبَّهُ كَتَبُ الْعِروْضِ - عَادَةً - عَلَى تَقْارِبِ وَزْنِ
مَعِ وَزْنِ آخَرَ، مَعِ اخْتِلَافِ الْبَحْرَيْنِ كَتَبِيهِمْ
عَلَى تَقْارِبِ بَحْرِ الْهَزْجِ مَعِ مَجْزُوءِ الْبَحْرِ
الْوَافِرِ، وَالْرَّجْزِ وَالْكَامِلِ.

- وَمِنْ الْخَطَأِ فِي تَسْمِيَةِ الْبَحْرِ مَا وَرَدَ فِي
تَحْقِيقِ الْجَزْءِ التَّاسِعِ عَشَرَ مِنْ الْوَافِيِّ بِالْوَفِيَاتِ،
فَقَدْ عَدَ الْمَحْقُوقَ قَطْعَةً لِلْجَلِيَانِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ مِنْ بَحْرِ
الْمَنَسِرِ وَالصَّوَابِ أَنَّهَا مِنْ مَخْلُعِ الْبَسِطِ،
وَأَوْلَاهَا^(٤٩):

بِذَلِّتْ وَقَتَّالَ لَطَبَّ كَيْ لَا
الْأَقْى بْنِي الْمُلْكِ بِالسُّؤَالِ
فَكَانَ وَجْهُ الصَّوَابِ فِي أَنْ
أَصْوَنَ نَفْسِي بِلَا ابْتِدَالِ!
كَ وَمِنْ أَخْطَاءِ الضَّبْطِ: ضَبْطُ كَلْمَةِ "ذَكَاءٍ"
بِالْفَتْحِ فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ:

قَدْ تَحَلَّى بِزَهْرِهِ وَتَبَدَّى
مَائِلًا فِي غَلَالَةِ خَضْرَاءِ
فَأَرَتْنَا الرَّبَاضَ مِنْهَا نَجُومًا
وَأَرَانَا سَنَا الْعُقَارَ ذَكَاءَ
كَذَا فِي كِتَابِ التَّشْبِيهَاتِ^(٤٠)، وَالصَّوَابُ ذُكَاءُ
بِضْمِ الدَّالِّ. وَهِيَ اسْمُ عَلَمٍ عَلَى الشَّمْسِ. وَهِيَ
الْمَقْصُودَةُ فِي الْبَيْتِ.

- وَمِنْ ضَبْطِ كَلْمَةِ "وَرَقٍ" بِفَتْحِ الرَّاءِ بِمَعْنَى
وَرَقِ الْكَتَابَةِ فِي قَوْلِ ابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ^(٤١):

١- يموت الصالحون وأنت حيٌّ

تَخْطُلَكَ الْمَنَى يَا لَا تَمُوتُ؟!

أتَرْجُوا أَنْ أَمُوتَ وَأَنْتَ حَيٌّ؟

وَلَسْتُ بِمَيِّتٍ حَتَّى تَمُوتُ!

- وفي ديوان حازم القرطاجي قصيدة
أولها^(٤٤):

مُنِيَ النَّفْسُ تُدْنِي مِنْكُمْ وَالنُّوَى تُقصِّي

فَكُمْ ذَا يُطِيعُ الدَّهْرَ فِيكُمْ وَلَا يَعْصِي

وَقَيلَ فِيهِ إِنَّهُ مِنْ بَحْرِ الْبَسِطِ، وَالصَّوَابُ أَنَّهُ
مِنَ الطَّوِيلِ.

لـ- ومن الخطأ سكوت المحقق عن كلمات
تمرّ به، أو عبارات لم يُحسِن قراءتها، أو لم يفهم
معناها وإرسال النص إرسالاً من دون تحقيقٍ أو
تعليق: وفي ديوان محمد البزم^(٤٥) قصيدة نظمها
في صديقه الشاعر حليم دموس^(٤٦)، فيها قوله:
(والضبط من عمل صانعي الديوان: عدنان مردم
وسليم الزركلي):

زَجَّ الْمَثَانِي وَأَحْكَمَ مِنْ مَثَلِهَا

ما سَوْفَ يَبْقَى لِبَاقِي الشِّعْرِ نَامُوسًا

قلت:

١) صواب قراءة الشطر الأول:

زَجَّ الْمَثَانِي وَأَحْكَمَ مِنْ مَثَلِهَا...

وفي الشعر إشارة من الشاعر محمد البزم إلى
كتابٍ لحليم دموس اسمه: "المثالث والمثاني"
فصواب قراءة الكلمة: مثاليتها. ولا معنى لـ:
"مِثَالَتِهَا".

٢) وصواب قراءة الشطر الثاني:

ما سَوْفَ يَبْقَى لِبَاقِي الشِّعْرِ نَامُوسًا.

أَيْ يَبْقَى لِمَنْ يَطْلُبُ الشِّعْرَ، وَيَمْارِسُ نُظْمَهُ.

وكتاب (المثالث والمثاني) كتاب أورد فيه
حليم دموس قطعة كبيرةً من شعره (وهذا الكتاب
غيرُ ديوانه)، وسجّل فيه رسائل طلبها، ووصلت
إليه من مجموعة كبيرة من رجال عصره: من
شعرٍ ونثرٍ، مع صورٍ توثيقية.

- ومن الأخطاء الناتجة على عدم الانتباه
للقافية، وعدم متابعة سائر أبيات القطعة أو
القصيدة ما ورد في ديوان ابن خفاجة^(٤٧). في
قطعة أولها (والضبط من الديوان المحقق):

يَا شَفَقًا سَاطِعًا عَلَى فَلَقٍ

يَا ذَهَبًا سَائِلًا عَلَى وَرِقٍ

وقد كتب المحقق عند الأبيات (بسط مجزوء)
وتقطيعه على هذا:

يَا شَفَقًا / سَاطِعًا / عَلَى فَلَقٍ /

يَا ذَهَبًا / سَائِلًا / عَلَى وَرِقًا /

مُسْتَعْنٌ / فَاعْلَنٌ / مُتَفَعْنٌ

مُسْتَعْنٌ / فَاعْلَنٌ / مُتَفَعْنٌ

وتسليم القراءة، ويصح البحر لو كانت أبيات
القصيدة التالية تؤيد ذلك، فقد قال الشاعر بعده:

مَا الْحُسْنُ إِلَّا مُعَصْفَرٌ شَرِقٌ

فاضَ عَلَى جَسْمِ أَبِيضٍ يَقْنُ

وتقطيعه على هذه القراءة يجعل القافية مقيدة
(ساكنة حرف الروي، وهو القاف):

مَا الْحُسْنُ إِلَّا مُعَصْفَرٌ رُّ شَرِقٌ /

فاضَ عَلَى / جَسْمِ أَبِيضٍ ضِيقٌ /

مستعلن / مفعولات / مستعلن

مستعلن / مفعولات / مستعلن

وليس في تفعيلات البسيط: مفعولات أو مفعولات، فهذه من تفعيلات المنسرح والمقتضب. وليس في أعاريض مجزوء البسيط وأضربه وزن "فاعلن" وما يتراء عنده.

ويسلم النص من الخطأ بقراءة الفافية مطلقة (بكسر حرف القاف) ويكون التقطيع:

يا شفقاً / ساطعاً عـ / لـ فـلقـ /

يا ذهـباً / سـائـلاً عـ / لـ وـرقـ /

مستعلن / مفعولات / مستعلن

مستعلن / مفعولات / مستعلن

وتكون القطعة من بحر المنسرح!

- والخطأ في ضبط الفافية قد يؤدي إلى خطأ في الوزن الشعري، ومنه خبر نقله الثعالبي عن الجاحظ للرؤاشي^(٤٨) في ذكر معلم [من السريع]:

مختلفُ الْخَبْرِ خَفِيفُ الرَّغِيفِ

مُنْتَشِرُ الْزَادِ لَئِيمُ الْوَصِيفِ

كذا فيه. وصورة البيت هذه ليست من بحر السريع وتقطيعه (على هذه الحال).

مُخْلِفُ الـ خـبـرـ خـفـيفـ فـ الرـغـيفـ /

مستعلن مستعلن فاعلاتن

وكذا قوله في ضرب البيت (م الوصيف) فاعلاتن. وليس في أعاريض السريع وأضربه "فاعلاتن".

- وصواب القراءة البيت، وحركة حرف الروي: "ف الرغيف" و"م الوصيف" على

وزن "فاعلن".

- فقافية البيت مقيدة (ساكنة) والضرب مطويٌّ موقف. والبيت من العروض الأولى والضرب الأول من أعاريض "السريع" ولكن طابت العروض الضرب لأن البيت مصّرّع.

- في شعر شوفي بيتان في الحكمة^(٤٩) وهما قوله:

إـنـ كـنـتـ ذـاـ فـضـلـ فـكـنـ
لـهـ عـلـىـ ذـكـيـ أـوـ كـرـيـمـ
فـالـفـضـلـ يـنـسـاهـ الـغـبـيـ
وـلـيـسـ يـحـفـظـهـ الـلـائـيمـ

- الضبط والتقطيع (بين الشطرين) من عمل صانع الديوان.

- قلت: أولاً: الشعر من مجزوء الكامل. وضبط المحقق (صانع الديوان) يجعله من مجزوء الكامل المزفل؛ وضربه (متقاعلاتن). ولكنه على هذه القراءة مضطرب السياق النحوي: فقد عطف مرفوعاً على مجرور (على ذكي أو كريم) وهذا خطأ ظاهر.

ثانياً: البيت الثاني مدور، وضبط رسمه هكذا:

فـالـفـضـلـ يـنـسـاهـ الـغـبـيـ
لـيـسـ يـحـفـظـهـ الـلـائـيمـ

فاللياء المشددة من "الغبي" مشتركة بين الشطرين.

ثالثاً: صواب القراءة، وصواب الضبط العروضي، وضبط الفافية:

إـنـ كـنـتـ ذـاـ فـضـلـ فـكـنـ
لـهـ عـلـىـ ذـكـيـ أـوـ كـرـيـمـ

ديوانه^(٥٠) من أولها على التسلسل الوارد فيها،
و على الهيئة رسماً و ضيطاً قال:

مضي الدهرُ بابن إمام اليمَنْ

وأَوْدِي بِزَيْن شَبَابُ الزَّمَنْ

قلت: إذا تركنا المطلع، فالأبيات الخمسة مضطربة القسمة، مضطربة الوزن. وحقُّ كلمات "السيوف" و"الحجاز" و"الخيام" و"للعزاء" و"الإله" أن تكون جميعاً دون قسمة ثابتة حروفها في الشطر الأول.

و القصيدة من بحر المتقارب، و تقطيعه:

وبات / بصنعاء تبكي السُّيوفُ

فَعُولُن / فَعُولَن / فَعُولَن

عَدْنَ / قَنَا فِي / الْبَرِّ وَتِبْكَى عَلَيْهِ

فعول / **فعولن** / **فعول** / **فعول** = فعل

وإذا قرأ الشطر الثاني عليه (ي)
التفعيلة: فعون. وكلاهما صحيح.

- وشيء آخر: فصحة رسم البيت الثالث...
"فعزى الحسن" فهي من العزاء، وليس من العز.

- ويكثر التدوير في بعض البحور كالخفيق،
والمتقارب، ومحزوع الكامل

- ولكن الأبيات المذكورة لا يصح فيها التدوير ، وهو هنا خطأ ظاهر

ن- ومن غرائب التصحيف والتحريف، وسرد أسماء الأعلام، والإرباك الذي نتج عن ذلك ما ورد في كتاب "منهج البلاغاء وسراج الأدباء" لحازم الفرزطاجني^(١) من ذكر اسم: "شعبة بن برسام". وقد وردت العبارة في "المنهج"

القافية مقيدة (ساكنة) والوزن: مجزوء الكامل
المُرَفِّل (متفاعلن) ويلحق به البيت الثاني بقافية
مقيدة كما هو معلوم.

- وقد بنى شوقي القطعة على القافية المُقيّدة حتى لا يقع في الإلقاء، وهو اختلاف حركة الروي بين بيتين (أو أكثر) في القصيدة الواحدة.

م - ضبط البيت المدّور ورسمه:

البيت المدور في مصطلح العروض، هو الذي يتصل فيه الشطر الأول بالشطر الثاني بكلمة تقسم قسمين ضمائناً لضبط الوزن، وكانوا قدّيماً يضعون حرف (م) هكذا بين قوسين بين حروف الكلمة التي يشتراك في حروفها الشطرين، هكذا مثلاً، في قصيدة المتتبلي الشهيرة:

صَحِّبَ النَّاسَ قَبْلَنَا ذَا الزَّمَانَةِ
وَعَنَاهُمْ مِنْ أَمْرِهِ مَا عَنَانَا
وَتَوَلَّوْا بِغَصَّةٍ كُلُّهُمْ مِنْ (م)

هُوَ إِنْ سَرَّ بعْضَهُمْ أَحِيَا نَاهِيَةً

ثُمَّ دَرَجَ الْمُحَقِّقُونَ عَلَى قَسْمَةِ الْكَلْمَةِ عَلَى وَفَقِ الْوَزْنِ؛ وَوَضَعَ خَطًّا مَدْدُودًا أَوْ خَطًّا مَنْقُطًا يَنْقُطُ عَلَى قَلْبِ لِلْأَيْمَانِ عَنْدَ مَنْتَصِفِ الْبَيْتِ كَقُولِ الْمَعْرِيِّ.

وَشِبِيهُ صَوْتُ النَّعِيِّ إِذَا قِيْدَ
سَبْصَوْتِ الْبَشِيرِ فِي كُلِّ نَادِ
وَلَكَنْ كَثِيرًا مِنَ الْكُتُبِ الْمُحَقَّقَةِ تُغْفَلُ هَذَا،
وَتَضُطَّرُبُ الْكِتَابَةُ، وَلَا يُقْسِمُ الْبَيْتَ قَسْمَيْنِ كَمَا
يَقْضِي الْوَزْنُ.

وأشدُّ من هذا أن يقسم المحقق البيت في غير
موضع قسمته، فيضطرّب الوزن.

وأضرب مثلاً من قصيدة لأحمد شوقي في

قال أ. العلمي بعد هذا موضحاً: "وفي اللسان: البرسام: الموم الجدريُّ الكثير المترافق. وقال الليث: قيل الموم أشدَّ الجدري... والموم بالفارسية: الجُدْرِي الذي يكون كله فُرْحَةً واحدة وقيل هو بالعربية". وقال: فكان حازماً، وهو يجعل طباع العرب أفضل من أن يكون هذا الوزن من نتاجها؛ لأنَّه أسفُفَ وزنٌ سمع: يجعل علَّةَ الجدري تصيبُ فكرَ مَنْ وضعه، وتكون نتيجةً ذلك هذا الوزن السخيف عنده. أما إذا كان شعبة بن برسام حياً رُزِقَ في ما غيره، فإن الاهتداء إلى شخصه وأخباره سيلغى هذا التأويل مني إلى غير رجعة...". انتهى^(٥٣).

قلت: أطال الأستاذ العلمي الكلام، لتوكييد شكه في قراءة محقق "منهاج البلاغة" للعبارة المتعلقة ببحر المضارع.

والذي تتبه إليه أ. العلمي من الخطأ المحتمل في العبارة دقيق. واقتراحه الذي قدّمه يحل إشكال المعنى والموضوع، ولكنَّه لا يطابق النص المخطوط، ويخرج عن أصله الذي كتبه حازم.

وأصل القضية جميعاً تصحيفُ وقع فيه المحقق الفاضل فقرأ: "شعبة بن برسام" وحوَّل نظر القارئ إلى أن العبارة اسمُ لرجل معين. وسكت المحقق عنه، ولم يبحث فيه. وبحث أ. العلمي عنه فلم يصل إلى نتيجة.

وصواب قراءة العبارة: "... وما أراه أنتَجَه إلا شُعبَةً من بِرْسَامٍ خَطَرَتْ على فُكْرِ مَنْ وضعه قياساً، فيا ليته لم يَضْعِفْ!...".

- والشُّعبَةُ في اللغة الفِرقَةُ من الشَّيءِ. والجمع: شُعبٌ و: شَعَابٌ.

على الصفحة: ٢٤٣، في دَرْجِ كلام على بَحْر المضارع من بُحور الشعر العربي، وفيه:

"فَلَمَّا الْوَزْنُ الَّذِي سَمَّوهِ الْمُضَارِعُ، فَمَا أَرَى أَنَّ شَيْئاً مِنَ الْاخْتِلَاقِ عَلَى الْعَرَبِ أَحَقُّ بِالْتَّكْذِيبِ وَالرَّدِّ مِنْهُ؛ لَأَنَّ طَبَاعَ الْعَرَبِ كَانَتْ أَفْضَلُ مِنْ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْوَزْنُ مِنْ نَتَاجِهِ، وَمَا أَرَاهُ أَنْتَجَهُ إِلَّا شَعْبَةُ بْنُ بِرْسَامٍ خَطَرَتْ عَلَى فَكِيرِ مَنْ وَضَعَهُ قِيَاسًا. فِيَا لِيَتَهُ لَمْ يَضْعِفْهُ، وَلَمْ يُدَنِّسْ أَوْزَانَ الْعَرَبِ بِذَكْرِهِ مَعْهَا، فَإِنَّهُ أَسْفَفُ وَزَنٌ سُمْعٌ، فَلَا سَبِيلٌ إِلَى قَبْولِهِ، وَلَا الْعَمَلُ عَلَيْهِ أَصْلًا".

وعَلَقَ مَحْقُوقٌ مِنْهَاجَ الْبَلَاغَةِ عَنْدَ (خَطَرَتْ) فِي الْحَاشِيَةِ بِقَوْلِهِ: "كَذَا بِالْأَصْلِ، وَالتَّقْدِيرُ: صُورَتِهِ أَيْ صُورَةُ الْوَزْنِ" يَعْنِي: "خَطَرَتْ صُورَتِهِ".

- واحتجاج أ. محمد العلمي في كتابه "العروض والقافية"^(٥٤) إلى كلام حازم في موضوع بحر المضارع، في فقرة: الأوزان الثابتة والمشكوك فيها، والموضوعة. فأوردَ ما كتبه "حازم"، وما عَلَقَ به المحقق عند عبارة: "خَطَرَتْ"، وقال:

"ولم أُسْتَسِنْ هَذَا التَّأْوِيلَ لِسَبَبِيْنِ: أَوْلَاهُما: أَنَّتِي لَمْ أَهْتَ إِلَى مَعْرِفَةِ (شَعْبَةُ بْنُ بِرْسَامٍ) الَّذِي وَرَدَ فِي مَا سَبَقَ أَنَّهُ وَاضْعُفَ "الْمُضَارِعَ" كَمَا لَمْ يَنْصُ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ عَنْهُ مُحْقَقٌ كِتَابُ "حازم"، وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلَيْهِ. وَثَانِيهِما: أَنَّهُ لَمْ يَرُدْ قَبْلَ حازم أَدْنَى إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ وَضَعَهُ شَخْصٌ مَا. فَكُلُّ مَا وَرَدَ: أَنَّ الْخَلِيلَ وَاضْعَفَهُ، كَمَا سَبَقَ".

وأضاف أ. محمد العلمي بعد هذا:

"وَعُنْدِي أَنَّ فِي كِلَامِ حازمِ السَّابِقِ تَصْحِيفًا، لَعَلَّ صَوَابَهُ أَنْ يَكُونَ هَكَذَا: "وَمَا أَرَاهُ أَنْتَجَهُ إِلَّا عَلَّةَ بِرْسَامٍ خَطَرَتْ عَلَى فَكِيرِ مَنْ وَضَعَهُ قِيَاسًا".

قلت: في النص وشرحه أكثر من خطأ وسوء سبق وهم.

- وقد وصف الشاعر في القطة الدواة وصفاً ظاهرياً، ووصفًا معنويًا على نهج أبي تمام في وصفه القلم.

- قوله الشاعر في وصف الدواة (وهي من مادة سوداء أو مسودة مطعمة بالفضة) إنها زنجية أو هم المحقق (أو ناسخ المخطوطة أو أو همهمما معًا) فقرأ آخر كلمة في السطر الأول من البيت الأول: "الحبش" وهم جنس من الناس، وهذا خطأ ظاهر.

وصواب القراءة:

مطربة في الخطوب كالحنث

كائِنَّا أَطْرَقْتُ عَلَى نَهَشِ

- والحنث حية عظيمة سوداء، و"نهش" من: نهشت الحياة أحدهم أي لسعته.

ولاحظ المحقق عدم استواء المعنى على قراءة "كالحبش" وحاول معالجة ذلك، فلم يأت بطائل.

- وفي البيت الثاني وهو آخر آدى إلى خطأ في القراءة، فقوله: "فمتى تُحْطِ أسير الردى به يعيش" خطأ ظاهر، وفيه تناقض، فإصابة أحدهم بسم الدواة (بما تكتبه في حقه) لا يمكن أن يعيش. والمراد خلاف ذلك. ووجه القراءة^(٥٦):

تمزج أريًا بسمتها فمتى
تُحْطِ أسير الردى به يعيش!
و"تُحْطِ" أصلها: تُخطئ. إذن: إن أخطأ سُمُّ
الدواة ذلك الأسير، ولم يكتب مدادها بقتله يعيش.

- والبرسام استعملت لمعنى الهذيان. وللكلام تفصيل في تكملة المعاجم العربية لدوزي^(٥٤) وفيه: لما كان هذا المرض يصحبه الهذيان عادة فقد أطلقت كلمة "برسام" على الهذيان. وفي عبارة للمقربي: وقف من الكتاب المنسوب لصاحبنا أبي زكريا البرغواطي على برسام محموم، واحتلاط مذموم، وانتساب زَلْجِ في روم...".

وكان "حازم" قد عاد إلى بحر المضارع (في سياق كلام على بعض خصائص البحور، وقال - وهو يوضح المراد من عبارته السابقة - :

"... فَلَمَّا الْمُضَارِعُ فِيهِ كُلُّ قَبِيحةٍ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَدُّ مِنْ أَوْزَانِ الْعَرَبِ، وَإِنَّمَا وُضِعَ قِيَاسًا، وَهُوَ قِيَاسٌ فَاسِدٌ؛ لَأَنَّهُ مِنَ الْوَاطِعِ الْمُتَنَافِي عَلَى مَا تَقَدَّمَ" ^(٥٥).

س- ومن الخطأ في قراءة النص المضاف إليه سبق الوهم والاستسلام له ما ورد في قطعة لابن بطال الأندلسي في وصف الدواة: دواة الحبر:

مطربة في الخطوب كالحبش
كائِنَّا أَطْرَقْتُ عَلَى نَهَشِ

تمزج أريًا بسمتها فمتى
تُحْطِ أسير الردى به يعيش
ترضع أبناءها مجاجتها
في زيهلا لا تدر في العطش
مكرمة لم تهن على أحد
تنزل عند الملوك في الفُرشِ
زنجية فضضت كواكبها
 فهي تباري كواكب الغبش!

لِلَّهِ أَيَّامُ السُّرُورِ
 رِبِّها وَمَنْظُرُها العَجِيبُ
 قلت: ظاهِرٌ تصحِيفُ الكلمة، وصوابُها:
 "يُنسِى":
أَمَادْمَشْقُ فَجَنَّةُ
 يَنْسِى بِهَا الْوَطْنَ الْغَرِيبُ
 أي يُنسِى وطنه لجمالها وكثرة محاسنها،
 ومحاسن أهلها.
 - ومن التحريف المُخلل بالوزن الشعري ما
 في بيت لأحمد شوقي^(٦٠) من قصيدة رثى فيها
 صديقاً اسمه حسن بك أنور، قال:
وَلَا يَذْكُرُ الْمَعْهُدُ الشَّرْقِيُّ
لَنْوَرَ إِلَّا جَلِيلُ الْمِنَنْ!^(٦١)
 وكان حسن أنور أحد مؤسسي نادي الموسيقي
 الشرقي. فحرّف صانع ديوان شوقي والمعتنى
 به د. أحمد الحوفي، وبَدَّل (المَشْرِقِي) في البيت
 إلى: (الشَّرْقِي).
 والشعر من بحر المتقارب، وينكسر الوزن
 بكلمة (الشَّرْقِي) وهو يخالف أصل القصيدة.
 ومن التحريف ما ورد في ديوان شوقي (د.
 الحوفي)^(٦٢):
الْمُلْكُ أَنْ تَعْمَلُوا مَا اسْتَطَعْتُمْ عَمَلاً
وَأَنْ يَبْيَّنَ عَلَى الْأَعْمَالِ إِتقَانٌ
 والبيت من قصيدة من بحر البسيط،
 و"استطعتم" تقصد الوزن، وصواب القراءة: "ما
 اسْطَعْتُمْ" وزنها مستعلن.
 ومنه في ديوان شوقي من عمل الدكتور

وبهاتين القراءتين يسلّم النص، وتتضح
 مقاصد الشاعر فيه.
 - وقد قال أبو تمام في وصف القلم، وهو
 المثال الذي ترسّمه الشاعر هنا:
لَعَابُ الْأَفَاعِيِّ الْقَاتِلَاتُ لَعَابُهُ
وَأَرَيُ الْجَنَّى اشْتَارَتَهُ أَيْدِي عَوَاسِلُ
 - والأري: العسل.
 ومن خطأ القراءة الذي جرّه سبق الوهم، أو
 التصحيف في الأصل المخطوط ما ورد في شعر
 حازم القرطاجني^(٥٧):
يَا مَوْقَدُ النَّارِ بِالْهَنْدِيِّ وَالْقَارِ
كَمْ أَوْقَدْتُ فِي الْحَشَآنَ كَرَاكَ مِنْ نَارِ!
 كذا فيه. والهندي هو نوع من الشجر يقال له:
الْأَنْجُوجُ، وَالْقَارُ هُوَ الزَّفْتُ.
 وصواب قراءة البيت:
يَا مَوْقَدُ النَّارِ بِالْهَنْدِيِّ وَالْغَارِ....
 والغار (بالغين المعجمة) شجر ينبت برياً في
 سواحل الشام، والعور، والجبال الساحلية: دائم
 الخضرة، يصلح للتزيين، وهو الرَّنْد...
 - وفي شعر عديّ بن زيد^(٥٨):
رَبَّ نَارٍ بِتُّ أُوقَدْهَا
تَقْضِيمُ الْهَنْدِيِّ وَالْغَارَا
 والبيت من شواهد العروض، مشهور.
 وفي قطعة لابن سعيد في كتابه الغصون
 البِيَانُ^(٥٩) مدح بها مدينة دمشق وأثنى عليها:
أَمَادْمَشْقُ فَجَنَّةُ
يَنْبِي بِهَا الْوَطْنَ الْغَرِيبُ

الشام. والعبارة الرابعة مؤلفة من فعل وشى (من الوشایة) ومَهْ اسم فعل أمر معناه: أَكْفُ.

- من الشعر الدائر على الألسنة وفي الاختيارات قصيدة للمنتبى لامية في مدح سيف الدولة، يكثر الاستشهاد بها، وبأبيات منها.

وفي ترجمة ابن عبدون الأندلسي أبي صلاح الدين الصفدي إعجابه ببعض شعره، وقال: "وَدَدْتُ أَنَّ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ لَمْ تَفْرُغْ (لِمْ تَنْتَهِ) فَإِنَّهَا أَطْرَبَتْ سَمْعِي، وَأَذْهَلَتْ عَقْلِي، هَكُذا هَكُذا وَإِلَّا فَلَا ...".

قلت: وأخر عبارة في النَّقْل السَّابِق هي عَجْزُ بَيْتٍ لأبي الطيب من القصيدة المشار إليها من المطلع^(٦٥):

ذِي الْمُعَالِي فَلْيَعْلُوْنَ مَنْ تَعْلَى
هَكُذا هَكُذا وَإِلَّا فَلَا لا!

- وهذه القصيدة ذاتعة.

- وكتب المؤمن بن هود إلى المعتمد بن عَبَاد يَرْغُبُ إِلَيْهِ فِي إِرْسَالِ أَهْلِ ابْنِ عَمَّارٍ^(٦٦)، وهم عنده بإشبيلية، ليلحقوا بابن عَمَّار، فَفَعَلَ، وَلَكِنَّه كتب إِلَيْهِ فِي أَثْنَاءِ جُوَابِهِ عَلَى ابْنِ هُود يَحْذِرُه من ابن عَمَّار:

وَالشَّيْخُ لَا يَتَرَكُ أَخْلَاقَهُ
حَتَّى يَوْارِي فِي ثَرَى رَمْسِهِ
إِذَا ارْعَوْيَ عَادَ إِلَى ضِدَّهِ
كَذِي الضَّنِّي عَادَ إِلَى نَكْسَهِ!^(٦٧)

وهذا الخبر من "الْحُلَّة السِّيراء" لابن الأبار^(٦٨). ولم يرد في حواشى النص شيء يخصه.

الحوفي أيضًا من قصيدة في خليل مطران، منها^(٦٩):

فَمِنْ الْبَشِيرِ لِبَعْلِبَكَ وَبِيَنَهَا
نَسْبٌ تَضِيءُ بِنُورِهِ الْأَيَّامُ
بِيَكِي الْمَكِينُ الْفَخْمُ مِنْ آثَارِهَا
يَوْمًا، وَآثَارُ الْخَلِيلِ قِيَامٌ
يَقُولُ: إِنَّ آثَارَ بَعْلِبَكَ يَأْتِي عَلَيْهَا يَوْمٌ - مَعَ
مَرْوَرِ الزَّمْنِ - وَتَبَلَّى، لَكِنَّ آثَارَ (أشعار) خليل
مطران باقية، والصواب:

يَبْلَى الْمَكِينُ الْفَخْم... (البيت) ولا معنى للبكاء
هنا.

ع. ومن التصحيح والتحريف ما يفسد سياق
المعنى، ومثله قول خطيب الموصل^(٦٤):

مَا لَاحَ بِأَرْقِ مُقْلَتَيْ
هِ لِنَاظِرٍ إِلَّا وَشَامَهُ
لَاصَّبَحَ يُشَبِّهُ وَالظَّلا
مِ إِذَا بَدَا خَدَا وَشَامَهُ
فَاقَتْ مَحَاسِنُهُ الْجِسَّا
نَ عَرَاقَةَ فِيهِ وَشَامَهُ
يَالِيَتِهِ مَثَلِي يَقُو
لُ لِمَنِ إِلَيْهِ بِي وَشَى: مَهْ!
- وصواب الكلمة: "عِرَاقَهُ" في مقابلة:
"شَامَهُ" ولا معنى للعراقة.

وفي القطعة جناس القوافي: شامه الأولى.
يقال: شام البرق: نظر أين يُمطر سحابه. وشامه
الثانية كالحال في الخد، وشامه الثالثة من قطر

بتسهيل الهمزة:
نَزُورُكُمْ لَا نَكَا/فِيكُمْ بِجَفْ/وَتَكُمْ
مُتَفَعْلُنْ فَاعْلَنْ مُسْتَفْعَلُنْ فَعْلُنْ

- ومن خطأ القراءة الناتج عن عدم الانتباه للحروف المعجمة والحروف المهملة، وفيه سهو عن المقصود اللغوي ما ورد في مادة (ابن ضل) في ثمار القلوب^(٧٢) قال:

"يقولون للمُفْلِسِ صَلْمَةً بن قَمْعَةَ. قال أبو سعيد هو كقولك: الأَحَدُ بن الأَحَدٍ" كذا فيه: الأَحَد بالدال المهملة في الموضعين. ولم يعلق المحقق بشيء.

قلت: هذا كلام مُحرَّف، وصواب القراءة: "الأَحَدُ بْنُ الأَحَدٍ" بالدال المعجمة. ومن معاني الأَحَد: الفقير، رفيق الحال، والجمع حُذْ. وهذا هو المعنى المراد في النص، وهو صواب القراءة.

- ومن خطأ قراءة النص المؤدي إلى التعسف في شرحه ما ورد في مادة (ابن ذكاء) في ثمار القلوب^(٧٣):

ابن ذكاء: هو الصُّبُحُ، وأبوه ذُكاء هو الشمس
 قال الرَّاجِزُ:

فَوَرَدْتُ قَبْلَ انبَلَاجِ الْفَجْرِ
وَابْنَ ذُكَاءِ كَامِنْ فِي كُفْرِ
 - هكذا بضم الكاف من كلمة "كفر".
 - قال في الحاشية: **الْكُفْرُ**: الظُّلْمَةُ، وكل ما سَرَّ شَيْئاً فقد كفره.

قلت: صواب الضبط فتح الكاف: كَفْرُ.
 وفي كتب اللغة: "الْكُفْرُ" (فتح الكاف): ظُلْمَةُ اللَّيْلِ وَاسْوَادَاهُ". وللْكُفْرُ معانٍ.

- وسياق الخبر يوهم أنَّ الشعر من نظم ابن هود أو نظم الكاتب؛ والصَّواب أنَّ البيتين من شعر عبد الصمد بن المُعَدَّل.

- ومن الإخلال عدم الإشارة إلى مثل مشهور، وفي منهج المحقق استيفاء الكلام على الأمثال الواردة في الكتاب (وهو ثمار القلوب...)^(٦٩).

في خبر موقعة صَفَّينَ، وإشارة عمرو بن العاص رضي الله عنه برفع قميص عثمان رضي الله عنه؛ لبعث الهمة في المقاتلين. قال الخبر: فَتَمَّ ذَلِكَ وَنَهَضَ النَّاسُ بِقَوْةٍ، فقال عمرو حينئذ: "حَرَّكَ لَهَا حَوَارٌ هَا تَحْنَّ".

وهذه العبارة مَثَلٌ: وهو في مجمع الأمثال للميداني^(٧٠)، قال: **الْحُوَارُ**، ولد الناقة، ولا يزال حُوارًا حتى يُفْصَلُ، فإذا فُصِّلَ عن أُمِّهِ فهو فصيل. ومعنى المثل: "ذَكْرُهُ بَعْضُ أَشْجَانِهِ يَهْجُّ لَهُ".

- ومن قراءة النص الخاطئة المؤدية إلى خطأ آخر ما في شرح مقامات الحريري^(٧١) للشريسي من قول الشاعر (والضبط عنه):

نَزُورُكُمْ لَا نَكَافِئُكُمْ بِجَفْوَتَكُمْ

إنَّ الْكَرِيمَ إِذَا مَا لَمْ يُزَرْ زَارَ
 وَضَبَطَ فَعَلَ (فَنَكَافِئُكُمْ) بتحقيق الهمزة يفسد الوزن. فالبيت من بحر البسيط؛ وتحقيق الهمزة (متحركةً مضمومةً) ينقل (مستعلن) إلى (متعلن) وليس من تقيعات البسيط (متعلن).

وصواب قراءة البيت:

نَزُورُكُمْ لَا نَكَافِئُكُمْ بِجَفْوَتَكُمْ
 إِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا مَا لَمْ يُزَرْ زَارَ

"وبَعْلِيَاكُمْ" بفتح العين، وهي مسَهَّلة عن عَلِيَاءٍ: والعلَيَاء: وكل شيء مرتفع كرأس الجبل والمكان المرتفع، والسماء، والشرف" وهذا هو المعنى المراد.

- ومثل هذا ضبط "ذَارِكُمْ" بضم الذال في نص آخر في المغرب، والصواب ذراكم بفتح الذال. فالذرى جمع الذروة: (بضم الذال وكسرها) والذَّرَأ: ما استتر به. ويقال: أنا في ذرا فلان أي في كنفه؛ وهو المعنى المراد في قول الشاعر^(٧٦):

إذا لم يكن لي جانب في ذراكم

فما العذر لي ألا يكون التجُّبُ

- ونقرأ في الوفي بالوفيات في ترجمة أبي سهل محمد بن الحسن العميد، قوله مادحًا^(٧٧):

عجبت من الأقلام لم تُنْدِ خُضْرَةً

وباشَرْنَ منه كَفَهُ والأَسْمَالَا

لَوْ انَّ الورى كانوا كلاماً وأحرفاً

لكان "نعم" منها وكان الأنأم "لا"!

- كذا فيه، وصواب القراءة: لم تَنْدِ خُضْرَةً.
وال فعل: نَدِيَ يَنْدِي.

يعجب الشاعر من الأقلام وهي عيدان جافة يابسة وقد حملها المدوح بين كفه وأنامله كيف لم تَنْدِ: (لم تصبح نَدِيَةً رطبة) ولم تخضر اقتباساً من جوده (نداه) وكرمه.

فهذا خطأ في قراءة النص وضبطه أدى إلى ضياع المعنى المراد، وإلى فساد الكلام.

صـ- وهذا نَمَطٌ من التغيير أدى إلى ذهاب المعنى المراد، في قطعة لأحمد بن فرج الجياني^(٧٨):

ويشُّفُ الخطأ في ضبط النص (لغويًّا) عن سَهْوٍ في اللغة، وإخلال بالعودة إلى المعجم كلما آنس المحقق أنه يضبط ما لم يمرّ به مثله، أو كلما شَكَ في أمر من الأمور.

وقد ضَبَطَ مُوثَق ديوان شوفي (وقد اجتهد في ضبطه وشرحه) هذين البيتين على هذه الصورة^(٧٩):

قَفِيْ يَا أَخْتَ يَوْشَعَ خَبَرِيْنَا
أَحَادِيْثَ الْقَرْوَنِ الْغَابِرِيْنَا

وَقَضَى مِنْ مَصَارِعِهِمْ عَلَيْنَا
وَمِنْ دُولَاتِهِمْ مَا تَعْلَمْنَا
فَقَالَ: دُولَاتِهِمْ "بفتح الواو" وهذا خطأ في الضبط، والصواب دُولَاتِهِمْ. والدَّوْلَة-فتح الذال- تُجمع على دُولَة. ولكن الشاعر جاء بـ(دُولات)
جمع دُولَة (بضم الدال) ومعناها الغَلَبَةُ. وجمعها ساكن الواو: دُولَاتٌ.

- وضبط النص يحتاج إلى الاحتكام إلى المعجم كلما تردد المحقق في ضبط الكلمة.
نقرأ في ترجمة أم العلاء بنت يوسف الحجارية^(٧٥):

كُلَّ مَا يَصْدُرُ عَنْكُمْ حَسْنٌ
وَبَعْلِيَاكُمْ يُحَلِّي الزَّمَنُ
تَعْكُفُ الْعَيْنُ عَلَى مَنْظَرِكُمْ
وَبِذَارِكُمْ تَلَذُّ الأَغْيَانُ
ضُبِطَتِ الْكَلْمَةِ بِضَمِّ الْعَيْنِ "بَعْلِيَاكُمْ".

قلت: عَلِيَا مؤنث الأعلى. وليس هذا هو المعنى المراد في الشعر. وصواب القراءة:

يَا غَيْرِمُ أَكْبَرُ حَاجِتِي
 سَقْيُ الْحِمَى إِنْ كُنْتَ تُسْعِفُ
 رَشَفَ صَدَاهُ فَطَالِمَا
 رَوَى الصَّدِي فِيهِ التَّرَشُّفُ
 وَأَخْلَغَ عَلَيْهِ مِنَ الرَّبِّيِّ
 عِوْشِيَّهُ ثَوْبًا مُصَنَّفُ
 حَتَّى تَرَى أَنْهَاءَهُ
 وَكَانَهَا أَعْشَارًا مُضَحَّفُ
 وَتَخَالُ مُرْفَضُ النَّدِي
 فِي رَوْضَهِ شَكَلاً وَأَخْرُفُ
 وَكَتَبَ الْمَحْقُّ عِنْدَ (أَنْهَاءَهُ) فِي الْحَاشِيَةِ أَنَّ
 الْأَصْلُ هُوَ (أَزْهَارِهِ) وَأَعْرَى الْمَحْقُّ أَنَّ النَّسْخَةَ
 أَوْرَدَتْ شَرْحَ الْأَنْهَاءَ، وَهِيَ جَمْعُ النَّهَيِّ: الْغَدِير.
 قَلْتُ: الصَّوَابُ: أَزْهَارِهِ وَالتَّبْدِيلُ خَطَأُ ظَاهِرٌ.
 فَالشَّاعِرُ يَصِفُّ أَلْوَانَ الزَّهْرِ وَالْوَرْدِ وَغَيْرِ ذَلِكَ
 فَشَبَّهَهَا بِأَعْشَارَ الْمُصَحَّفِ الَّتِي تُسْتَخَدَ لِهَا
 الْأَلْوَانُ، وَلَيْسَ لِلْأَنْهَاءِ مَدْخُلٌ فِي سِيَاقِ الْكَلَامِ.
 وَأَمَّا شَرْحُ النَّسْخَةِ الْمُخْطُوَّتَةِ لِلْأَنْهَاءِ بَعْدَ
 الْقِطْعَةِ السَّابِقَةِ فَتَقْسِيرُهُ أَنَّ فِي الصَّفَحةِ قَطْعَةً
 أُخْرَى فِي السَّحَابِ وَالْمَطَرِ لِيُوسُفَ بْنَ هَارُونَ
 الرَّمَادِيِّ يَقُولُ فِيهَا وَاصْفَا سَقْطَ قَطْرَاتِ الْمَطَرِ
 عَلَى الْغَدِيرِ:

هُوتْ مُثْلَمَا نَهْوِي الْعُقَابُ كَائِنَهَا
 تَخَافُ فَوَاتَ الْمَحْلِ فَهِي تَبَادِرُ
 كَانَ انتِشَارُ الْقَطْرِ فِيهِ ضَوَابِطُ
 تُدارُ عَلَى الْغَدِيرِ مِنْهُ دَوَائِرُ
 قَلْتُ: أَظُنَّ أَنَّ أَصْلَ الشِّعْرِ: "تُدارُ عَلَى الْأَنْهَاءِ

مِنْهُ دَوَائِرُ" ثُمَّ شَرْحُ الْمُؤْلِفِ الْأَنْهَاءِ بِالْغَدِيرِ.
 وَتَبَدَّلَتِ الْأَنْهَاءُ وَصَارَتِ إِلَى الْغَدِيرِ بِقَلْمِ نَاسِخٍ
 مُثَلَّاً....

.... وَإِلَّا فَإِنَّ الْغَدِيرَ (وَهِيَ بِمَعْنَى الْأَنْهَاءِ)
 لَيْسَتِ فِي أَصْلِ الشِّعْرِ.

- وَمِنَ التَّغْيِيرِ الْمُخْلِلِ الْمُفْسِدِ لِلْمَعْنَى الْمَرَادِ،
 مَا وَرَدَ فِي نَصٍّ مِنْ كِتَابٍ (الْتَّبِيَانُ)^(٧٩) مِنْ
 صَفَحَاتِهِ الْأُولَى، وَهُوَ يَتَحَدَّثُ عَنْ جُوانِبِ مِنْ
 عَمَلِ الْمُؤْلِفِ أَوِ الْكَاتِبِ وَبَعْضِ مَهَامِ التَّأْلِيفِ.

"... فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَكْدَمِ مَا يَجْبُ لِهِ السَّعْيُ فِيهِ
 وَإِعْمَالُ ذَهْنِهِ وَحَوَالِيهِ فِي تَلْخِيصِهِ إِنْ أَعْانَهُ
 عَلَى ذَلِكَ اغْتِبَاطُ بِجَمِيلِ الثَّنَاءِ، وَأَنْفَفَ لِسُوءِ
 الْمَقَالِ، وَنَشَاطُهُ عَلَى تَرْفِيعِ الذِّكْرِ مَعَ فَتُورِ
 الْهَمَّةِ، وَصَبْوَةِ الْفَرِيقَةِ، وَإِلَّا فَالْأَمْرُ نَاقِصٌ مِنْهُ،
 وَاللِّسَانُ عَيْيٌ عَنْهُ".

وَكَلْمَةُ فَتُورٍ مَا غَيْرِهِ مَعِيدُ نَشَرِ كِتَابِ التَّبِيَانِ:
 دُ. عَلَى عَمْرِ، قَالَ فِي الْحَاشِيَةِ: فِي الْمُطَبَّوِعِ
 "فَتُورٌ".

قَلْتُ: الصَّوَابُ هُوَ فُتُورٌ، وَلَا حَظْ بَعْدَهَا صَبْوَةٌ.
 فَهُوَ يَقُولُ مَعَ الْهَمَّةِ الْفَتِيَّةِ وَالْفَرِيقَةِ الصَّبِيَّةِ، أَوْ
 هَمَّةِ الْفَتِيَّ (الْفَتِيَانِ) وَفَرِيقَةِ الْيَافِعِ، وَالَّذِي فِي
 مَقْبِلِ الشَّبَابِ.

وَقَوْلُ مَعْدَلِ الْأَصْلِ وَمُغَيْرِهِ "فَتُورُ الْهَمَّةِ"
 يَعْكِسُ الْمَعْنَى الْمَرَادِ، وَيُفْسِدُ أَصْلًا!

- وَمِنَ تَغْيِيرِ النَّصِّ، الْمُؤْدِي إِلَى الْخَطَا
 الْوَاضِحِ مَا وَرَدَ فِي خَبْرِ فِي "الْحَلَةِ السَّيِّرَاءِ"
 فِي تَرْجِمَةِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
 النَّاصِرِ، قَالَ:

"وَهُوَ وَالَّدُ الْخَلِيفَتَيْنِ فِي الْفَتِيَّةِ: أَبُو الْمَطَرِّفِ

قلت: لما صَحَّفَ المحقق الكلمة وقرأها "العُذْرُ" لم يعد الكلام معنى، واحتاج إلى رواية "النَّهَرِ".

والصواب أن الكلمة هي "الغُذْرُ" جمع الغدير، وهو النَّهَرُ الصَّغِيرُ، والقطعة من الماء يغادرها السيل، والجمع غُذْرٌ وغُذْرٌ وغُذْران.

- وفي ترجمة إسماعيل بن إبراهيم بن شاكر التنوخي قطع من شعره فيها قوله:

خَابَ رَجَاءً امْرَى لَهُ [أَمْلَهُ]

بِغَيْرِ رَبِّ السَّمَاوَاتِ قَدْ وَصَلَهُ
يَفْعُلُ بِالْمَرْءِ كُلَّ مَكْرَمَةٍ

ثُمَّ يَثْبِبُ الْفَتَى بِمَا فَعَلَهُ
أَيْبَتْغَى غَيْرُهُ أَخْوَثَقَةٌ
وَهُوَ بِبَطْنِ الْأَحْشَاءِ قَدْ كَفَلَهُ؟

كذا ورد النص في الشطر الأول [أمله] بين معكوفتين. قال المحققان في الحاشية: "في الأصل "أَمْلٌ" والتصحيح من ذيل المرأة ٣: ٣٩، والبداية والنهاية ١٣: ٢٦٧". انتهى.

قلت: الصواب ما كان في الأصل، هكذا
خَابَ رَجَاءً امْرَى لَهُ أَمْلٌ
بِغَيْرِ رَبِّ السَّمَاوَاتِ قَدْ وَصَلَهُ

يقول خَابَ رَجَاءً هذا الرجل الذي عقد أَمْلًا له
بِغَيْرِ اللهِ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى.

وأوقع المحققين، وناسخي ذيل المرأة والبداية والنهاية ظنهم أنَّ البيت مُصَرَّعٌ: وهذا غير صحيح فاللافافية في العجز هو اللام المفتوحة، وهي في صدر البيت لام مضمومة. هذا أمرٌ،

عبد الرحمن الملقب بالمرتضى، وأبي بكر هشام الملقب بالمعتند، آخر خلفاءبني أمية بالأندلس على رحيله انقرضوا فلم يَعُدْ مُلْكَهُمْ إِلَى الْيَوْمِ^(٨٠).

قال محقق الحلة في الحاشية عند عبارة "على رحيله" ما نصه: "في الأصل على رِجْلِهِ، ومعناها على إثره أو بعده"^(٨١).

قلت: الصُّوَابُ هو ما في الأصل. وفي كتب اللغة أن العرب يقولون: "كان ذلك على رِجْلِ فلان أي: في عهده، وفي زمانه. وفي الحديث: لا أعلم نبِيًّا هَلَكَ عَلَى رِجْلِهِ مِنْ الْجَبَابِرَةِ مَا هَلَكَ عَلَى رِجْلِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ".

وقد وردت العبارة صحيحة على أصلها في موضع آخر من كتاب الحلة السيراء، قال: "وشُؤم عبد الرحمن [بن محمد بن أبي عامر] الملقب شنجول، هو الذي جَرَ افتراق الأمة، وجَرَأَ على خُلُعِ الطَّاعةِ، وعلى رجله كان الفساد العام لِمَا استشرفَ إلى الخلافة... الخ^(٨٢)

- ومن دواعي الإسراع إلى تغيير النص خطأ القراءة والركون إلى رواية وردت في مرجع ثانوي.

في الوافي بالوفيات قطعة من الشعر فيها قول الشاعر الإسنائي الصوفي:

عَلَى جَنْبَاتِ الْعُذْرِ زَهْرٌ تَفَقَّتْ
لَهَا فِي شَعَاعِ الشَّمْسِ لَوْنٌ مُّنْوَعٌ
وقد استشكل المحقق كلمة (العُذْر) فتركها وأثبتت من كتاب الطالع السعيد رواية (النَّهَر)، وصار البيت:

عَلَى جَنْبَاتِ النَّهَرِ زَهْرٌ تَفَقَّتْ.... الخ

تحمل سرّ الجليس ويُفْ شيءٌ بنوها صمتاً بلا كلام

والشعر من بحر المنسرح، وقد نقص البيت الثاني كلمة في الشطر الأول بعد كلمة الجليس. ويستقيم الوزن والمعنى بمثل كلمة "صمتاً" مثلًا، ويكون تقطيعه.

تحمل سِرْ رِ الجليسِ / صمتاً ويف/
مستعلن مفعلات مستعلن
شيءٌ بنوها صمتاً بـ / لا ألم(ي)
مستعلن مفعولات مستعلن
والسِّجل طويلاً. والله المستعان.

الحواشي

(١) استندت في ملخصات التعرifications، وسياقها من محاضرة د. محمود الطناحي رحمة الله في كتابه: مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي مع محاضرة التصحيف والتحريف، نشرته مكتبة الخانجي ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م: (٢٨٦-٢٨٧).

. (٢)

(٣) وكان د. عباس وقتها قد ذاع اسمه في الدراسات الأندلسية (كان هذا سنة ١٩٦٢).

(٤) أبو الحسن: علي بن عبيد الله المعروف بالناشئ الأصغر (٢٧١-٣٦٥هـ) أديب، كاتب، شاعر، وكان متكلماً على طريقة المعتزلة.

(٥) قال في اللسان (م لى) قال ابن بري الشعر لعمر ابن أبي ربعة ، وصواب إنشاده (عن الأقدم)

. تاریخ الأدب العربي ٢: ٥١٥.

(٧) سهل همزه أرجأ-يرجى، فقال يُرجِي، ثم حزم بـ لا الناهية.

. (٨) ديوان ابن خفاجة: ١٥٣، ١٥٤.

(٩) المرجع السابق نفسه.

(١٠) في كتابيه: الفن ومذاهبه في الشعر... والفن

والثاني أنَّ سياق الكلام يقتضي كلمة (أمل) لا عبارة (أمله).

ومعلوم أنَّ حركة حرف الروي: تلتزم في أبيات القصيدة جميعاً. وفي عروض البيت المسرّع أيضاً.

- ومن الإخلال بالنص المحقق حذف كلمة أو أكثر، وأضرَّ مثلاً لذلك، ومن تدخل المحققين في النص حذف كلمة (هذه) من عنوان كتاب ابن بسام الشنتريني الأندلسي: "الذخيرة". فالعنوان الذي وضعه المؤلف: الذخيرة في محسن أهل هذه الجزيرة، فلما صدر الجزء الأول من الكتاب عن لجنة يشرف عليها د. طه حسين حذفت كلمة (هذه). وتتابع د. لطفي عبد البديع هذا النقص في إصداره بعض أجزاء الذخيرة، وثبت هذا القطع في الطبعة الكاملة منه التي أصدرها د. إحسان عباس^(٨٣).

وهو تصرُّف غريب ممَّن بدأ، وممَّن تابع؛ لأنَّ ابن بسام قصد إلى إيراد كلمة (هذه) مشيراً إشارة "أندلسية" واضحة.

وكان كتاب الذخيرة، في جانب من جوانبه مضاهة لكتاب الثعالبي: "يتيمة الدهر" فكلمة (هذه) مراده، وأساسية في العنوان.

- ومن النقص ما يسقط من الكلام (من أهل المخطوط ولا ينتبه إليه المحقق) أو هو من سهو المحقق، وعدم مراجعة النص ومقابلته، ما ورد في صفة الدواة من شعر لابن بطّال الأندلسي^(٨٤). قال:

حاملاً لم تضع على ألم
ترْضَع أبناءها فمَا لِفَمِ

- وانظر تعليقي على النص في الحماسة المغربية .
 ١: ٣٢٦.
- (٢٩) مقابر الإمام الشافعي الآن تطلق على المنطقة المحصورة بين القبة المبنية على ضريح الشافعي . وهي من أكبر قباب المقابر، وبين سفح المقطم .
 (٣٠) ديوان أبي تمام : ١١٢ .
- (٣١) نشر مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ١٩٨٢هـ = ١٤٠٣م .
- (٣٢) نشرته مؤسسة الرسالة (دمشق)، ١٩٨٦هـ = ١٤٠٧م .
- (٣٣) ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، الزمخشري، تحقيق: عبد الأمير منها، منشورات مؤسسة الأعظمي، بيروت، ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م، الطبعة الأولى .
- (٣٤) الوافي بالوفيات للصفدي باعتماد د. رمضان عبد التواب، ١٤١١هـ = ١٩٩١م . (ج ١٢ ص ١٤٢).
- (٣٥) بحث كتابه، وعنونه بعبارة: "الجمع بعد الفراق في إحكام ضيطر ابن عراق"، خصني حفظه الله بنسخة منه .
- (٣٦) ديوان حافظ إبراهيم : ٩٤ .
- (٣٧) نَبَّهَ على هذا الخطأ عز الدين التتوخي في (إحياء العروض): ٥ .
- (٣٨) ديوان حافظ : ٩٤ .
- (٣٩) الوافي بالوفيات، تحقيق: الدكتور رضوان السيد . ٢٢٦: ١٩ .
- ومطلع البسيط نوع من مجزوئه، وزنه: مستقلعن فاعلن فعلون .
- (٤٠) الشعر لمروان بن عبد الرحمن، كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس: ٤٨ .
- (٤١) كتاب التشبيهات: ١٢٣، وانظر النص في ديوان ابن عبد ربه (من صنعة محمد رضوان الديمة)، الطبعة الثالثة، دار الفكر ص ١٨٦ .
- (٤٢) المجتبى، ابن دريد، تحقيق: محمد الدالي، نشر الجفان والجابي، دمشق، ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م . ص ٦٩-٦٨ .
- (٤٣) العروض تهنيبه وإعادة تدوينه، الشيخ جلال الحنفي، بغداد، ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م، ص ٤٣٦ .
 وينظر ما نقله المعرّي في "الصاهيل والشاحج"
- ومذاهبه في النثر .
- (٤٤) نشر أول مرة في دار الثقافة بيروت، ثم طبع بعد ذلك (من تحقيق).
- (٤٥) المجلس الصالح الكافي والأئم الناصح الشافعي، للمعافى بن زكرياء، تحقيق د. إحسان عباس، عالم الكتب، بيروت (١: ٢٦٧).
- (٤٦) الأغاني، تحقيق إبراهيم السعافين وبكر عباس وإحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٤٢٣م (٤٢: ٢٠٠).
- (٤٧) المجلس الصالح (١: ٢٦٨).
- (٤٨) الأغاني : ٢٠: ٤٤ .
- (٤٩) وتدخل في النص عناصر مختلفة .
- (٥٠) الأغاني : ٢٠: ٤٤ .
- (٥١) الصَّيْبُ والجَهَامُ وَالْمَاضِيُّ وَالْكَهَامُ: ٢٧٥ .
- (٥٢) فرات الوفيات ٣: ٤١٤ . ٤٢٠-٤١٤
- وللبيت، مع القصيدة، قصة طريفة .
- (٥٣) انظر مثلاً - ديوان ابن خاتمة الانصاري (ط١) وزارة الثقافة، دمشق ١٩٧٢م = ١٣٩٢هـ، ص ٣٠-٤٢ .
- ومقدمة ديوان مهذب الدين بن الخيمي، مجمع اللغة العربية، دمشق ٢٠١٥م، ص ٧-٥ .
- (٥٤) وفيات الأعيان (تحقيق د. إحسان عباس) ٧: ٢١٥ .
- (٥٥) لطائف الأخبار وذكرة أولى الأبصار للقاضي أبي محمد القاسم بن الحسن التتوخي، تحقيق: د. علي حسين البواب، دار عالم الكتب، ١٤١٣م = ١٩٩٣م . ص: ٤٧ .
- (٥٦) البديع في فصل الربيع، ت.د. علي الكردي، دار سعد الدين، دمشق، ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م . ص ٤٣ .
- (٥٧) المصدر السابق: ١٤٤ .
- (٥٨) يراجع ياقوت في معجمه ٣: ٢٨٢، والروض المعطار في خبر الأقطار: ٣٠٩ .
- (٥٩) ديوان شوقي ٢: ٥٥٤ .
- (٦٠) مقابر الإمام الشافعي الآن تطلق على المنطقة المحصورة بين القبة المبنية على ضريح الشافعي . وهي من أكبر قباب المقابر، وبين سفح المقطم .
- (٦١) ديوان أبي تمام (دار المعارف) ١: ٢٣٩ .

- (٤٤) *قصائد ومقاطع*: حازم القرطاجي، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، الدار التونسية للنشر، ١٩٧٢ م. ص ١٤٦.

(٤٥) *محمد البزم أحد شعراء دمشق في القرن العشرين*، له ديوان مطبوع في جزأين، ولادته ووفاته في دمشق. وقد نشرت مقدمةً له صنعتها لتكون طليعة ديوانه. وأعكف على صناعة ديوانه وشرحه. أuan الله على ذلك.

(٤٦) *حليم دموس كاتب شاعر اشتغل بالصحافة اللبناني* عاش معظم حياته في دمشق، طبع كتابه (*المثال والمثال*) في جزأين: ١٩٢٦ م و ١٩٣٠ م.

- وأقول - بالمناسبة - إن الزركلي رحمه الله أفاد من كتاب دموس وأخذ من وثائقه وصوره، ونبه على ذلك.

(٤٧) *ديوان ابن خفاجة*، تحقيق: د. السيد مصطفى غازي، منشأة الإسكندرية - ١٩٦٠ م. ص ٣٥٩.

(٤٨) *ثمار القلوب في المضاف والمنسوب* (دمشق) ١: ٣٨٨.

(٤٩) *ديوان شوقي* (صنعة د. أحمد الحوفي) ٢: ٢٢١.

(٥٠) *ديوان شوقي: توثيق وتبسيب وشرح وتعليق* ٢: ٥٥٥.

(٥١) *تقدير وتحقيق*: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، ١٩٦٦ م.

(٥٢) *العروض والقافية: دراسة في التأسيس والاشتراك*، محمد العلمي، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٣ م، ص ٢٨١-٢٨٢.

(٥٣) *العروض والقافية*: ٢٨٣-٢٨٢.

(٥٤) *تكلمة المعاجم لدوزي* (الترجمة) ١: ٢٨٩-٢٨٨.

(٥٥) *منهج البلاغة*: ٢٦٨.

(٥٦) *كتاب التشبيهات*: ٢٣٨-٢٣٧.

(٥٧) *قصائد ومقاطع*: ١٢٥.

(٥٨) *ديوان عدي بن زيد*: ١٠٠.

(٥٩) *الغصون الياجعة في محسن المئة السابعة*، لابن سعيد، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار المعارف، بالقاهرة.

(٦٠) *ديوان شوقي (توثيق وتبسيب وشرح وتعليق* د. أحمد الحوفي) ٢: ٥٥٣.

- العلم للملائين - بيروت - الطبعة الأولى - ١٩٦٨ م.
- تاريخ النقد الأدبي في الأندلس - محمد رضوان الديبة - مؤسسة الرسالة - دمشق - الطبعة الثانية.
- التشبيهات (كتاب التشبيهات) من أشعار أهل الأندلس - محمد بن الكثاني الأندلسي - تحقيق د. إحسان عباس - دار الثقافة - بيروت - ط. ١.
- تكميلة المعاجم لدوزي - النسخة المترجمة - ط - بغداد.
- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للتعالي - تحقيق: أ. إبراهيم صالح - دار البشائر - دمشق - ١٣١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
- الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافى للمعافى بن زكريا - تحقيق د. إحسان عباس - عالم الكتب - بيروت - ط. ١.
- الحلة السيراء لابن الأبار - تحقيق د. حسين مؤنس - دار المعارف بالقاهرة - ١٩٨٥ م - الطبعة الثانية.
- حماسة الظرفاء - الجزء الثالث - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ - (دب.).
- ديوان ابن الرومي - تحقيق: د. حسين نصار - دار الكتب المصرية - القاهرة - ط ١
- ديوان ابن خاتمة الانصارى - تحقيق: محمد رضوان الديبة - وزارة الثقافة دمشق - ١٩٧٢ م.
- ديوان ابن خفاجة - تحقيق: د. السيد مصطفى غازى - منشأ المعرف - الإسكندرية -
- مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٤٢٧ هـ = ٢٠٠٦ م.
- (٧٩) الحلة السيراء ١: ٢١٠ - ٢٠٨.
- (٨٠) الحلة السيراء ١: ٢٧٠.
- (٨١) إشارة إلى الآخر السيء الذي خلفه استبداء محمد بن أبي عامر الحاجب الذي تشرف إلى ملك الدولة، وابنه عبد الرحمن الملقب شنجول الذي اتخذ لقب ولـي العهد الخليفة الأموي. وكان هذا بداية عصر الفتنة في الأندلس من نحو ٤٢٢ إلى ٤٠٠ نهاية الدولة المروانية بالأندلس.
- (٨٢) صدر من الذخيرة ثلاثة أجزاء عن جامعة القاهرة (باشراف د. طه حسين، وأصدر د. لطفي عبد الديع جزءاً، ثم صدر تاماً في بيروت.
- وانظر متابعة د. عباس لما في الطبعات السابقة، وتسویغه في مقدمة طبعته.
- (٨٣) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس: ٢٣٨.

المصادر والمراجع

- إحكام صنعة الكلام - محمد بن عبد الغفور الكلاعي الأندلسي - تحقيق محمد رضوان الديبة - دار الثقافة بيروت - ١٩٦٥ م.
- إحياء العروض - عز الدين التتوخي - المطبعة الهاشمية بدمشق - ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٦ م.
- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني - تحقيق: إبراهيم السعافين وبكر عباس وإحسان عباس - دار صادر - بيروت ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
- البديع في وصف الربيع - تحر. د. علي الكردي - دار سعد الدين - دمشق - ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- تاج العروس (شرح القاموس المحيط) - الزبيدي - طبعة الكويت (مجموعة من المحققين).
- تاريخ الأدب العربي - د. عمر فروخ - دار آفاق الثقافة والتراث

- سير أعلام النبلاء - الذهبي - تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط - مؤسسة الرسالة - دمشق - ط١.
- شرح مقامات الحريري للشريسي الأندلسي - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت - ١٤١٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- الصيّب والجهام والماضي والكهام (ديوان لسان الدين بن الخطيب) - تحقيق محمد الشريف فاهر - الجزائر - ١٩٧٣ م.
- العروض تهذيبه وإعادة تدوينه - الشيخ جلال الدين الحنفي - بغداد - ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.
- العروض والقافية - د. محمد العلمي - دار الثقافة - الدار البيضاء - ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م.
- عيون التواریخ: محمد بن شاکر الکتبی - الجزء الحادی والعشرون، تحقیق: نبیلۃ عبد المنعم، ود. فیصل السامرائی - منشورات وزارة الثقافة والإعلام - کتب التراث: ١٢٢ - بغداد - ١٩٨٤ م.
- الغصون الیانعة في محسن المئة السابعة - ابن سعید - تحقيق إبراهيم الإبیاري - دار المعارف - القاهرة.
- الفن ومذاہبہ في الشعر العربي - د. شوقي ضیف - دار المعارف بالقاهرة - ط١.
- الفن ومذاہبہ في النثر العربي - د. شوقي ضیف - دار المعارف بالقاهرة - ط١.
- فوات الوفیات والذیل علیها - محمد بن شاکر الکتبی - تحقيق د. إحسان عباس - دار صادر بیروت - (لا تاریخ).
- دیوان احمد شوقي (دیوان شوقي): توثیق وتبویب وشرح وتعقیب د. احمد الحوفي - دار نهضة مصر - القاهرة، ط١.
- دیوان حافظ إبراهيم - جمعه وحّقه مجموعة من الباحثین - وزارة التربية بمصر - ط١
- دیوان عدی بن زید العبادی - تحقيق محمد جبار المعید، ط وزارة الثقافة العراقیة - بغداد - ١٩٦٥ م.
- دیوان لسان الدين بن الخطيب = الصيّب والجهام.
- دیوان المتّبی = الموضّح.
- دیوان محمد البزم - عدنان مردم وسلیم الزرکلی - المجلس الأعلى للفنون والأداب - دمشق - ١٩٦٠.
- دیوان مهذب الدين بن الخيمي - تحقيق میسم الصواف تقديم محمد رضوان الدایة - مجمع اللغة العربية - دمشق - ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م.
- الذخیرة في محاسن أهل الجزیرة (ط جامعة القاهرة) و(ط: الهيئة العامة بتحقيق د. لطفی عبد البدیع) والنسخة التامة بتحقيق د. إحسان عباس - دار صادر - بیروت.
- ربيع الأبرار ونصوص الأخبار - الزمخشري - ت. عبد الأمير مهنا - منشورات مؤسسة الأعظمی - بیروت - ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
- الروض المعطار في خبر الأقطار - الحمیری - تحقيق: د. إحسان عباس - مکتبة لبنان - بیروت - ١٩٧٥ م.

- المكتب الإسلامي - دمشق - ١٩٧٢ م.
- المغرب في حل المغارب - ابن سعيد تحقيق د. شوقي ضيف - دار المعارف بالقاهرة - ٢٦.
- مفہمات الأقران في مبھمات القرآن للسيوطی - ت. د. مصطفی دبیب البغا - مؤسسة علوم القرآن - دمشق = ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٢ م.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء - حازم القرطاجي - تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة - دار الغرب الإسلامي - ط - تونس - ١٩٦٦ م.
- الموضح (شرح التبريزی على دیوان المتنبی) - حققه د. خلف رشید نعمان - دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد.
- نثیر الجمان فی شعر مَنْ نظمني وإیاه الزمان - ابن الأحمر - تحقيق محمد رضوان الداية - مؤسسة الرسالة بيروت - ١٩٧٦ م.
- نثیر فرائد الجمان فی نظم فحول الزمان - ابن الأحمر - تحقيق محمد رضوان الداية - دار الثقافة بيروت - ١٩٦٦ م.
- الوفي بالوفيات - صلاح الدين الصفدي - أجزاء متعددة منه، بتحقيق عدد من الأدباء والمحققين - بيروت.
- وفيات الأعيان - ابن خلkan - تحقيق د. إحسان عباس - دار صادر - بيروت - ١٩٧٠ م.
- قصائد ومقطوعات: حازم القرطاجي، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، الدار التونسية للنشر، ١٩٧٢ م.
- كتاب التبيان - الأمير عبد الله بن باديس بن حبوس - د. علي عمر - مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة - ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
- لطائف الأخبار وتذكرة أولي الأبصار القاضي أبي محمد القاسم بن الحسن التتوخي - تحقيق: د. علي حسين اليواب - دار عالم الكتب - ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.
- المثالث والمثاني - حلیم دمّوس - المطبعة العصرية - ١٩٢٦ م و ١٩٣٠ م (جزآن).
- المجتنى - ابن دريد - تحقيق: د. محمد الدالي - نشر الجفان والجابي - دمشق - ١٤١٨ هـ = ١٩٩٧ م.
- مجمع الأمثال للميداني - تحقيق محمد محبي الدين عبد الحميد - مطبعة السنة المحمدية - القاهرة - ١٩٥٥ م.
- مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي - مع محاضرة التصحيح والتحريف - د. محمود الطناхи - مكتبة الخانجي بالقاهرة - ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٤ م.
- معجم الأدباء - ياقوت الحموي - دار المأمون بالقاهرة (٢٠ جزءاً).
- المعیار فی أوزان الأشعار - ابن عبد الملك (ابن السراج) الشنترینی - الطبعة الثانية في

آراء العَزْفِي في وِدَاتِ الدِّيْلِ الْإِسْلَامِيَّةِ

د. مقتدر حمدان عبد المجيد الكبيسي
العراق

المبحث الأول: الإمارة العَزْفِية وسيرة العَزْفِي:

قيام الإمارة:

شكلت حالة الضعف والوهن التي دبت في أوصال جسم دولة الودادين وبوجه خاص بعد موقعة العقاب سنة ١٢٤٥ هـ / ١٢٦٩ م^(١) دافعاً قوياً لتحول بعض مدن المغرب العربي ومنها سبطة عن طاعتها وتقديم لأنها لقوة جديدة تمثلت في الدولة الحفصية التي قامت في إفريقية سنة ١٢٤٧ هـ / ١٢٥٥ م، إذ تقدم أهالي سبطة إلى حاكمها المعروف بابن خلاص البنسي سنة ١٢٤٣ هـ / ١٢٥٥ م، وأرسلوا وفداً برئاسة ابنه في أسطول يحمل هدية إلى الأمير أبي زكريا يحيى الحفصي، ولكن الأسطول غرق بما فيه، وكان رد الأمير الحفصي بإرسال ابن أبي خالد البنسي، وابن الشهيد الهناتي، لحكم سبطة، وذلك في سنة ١٢٤٦ هـ / ١٢٤٤ م^(٢). ولكن ابن أبي خالد تمادي في ظلمه وطغيانه لأهل سبطة؛ وهذا ما أثار الحقد والضغينة بينه وبين قائد الأسطول أبي العباس أحمد الرنداхи^(٣).

إمارته على سبطة واستقلاله بها وذلك في سنة ١٢٤٧ هـ / ١٢٤٨ م أيام الخليفة عمر المرتضى الموحدى (٤). ثم قام بضم طنجة، حيث تقدم أهلها بطاعتهم إليه عندما رأوا ضعف وتدحرج سلطة الموردين وظهور قوة المرinيين، فقام بإرسال قوة من الرجال والرماة على رأسهم القائد أبو الفضل العباسى، وكان من كبار أعيان سبطة وبصحبته يوسف بن محمد بن الأمين. وبعد توطيد الوضع في طنجة، عاد القائد أبو الفضل إلى سبطة وترك ابن الأمين واليًا عليها^(٥).

ولما توفي الأمير أبو زكريا الحفصي وبويع ابنه الملقب بالمستنصر وجد السبتيون الفرصة للتخلص من تبعيتهم للحفصيين بعد أن ضاقوا ذرعاً من ظلم وجور ابن أبي خالد، فاجتمع القائد الرنداхи مع الفقيه أبي القاسم العزفي^(٦) الذي ترجع إليه أصول الأسرة العزفية، وحرضه على التخلص من ابن خالد وجعل رئاسة سبطة بيده، ووعده بأخذ الأمر على عاته وتحقيق هذه المهمة بنفسه ووافقه أبو القاسم العزفي. وقام الرنداхи بوضع خطة تم بموجبها القبض على ابن أبي خالد وقتلها^(٧). وأعلن أبو القاسم العزفي

العَزَفِي، وحضر له أكثر من مجلس، من مجالس التدريس التي كان العَزَفِي يقيمها في جامع سبطة^(٢١)، وقرأ عليه كثير من المصادر، وعلى الرغم من طول المدة التي مكث فيها الرعيني مع العَزَفِي إلا أنه لم يشر أو يورد ذكر اسم الحسين، أو علي أو سليمان في شجرة نسب شيخه.

وقد أورد نسب العَزَفِي كالتالي: (أبو العباس أحمد بن القاضي أبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد اللخمي، عُرف بابن أبي عَزْفة)^(٢٢). وأكد الرعيني هذا النسب بالقول: (هكذا كتب لي اسمه بخطه)^(٢٣). وأكد هذا النسب ابن أبي الريبع في برنامجه^(٢٤). وأضاف البعض إلى هذا النسب: ابن الخطيب^(٢٥).

أصل العَزَفِيين:

تتضارب الآراء حول أصول العَزَفِيين، فهناك من يرى بأنهم ينحدرون من أصول أفريقيا، مستتدلين في ذلك، إلى أن الفقيه الإمام علي، قد العَزَفِي كان معاصرًا لابن أبي زيد القيروانى (٣١٠ - ٩٢٢ هـ / ٩٩٦ م)، وهو أحد أعلام المذهب المالكي في القيروان، لا بل حتى المغرب في عصره^(٢٦).

وهناك فريق آخر يرى أن العَزَفِيين من أصول أندلسية، معتمدين على أن الكثير من الأندلسيين استقروا في مدينة سبطة، وذلك لقربها من الأندلس، وأن العَزَفِيين ينحدرون من قبيلة لخم العربية التي لها انتشار واسع في الأندلس^(٢٧). ولكن هذا النسب الأندلسي يبدو غير دقيق، وذلك لخلو شجرة نسب العَزَفِيين من أية إشارات نسب إلى الأندلس أو إلى مدينة أندلسية.

وقد ذكر مؤرخ مغربي أنهم من أهل

وبعد مرور سنة، استقل ابن الأمين بطنجة وانشق عن العَزَفِي ودعا للحفصيين أصحاب أفريقية ثم لل الخليفة العباسي في بغداد وأخيراً لنفسه^(٢٨). ولكن سرعان ما عادت طنجة إلى طاعة العَزَفِيين، وذلك في سنة ١٢٦٦ هـ / ٦٦٥ م إذ بعد أن ملك بنو مرين المغرب العربي داخل طنجة ثلثمائة فارس منهم، واستوطنوا فيها وضيقوا على أهلها وأمعنوا في إيدائهم، فطلب ابن الأمين منهم أن يكفووا أذاهم عن الأهالي مقابل دفع مبلغ من المال لهم، ولكنهم أضمرموا الغدر لابن الأمين، وقتلوا فثار عليهم عامه طنجة وقتلواهم واجتمعوا حول ابن الأمين، ولكنهم خافوا من عقاب وقصاص بنى مرين لهم، فخاطبوا أبي القاسم العَزَفِي وطلوا نجاته، فأرسل إليهم قواته برأ وبحراً وأعاد طنجة إلى ملكه، وعين والياً عليها عرف بابن حمدان يشاركه في حكمها وإدارتها الملا من أشرافها^(٢٩).

السيرة الذاتية للعَزَفِي

اسم ونسبه:

أورد المقربي^(٣٠): نسب العَزَفِي بالصورة الآتية: أبو العباس^(٣١) أحمد بن محمد بن الحسين ابن الفقيه الإمام علي^(٣٢) بن محمد بن سليمان ابن محمد الشهير بابن أبي عَزْفة^(٣٣) اللخمي^(٣٤)، السبتي^(٣٥)، المالكي^(٣٦)، أولاده أصحاب سبطة^(٣٧)، ينتهي نسبهم إلى قابوس بن النعمان بن المنذر^(٣٨).

ولادته: أجمعوا المصادر على أن الفقيه أحمد العَزَفِي ولد في ١٧ رمضان سنة ٥٥٧ هـ^(٣٩).

لكن بعد الرجوع إلى مصادر قريبة من العَزَفِي نفسه، يبدو لنا أن هذا النسب ربما شابه تحريف، ذلك أن الرعيني^(٤٠)، التقى بأحمد

تواضع فازدادت مهابة عدله على كل خصم مبطل الحق شاغب^(٣٣)

وهذا ما يشير إلى أن الزعامة الروحية للأسرة العزفيين في سبتة كانت سابقة لزعامتهم السياسية، التي بدأ عندما تمكن أبو القاسم العزفي من تولي مقاليد الأمور في مدينة زقاق^(٣٤) في شهر رمضان سنة ٦٤٧هـ^(٣٥)؛ أي بعد وفاة والده بأربع عشرة سنة.

ينتمي الشيخ احمد العزفي إلى أحد أكبر بيوتات سبتة، التي جمعت بين العلم والسياسة^(٣٦). فقد لعبت الأسرة العزفية دوراً مميزاً وكبيراً في تاريخ المغرب العربي، وكذلك في علاقة المغرب بالأندلس، في النصف الثاني من القرن السابع الهجري وحتى بداية القرن الثامن الهجري^(٣٧)، وذلك بعد أن استقلوا بحكم مدينة سبتة، وتولى على حكم تلك المدينة أبناء تلك العائلة، وتحديداً أبناء الإمام العزفي^(٣٨).

مناصبه:

تولى أبو العباس أحمد العزفي قضاء مدينة سبتة بعد وفاة والده، كما لزم التدريس في جامعها طوال حياته^(٣٩). وفي هذا الجامع ومن خلال حلقاته الدراسية فيه، تتلمذ عليه جم غفير من علماء المغرب، ويشهد على ذلك ما ذكره مترجموه^(٤٠)، من سعة ثقافته، ومكانته في علم الفقه وأصوله، والحديث وعلومه. إذ قصده الدارسون يفيدون منه ويفيدون عنه^(٤١)، وكان له نظم حسن^(٤٢).

مكانته العلمية

كان الشيخ احمد العزفي رحمة الله فقيهاً،

مراكش^(٤٣). وهذا هو الرأي الراجح أنهم من أهل المغرب، واستوطنت هذه العائلة مدينة سبتة منذ سنين عدة، فنسب العزفي إليها^(٤٤).

ويرى فريق ثالث أن العزفيين من أصول بربرية، وهذا لا يتواءم مع الواقع؛ لأنه يُشكك في الأصل العربي لهذه الأسرة. ونقل لنا ابن الخطيب بعض آراء من قال بهذا الرأي فقال: (يزعم بعض أهل سبتة أن أصلهم من مجسكة البربر)^(٤٥). وبالمراجعة التاريخية لحقيقة حكم العزفيين، ظهر لنا أن الرأي القائل بأن العزفيين من أصول بربرية ظهر في القرن الثامن الهجري، وهذا يبدو له ارتباط وثيق بالخلاف السياسي بين العزفيين والشرفاء الحسينيين على الزعامة السياسية في سبتة، ويبيرز هذا الأمر أكثر مع بداية أ Fowler نجم العزفيين السياسي، وظهور قوة سياسية أخرى على مسرح الأحداث السياسية تمثل في الشرفاء الحسينيين^(٤٦).

فالأصل العربي والنسب الشريف كانوا من أهم ما واجه به الشرفاء الحسينيون خصومهم العزفيين، لإبعادهم عن إدارة مدينة سبتة.

أسرته ومناصبه

أسرته:

تناولت المصادر أبا عبد الله محمد بن أحمد اللخمي العزفي السبتي، والد العزفي، ووصفته بـ(الشيخ الإمام الفقيه الصالح القاضي العالم المحدث)^(٤٧). وأعطتنا تلك المصادر معلومات قيمة عنه، وسلطت الضوء على سيرته بين الناس، حتى قيل لابنه:

أبوه الذي قد سد يوم قضائه

من الحق صدعاً جل عن كل شاغب

(المحدث الجليل). قال الفاسي^(٦٠): (كان يحرص على حضور ختمة القرآن في شهر رمضان). اقتبس منه غير واحد من المحدثين^(٦١)، وكتاب السيرة^(٦٢)، والفقهاء^(٦٣).

تراثه ووفاته مؤلفاته:

ترك لنا أبو العباس أحمد العَزَّفي مؤلفات متعددة في مختلف مجالات العلوم، وهذا التنوع في تراثه يعكس الثقافة الواسعة التي كان يتمتع بها، ولكن لم يصل لنا كامل تراثه فقد أصابت بعضه يد الزمن، وأضاعتْه. وعلى الرغم من ذلك وصلنا من مؤلفاته:

١. منهاج الرسوخ إلى علم الناسخ والمنسوخ^(٦٤).
٢. دعامة اليقين في زعامة المتقين^(٦٥).
٣. الدر المنظم في مولد النبي المعظم^(٦٦).
٤. إثبات ما ليس منه بُد لمن أراد الوقوف على حقيقة الدينار والدرهم والصاع والمُد^(٦٧).
٥. برنامج أبو العباس العَزَّفي^(٦٨).

وفاته:

توفي الشيخ أحمد العَزَّفي في شهر رمضان سنة ٦٣٣ هـ، وله ست وسبعون سنة^(٦٩)، ودُفن في مقبرة زكلو إحدى مقابر مدينة سبتة^(٧٠). وهناك رأي غير دقيق في ذكر تاريخ وفاته، إذ يرى البعض أنه توفي في شهر ذي الحجة سنة ٦٠٣ هـ^(٧١). وكما قالت هذا رأي غير دقيق؛ لأنَّه خلاف ما أجمعَت عليه المصادر.

محدثاً، زاهداً، إماماً، مفتياً، متقدماً، فصيحاً لسنَّا وعلى الرواية مؤتمناً^(٧٣).

أقوال العلماء فيه: قال تلميذه الرعيني: (كان الشيخ أحمد العَزَّفي خاتمة أهل العلم بالسنة والانتصار لها، نفعه الله، بَرَزَ عَلَمًا وَعَمَلاً ودرأية ورواية، جمع خصالاً من الفضل جمة، ورحل الناس إليه، كان على طريقة شريفة من التنسن واقتفاء السلف)^(٤٤).

وقال في حقه ابن أبي الربيع: (الشيخ الفقيه العالم العامل العلم الأوحد الورع الفاضل الضابط الناقد المسند بقية المحدثين)^(٤٥). وقال ابن الآبار^(٤٦): (شيخنا). وقال التجيبي^(٤٧): (الإمام الفاضل الحسيب). وقال الذهبي^(٤٨): (الفقيه الملك). وقال الصفدي^(٤٩): (الفقيه المحدث الرئيس).

وقال ابن الخطيب: (الإمام المحدث)^(٥٠). وقال ابن ناصر الدين^(٥١): (رئيس سبعة الأمير المحدث القاضي الأديب كان). وقال ابن حجر^(٥٢): (كان زاهداً، إماماً، متقدماً، مفتياً). وقال المراكشي^(٥٣): (أبو الصبر الشهيد). وقال التبكتي: (كان فقيها عالماً عملاً ورعاً ضابطاً نافذاً مسندًا من بقية المحدثين)^(٥٤).

وقال السبتي: (الشيخ الصالح المحدث الراوي)^(٥٥). وفي موضع آخر قال: (الشيخ الإمام العالم المحدث الصالح الأنقم)^(٥٦). وقال السلامي: (كان عبداً صالحًا صابراً على شدة الفقر مُعرضاً عن الدنيا وأهلها)^(٥٧). وأورد التادلي^(٥٨) رواية تُشير إلى أن العَزَّفي كان من المتصوفين، حتى أنه مات ولم يكن عنده ثمن كفن، وتبرع له به أحد الخيرين. وقال الكتاني^(٥٩):

المبحث الثاني: مرويات أبو العباس العَزَفِي في وحدات الكيل

مقدمة:

استهل شيخنا أبو العباس أحمد بن محمد العَزَفِي تناوله لوحدات الكيل الشرعية بقوله: بأنها إثبات شاهده في الأصول والأمهات، وفي كتب الفقه والحديث الموثقة، وما نقل عن العلماء بها، والرواية من أسماء وحدات الكيل المستعملة في الأسواق الإسلامية بأسمائها وألفاظها ومقاديرها. وجعل هذه الوحدات خاتمة لكتابه: "إثبات ما ليس منه بُدٌّ لمن أراد الوقوف على حقيقة الدينار والدرهم والصاع والمُدّ".

وتُعد وحدات الكيل من المقتنيات الأساسية لدى البااعة في الأسواق الإسلامية لتکال فيها أنواعاً من مواد الطعام الضرورية لمعيشة الإنسان، فضلاً عن حاجة المسلم إليها في أداء الحقوق الشرعية، كالزكاة، وصدقه إنتاج الأرضين، وزكاة الفطر، وفدية المناسك، وغسل الجناة، وغيرها^(٧٢).

ومما يؤخذ على شيخنا الفقيه أبي العباس أحمد العَزَفِي أنه لم يتناول وحدات الكيل في كتابه الذي أشرنا إليه توًّا وفق ترتيب حروف الهجاء، وهذا هو رأيه الذي قد يكون لديه مبررات مقتعة، لجعلها بهذا الترتيب، فنحن آثرنا أن لا نزويغ عن رأيه هذا رغم قناعتنا بأفضلية ترتيبها على وفق حروف الهجاء. إذ في هذه الحال يسهل على القارئ استيعاب المادة والأخذ بها.

وحدات الكيل عند العَزَفِي:

استعرض العَزَفِي وحدات^(٧٣) الكيل وبدأ بُعد^(٧٤) النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصاعه^(٧٥)، والقسطط^(٧٦)، والكليجة^(٧٧)، والمختم^(٧٨)، والصواع^(٧٩)، والمكوك^(٨٠)، والحجاجي^(٨١)، والفرق^(٨٢)، واللوبيَّة^(٨٣)، والقفيز^(٨٤)، والعَرْق^(٨٥)، والمكتل^(٨٦)، والإرب^(٨٧)، والجريب^(٨٨)، والواسق^(٨٩)، والكر^(٩٠)، والقفل^(٩١)، والحلاب^(٩٢)، والغض^(٩٣)، والسندرة^(٩٤)، والفالج^(٩٥)، والرطل^(٩٦)، والقبي^(٩٧)، والملحم^(٩٨)، والمن^(٩٩)، والزيادي والخالدي^(١٠٠)، والهشامي^(١٠١)، والنَّصِيف^(١٠٢).

وهذه الوحدات على كثرتها يحتاج بعضها إلى تفصيل وإبارة. وهذا التنويع حالة واقعية وللموسيمة ومُتَعَارِفُ عليها. وفي ضوء ذلك يستوجب من الباحث إلقاء الضوء على هذه الوحدات لإظهارها على حقيقتها، أو ما يقارب حقيقتها.

ولكي يعطي العَزَفِي الأهمية لموضوعه هذا استعرض مضمون مفردة (الكيل) فقال: الكيل والمكيل: اسم يعم جميع ما تعار به المكيلات. والكيل أصله مصدر كال الطعام وغيره؛ أي يكيله كيلاً. فسمى بالمصدر أو وصف به^(١٠٣).

واستشهد العَزَفِي بما روى عن أبي زيد^(١٠٤): أنه قال: كال للرجل الطعام، وكاله الطعام، وورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوكُمْ أَوْ وَزَرُوكُمْ يُخْسِرُونَ﴾^(١٠٥). ويل هلاك وعذاب ودمار لأولئك الذين ينقصون المكيال والميزان؛ أي إذا أخذوا الكيل من الناس أخذوه وافياً كاملاً؛ لأنفسهم، وإذا كالوا للناس أو وزنوا لهم ينقصون

وفي رواية أخرى: "كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْتَسِلُ بِالصَّاعِ، وَيَتَوَضَّأُ بِالْمُدّ"^(١١٥). وأن الصاع أربعة أمداد^(١١٦)، والمُد يتسع لرطلين بغداديين على حد قول أبي حنيفة الذي نقله لنا هنتس^(١١٧).

واستشهد أبو العباس أحمد العزفي بما قاله أبو عبيد بشأن (المُددي) فقال: أنه عاير الأمداد والصيعان، ثم جمع بينهما فوجd المُددين تساوي ثلاثة وثمانين رطلاً. وفي ضوء ذلك تكون زنة المُددي إحدى وأربعين رطلاً ونصف رطل. وإن المُددي هو مكيال أهل بلاد الشام، في حين يكون المُد مكيال أهل العراق^(١١٨).

ونقل لنا أبو العباس أحمد العزفي رأي الخطابي^(١١٩) الذي مؤداته: أن المُد مقدر بأن يمد الرجل المععدل يديه، فيما كفيه طعاماً. ولذلك سُمي مُدّاً^(١٢٠). وقيل في قوله صلى الله عليه وسلم: "ما بلغ مُد أحدهم ولا نصفيه"^(١٢١). أي ملء يديه طعام في الصدقة وغيرها^(١٢٢).

القسط:

حدد العزفي سعة القسط بنصف صاع، ويكون بذلك قد اتفق مع الخوارزمي^(١٢٣)، وأبي عبيد^(١٢٤). ويرى العزفي أنه سُمي: نصف الصاع قسطاً كما سُمي الميزان به^(١٢٥). والقسط العدل؛ لأن العدل يتنهى بهما^(١٢٦).

ونقل لنا العزفي رأي ابن قتيبة الذي مؤداته أن القسط رطلان وثلاثة رطل، في قول جميع الناس^(١٢٧). والقسط المستعمل في أسواق العراق في العصور الإسلامية حجمان: القسط الصغير

الكيل والوزن^(١٠٦). وكال الطعام كيلاً، أي حدد كميته^(١٠٧). وأدنى وحدات الكيل التي أوردها العزفي.

المُد والمُددي:

المُد ذكر وجمعه أمداد، وقال بعضهم: مِدَاداً^(١٠٨)، وتتأول على ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "سُبْحَانَ اللَّهِ مِدَادَ كَلِمَاتِهِ"^(١٠٩). ويرى العزفي أن المُد سُمي مُداً، لأنه قدر ما تمتد به البدان من العطاء. وقيل؛ لأنه ملء كفي الإنسان إذا ملأها ومديبه بهما لعطاء أو غيره^(١١٠). والمُد ربع الصاع^(١١١). واستشهد العزفي بما قاله ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)^(١١٢): إن أهل الحجاز لا خلاف بينهم فيما اعلمه أن المُد رطل وثلث. ونقل عن مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ) أنه قال: نقل إن أهل المدينة المنورة خلفهم عن سلفهم، وروته أبناؤهم عن آبائهم إن هذا المُد هو مُد النبي صلى الله عليه وسلم، وأن لا مُد يُنسب إليه غيره، وأنه هو الذي كانوا يُخرجون به زكاة الفطر زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخرج هو صلى الله عليه وسلم به. وبهذا احتاج مالك على أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٢هـ) بحضور الخليفة هارون الرشيد واستدعى أبناء المهاجرين والأنصار، فكل أتى بمُد ادعى أنه أخذه عن أبيه أو عمه أو جاره. وعنده اقتنع أبو يوسف بصواب رأي مالك، وعدل عن موافقة أبي حنيفة بغلبة الظن إلى موافق وآراء مالك بن أنس^(١١٣).

وأورد أبو عبيد^(١١٤): حديثاً للرسول صلى الله عليه وسلم عن جابر بن عبد الله أنه صلى الله عليه وسلم "كان يَعْتَسِلُ بِالصَّاعِ وَيَتَطَهَّرُ بِالْمُدّ".

ثمانية أرطال على رأي فقهاء العراق. وكان صاع النبي صلى الله عليه وسلم ثمانية أرطال، ومدّه: رطلين. والصاع النبوى أربعة أمداد بمدّه عليه الصلاة والسلام^(١٣٦).

قال أبو عبيد^(١٣٧): الصاع عند أهل الحجاز خمسة أرطال وثلث، يعرفه عالمهم وجاههم، ويُباع به في أسواقهم، ويُحمل علمه قرن عن قرن. وهذا هو الذي عليه العمل عندي؛ لأنني مع اجتماع قول أهل الحجاز عليه.

وذكر العزّفي: لما قدم قاضي القضاة أبو يوسف حاجاً من بالمدينة المنورة، وأراد أن يتأنّك من سعة صاع الرسول صلى الله عليه وسلم. دعا نحوًا من خمسين شيخاً من أبناء المهاجرين والأنصار، ومع كل واحد منهم الصاع تحت ردامه، وكل منهم يؤكّد أن الصاع الذي يحمله بمقدار صاع النبي صلى الله عليه وسلم. فقدرها أبو يوسف فوجدها مستوية. فلما اتضح له الأمر ترك ما كان يدعوه شيخه أبو حنيفة، وانحاز إلى رأي مالك بن أنس لوضوح البينة أمامه. وهذه ليست بال مهمة السهلة أن يتخلّى التلميذ عن رأي شيخه، لكن الحقيقة يصعب حجبها عن ذوي الأ بصار النافذة، وأبو يوسف منهم^(١٣٨).

المختوم:

يرى العزّفي أن المختوم هو الصاع، وسمى بذلك؛ لأن الأماء والولاة كانوا يجعلون عليه خواتمهم لئلا يُزاد فيه أو ينقص^(١٣٩). وما يعزّز ما ذهب إليه العزّفي أن أبا عبيداً أورد حديثاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبي سعيد الخدري^(١٤٠) قال الرسول: "ليس في أقل من

يعادل ثلاثة أرطال من السوائل، والقسط الكبير ضعف الصغير تماماً"^(١٤١).

الكيلجة:

حدد أبو العباس أحمد العزّفي سعة الكيلجة بنصف صاع، ومدّ النبي صلى الله عليه وسلم ربع الصاع، والصاع مقدار كيلجة بغدادية، يزيد الصاع عليها شيئاً يسيرًا^(١٤٢). قال الخوارزمي^(١٤٣): الكيلجة وزن ستمائة درهم ببغداد. وبواسط والبصرة مائة وعشرين قفزاً. وورد ذكر الكيلجة كوحدة كيل في العصر الأموي سعتها خمسة أرطال^(١٤٤).

الصاع:

الصاع هو الوحدة الأساسية للكيل، والصاع الشرعي يساوي أربعة أمداد عند أهل المدينة المنورة، أو يساوي ثمانية أرطال بغدادية^(١٤٥).

والصاع يُذكر ويُؤنث. فمن ذكره قال: أصوات، مثل: أثواب. ومن أنثه قال: أصوع، مثل: أدور^(١٤٦). وللصوات يقال: صيعان. مثل: غراب وغربان. ويجمع الصوات: صيعاناً. ويرى الفقيه أبو العباس أحمد العزّفي أن العرب تقول: صُعْت الشيء، مزقته، وربما يكون اسم الصاع مشتقاً من هذا الرأي؛ لأن الكيل بطبيعته تفريق للمكيل^(١٤٧).

ومما يعزّز ما ذهب إليه العزّفي ويؤكده أن تسمية بعض المكاييل فرقاً. قال الخوارزمي: الصاع أربعة أمداد عند أهل المدينة، وثمانية أرطال عند أهل الكوفة^(١٤٨). والصاع خمسة أرطال وثلاثة أرطال على رأي فقهاء الحجاز، وهو

الثقفي حين كان واليًا على العراق (٧٥ - ٩٥ هـ)
قياساً على صاع الخليفة عمر ابن الخطاب
رضي الله عنه (١٣ - ٢٢٣ هـ^(١٥٠)). وهو الصاع
على رأي أهل العراق إذ زنته ثمانية أرطال أو
أرجح قليلاً. وهو على رأي أهل الحجاز نحو
صاع وثلاثة أخماس صاع، ونُسب إلى الحاج
ابن يوسف الثقفي.

ويبدو أنه زاد به قليلاً استرضاءً للناس، ونقل
لنا العَزَفِي قول الخطابي الذي مؤداته أن والي
العراق الحاج بن يوسف الثقفي سعر به على
أهل العراق، وكانت الولاة يتحمدون بالزيادة في
الصيعان، ويرمون من وراء ذلك التوسيعة على
الناس، ونيل رضاهم. ولذلك عاب بعض الناس
على أحد الولاة الذين أعقبوا ولاية الحاج وقالوا
عنهم: (ينقص في الصاع ولا يزيد)^(١٥١).

وأورد العَزَفِي رأي عمرو بن بحر
الجاحظ^(١٥٢) الذي مؤداته: "أن النساء كانت
تتحبب إلى الرعية بالزيادة في المكاييل، ولو
زادوا في الأوزان ما قصروا، ولذلك اختلفت
أسماء المكاييل كالزيادي^(١٥٣)، والفالج^(١٥٤)،
والخالدي^(١٥٥)، وغيرها^(١٥٦). فطبق التسuirer
والكيل في أسواق العراق بمكيال (الحجاجي)
وقدرت به الكفارات، وأخرجت به مقادير الزكاة.
ولما ولّي خالد بن عبد الله القسري أضعف
الصاع ستة عشر رطلاً^(١٥٧).

الفَرْقُ:

استشهد أبو العباس أحمد العَزَفِي برأي اللغوي
ابن دريد^(١٥٨) الذي قال: الفرق مكيال يتسع ستة
أقساط، وهو مكيال من خشب كان الفقيه محمد

خمسة أوسق صدقة "^(١٤١)" وأضاف أبو عبيد:
والوسق ستون مختوماً، والمختوم هنا هو الصاع
بعينه، وإنما سُمي مختوماً لأن النساء جعلت
في أعلىه خاتماً مطبوعاً لا يزداد فيه، ولا تنقص
 منه^(١٤٢).

قال هنتس^(١٤٣): كان المختوم الحجاجي يساوي
صاعاً واحداً على غرار ما كان عليه الصاع في
خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

المَكْوَكُ:

لفظ المكوك مأخوذة من تملك الفصيل لبن
أمه، استنفذه. والكيل يستنفذ المكيل. وتجمع
لفظة مكوك: مكاكيك ومكاكي. ويرى العَزَفِي
أن المكوك وحدة كيل تتسع صاعاً ونصف
صاع^(١٤٤). ويرى أبو عبيد أن كفارة اليمين كانت
تؤدي بمكوك واحد (من البر أي الحنطة) توزع
بين عشرة مساكين؛ لأنها عشرة أمداد، فيكون
لكل مسكن مُد^(١٤٥).

ويرى الخطابي الذي نقل قوله العَزَفِي: أن
سعة المكوك نصف رطل إلى ثمانية أواق^(١٤٦).
في حين قدر الخوارزمي سعة المكوك: خمسة
عشر رطلاً^(١٤٧). ويرى الماوردي (ت ٤٥٠ هـ)
أن سعة المكوك تتسع لثلاث كيلجات؛ أي حوالي
٤ كيلو غرام^(١٤٨)، والمكوك نصف الوبيبة^(١٤٩)
التي سيأتي تناولها فيما بعد.

الحجاجي:

أورد شيخنا أحمد العَزَفِي رأي أبي عبيد
القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) في مكيال الحجاجي،
فقال: هو بحجم القفيف اتخذ الحاج ابن يوسف

وورد ذكر القفizer عند أبي عبيد القاسم بن سلام بأنه وحدة كيل، وفي العراق عُرف بـ (قفizer الحجاجي) الذي اتخذه الحاجاج بن يوسف الثقفي، على وفق صاع الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وكان أبو عبيد قد سمع من يقول بأن قفizer الحاجاج يتسع لثمانية أرطال^(١٦٨). وقال أبو عبيد^(١٦٩): كان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "قد عدل أربعين درهماً بأربعة دنانير؛ لأن أصل الدينار كان يصرف في بداية خلافة عمر بعشرة دراهم^(١٧٠)، ووجد أبو عبيد عدل مدینین من طعام بخمسة عشر صاعاً فجعلها موازية لهما، فعاير الأمداد والصيعان وجمع بينهما، ثم اعتبرهما بالوزن فوجد المدينين نيفاً وثمانين رطلاً، ووجد خمسة عشر صاعاً ثمانين رطلاً. وهذا على قول أهل المدينة^(١٧١). وفسر أبو عبيد هذه الزيادة بأنها يسيرة، وأن الوزنين متقاربين، وإنما زاد ذلك التيف على الثمانين - حسب ظن أبي عبيد - بقدر ما يكون بين الطعامين من الرزانة والخفة^(١٧٢)؛ أي اختلاف الوزن النوعي لكليهما.

وذكر هنتس: أن في العراق كان قفيزان: أحدهما يقال به في أسواق بغداد والكوفة يتسع لثمانية مكاكيك، والأخر في البصرة وواسط يتسع لأربعة مكاكيك. وهو بهذا يكون بقدر نصف قفizer بغداد والكوفة^(١٧٣). وذكر الشرباصي أن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسع حجم القفizer الذي تکال به أرزاق الجن^(١٧٤).

الغرْقُ:

قال أحمد العَزَّافِيُّ أنَّ العَرْقَ وحدة كيل

ابن شهاب الزهرى (ت ١٢٤ هـ) يقول: يتسع الفرق خمسة أقسام من أقسام بني أمية^(١٥٩). والخمسة أقسام اثنتا عشر مُدًا بمُد النبي صلى الله عليه وسلم^(١٦٠). بينما ورد الفرق عند أبي عبيد: هو إماء سعته ستة أقسام، أو ثلاثة آصوع، لا اختلاف بين الناس أعلم في هذا المكيال^(١٦١).

الوبيَّة:

ذكر العَزَّافِيُّ أنَّ الوبيَّة وحدة كيل تتسع لاثنين وعشرين مُدًا بمُد النبي صلى الله عليه وسلم، وفي روایة إنها تتسع لأربعة وعشرين مُدًا^(١٦٢). وهي مكيال مصرى يستعمل في الأعم الأغلب في كيل الحبوب، يسع أكثر بقليل من ١٢ كيلو غرام^(١٦٣)، أو أربعة وعشرين مُدًا بمُد النبي صلى الله عليه وسلم، أو ثلث كيلجات^(١٦٤).

الهشامي:

انفرد أبو العباس أحمد العَزَّافِيُّ بذكر (الهشامي) كوحدة كيل، وإن مقدارها أربعة آصع على رأي أهل العراق. وزن الهشامي اثنان وثلاثون رطلاً على حد قول العَزَّافِي^(١٦٥).

القفَّيز:

في الوقت الذي رفينا العَزَّافِيُّ بشذرات مقتضبة عن الهشامي، أسهب كثيراً عندما تناول (القفizer). واستقى جل معلوماته من الخطابي الذي سبق أن عرفناه ومن أبي عبيد. فقال العَزَّافِيُّ: القفizer وحدة كيل تتسع لثمانية مكاكيك^(١٦٦). كل مكواكب ثلاثة كيلجات، وكل كيلجة تزن حوالي ٤٥ كيلو غرام^(١٦٧).

ضوء ذلك يمكن أن يستوعب الإردن ٦٦٩
كيلو غرام من القمح^(١٨٤).

الجَرِيبُ:

مفردة (الجَرِيب) قد تأتي وحدة كيل، وقد تأتي وحدة قياس المساحة. والذي يعني هنا هي وحدة الكيل. قال العَزَفِي: الجَرِيبُ مكيال يأخذ أربعة أقْفَزَة. وهو اسم لمقدار مساحة من الأرض معلومة عند أهل المساحة^(١٨٥). قدره هنـتس ألف وخمسمائة واثنتين وتسعين متراً مربعاً^(١٨٦).

في حين ذكر الشرباصي أن الجَرِيب وحدة كيل تساوي أربعة أقْفَزَة. وهذه المفردة قد تأتي ضمن وحدات قياس مساحة الأراضي الزراعية وتساوي ثلاثة الآف وستمائة ذراع^(١٨٧).

وورد الجَرِيب عند أبي عبيد مكيال قدره أربعة أقْفَزَة، والقفizer ثمانية مكاكيك، والمكواك مكيال يسع صاعاً ونصف صاع، أو نحو ذلك^(١٨٨). وقال هنـتس: الجَرِيب كوحدة كيل في خلافة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه (١٣ - ٢٣ هـ) تحدد عياره كمكيال يتسع ٧,٢٢ كيلو غرام في صدر الإسلام^(١٨٩).

الوَسِقُ:

قال أبو العباس العَزَفِي: الوَسِقُ ستون صاعاً بصاع النبي صلى الله عليه وسلم. وقيل له (وَسِقُ): لأنـه حمل بعير^(١٩٠). تقول العرب أوسقت البعير اذا أوقرتـه. والوَسِقُ: العدل. قيل هو مشتق من قولـهم: وـسـقت الشـيء وـسـقاً، ضـمـمت بعضـه إلى بعض^(١٩١).

وقالـوا في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِيلُ وَمَا وَسَقَ﴾^(١٧)

تـسعـ خـمسـةـ عـشـرـ صـاعـاًـ. وـاستـشـهـدـ بـرواـيـةـ عنـ سـعـيدـ بنـ المـسـبـبـ^(١٧٥) مـؤـداـهاـ أـنـ مـالـكـ بنـ أـنـسـ (ـتـ ١٧٩ـ هـ)ـ قـالـ فـيـ الـموـطـأـ: الـعـرـقـ بـفتحـ الرـاءـ وـسـكـونـهـاـ، وـالـأـشـهـرـ بـالفـتحـ، جـمـعـ عـرـقـةـ. وـهـيـ الـظـفـيرـةـ التـيـ تـخـاطـقـ الـفـقـهـ مـنـهـاـ. وـسـمـيـ بـذـلـكـ؛ لـأـنـهـ يـعـمـلـ عـرـقـةـ^(١٧٦)ـ، ثـمـ يـضـمـ بـعـضـهـاـ إـلـىـ بـعـضـ^(١٧٧)ـ.

المِكْتَلُ:

يرى العَزَفِي أن (المِكْتَل) هو وحدة تشبه الفقة أو الزنبيل. وهو نحو العَرْقَ في مقداره^(١٧٨). قال الشرباصي: المِكْتَل: الزنبيل الكبير، قيل: أنه يسع خمسة عشر صاعاً. وقد يطلق على المِكْتَل الفقة^(١٧٩).

الإِرْدَبُ:

يصف أبو العباس أحمد العَزَفِي الإرـدـبـ بأنه مـكـيـالـ ضـخـمـ يـسـتـعـمـلـ فـيـ مـصـرـ عـلـىـ نـطـاقـ وـاسـعـ، وـمـنـذـ عـهـدـ بـعـيدـ يـتـسـعـ لـسـتـ وـبـيـاتـ، وـقـيلـ الإـرـدـبـ: يـأـخـذـ أـرـبـعـةـ وـعـشـرـينـ صـاعـاـ، وـهـوـ سـتـوـنـ مـنـاـ^(١٨٠).

واللافت للنظر أن شيخنا أبا العباس العَزَفِي لم يعزـزـ رـأـيـهـ بـأـرـدـبـ مـصـرـ بـحـدـيـثـ رسولـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ الـذـيـ أورـدهـ أـبـوـ عـبـيدـ عـنـ أـبـيـ هـرـيـرـةـ أـنـهـ قـالـ: "مَنَعَتِ الْعِرَاقُ دِرْهَمَهَا وَقَفَيْزَهَا وَمَنَعَتِ الشَّامُ مُدْبِيَهَا وَدِينَارَهَا وَمَنَعَتِ مِصْرُ إِرْدَبَهَا وَدِينَارَهَا وَعُدُنْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ وَعُدُنْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ وَعُدُنْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ، شَهَدَ عَلَىَ ذَلِكَ لَحْمُ أَبِي هُرَيْرَةَ وَدَمُهُ"^(١٨١).

وـاستـشـهـدـ هـنـتسـ^(١٨٢) بـقـولـ الـفـقـشـنـيـ^(١٨٣) الـذـيـ قـالـ: إـنـ الإـرـدـبـ الـوـاحـدـ يـسـاوـيـ سـتـ وـبـيـاتـ، وـفـيـ

فَقِيزِينَ^(٢٠٢). وَنَقْلُ لَنَا الشَّرِبَاصِيُّ قَوْلُ الْأَزْهَرِيِّ
الَّذِي مُؤْدَاهُ أَنَّ الْكَرَ سَتُونَ قَفِيزًا، وَالْفَقِيزُ ثَمَانِيَّةَ
مَكَاكِيكَ، وَالْمَكَوكُ صَاعٌ وَنَصْفٌ^(٢٠٣).

الـقـنـقـلـ:

قَالَ الْعَزَفِيُّ: الـقـنـقـلـ مـكـيـالـ عـظـيمـ، جـاءـ ذـكـرـهـ
فـيـ سـيـرـةـ مـحـمـدـ بـنـ إـسـحـاقـ (تـ ١٥١ـ هـ)، وـجـاءـ
ذـكـرـ الـقـنـقـلـ فـيـ كـتـابـ الـغـرـبـيـيـنـ^(٢٠٤). وـالـقـنـقـلـ عـنـ
شـيـخـنـاـ أـحـمـدـ الـعـزـفـيـ ثـلـاثـوـنـ مـنـاـ^(٢٠٥). وـالـجـمـعـ
أـمـنـانـ، وـهـوـ رـطـلـانـ عـنـ الشـرـبـاـصـيـ^(٢٠٦). وـبـيـدـوـ
أـنـ هـنـاكـ تـدـاـخـلـ بـيـنـ الـقـنـقـلـ كـوـحـدـةـ كـيـلـ وـبـيـنـ
الـقـبـاعـ الـذـيـ هـوـ مـكـيـالـ ذـيـ قـعـرـ وـلـمـ يـقـفـ الـعـزـفـيـ
عـلـىـ مـقـادـارـهـ^(٢٠٧). وـلـمـ يـرـدـ فـيـ الـمـصـادـرـ الـأـخـرـىـ
الـمـمـاثـلـةـ.

الـجـلـابـ:

وـيـرـدـ عـنـ الـعـزـفـيـ (الـجـلـابـ)، وـهـوـ إـنـاءـ يـسـعـ
حـلـبـةـ نـاقـةـ، وـيـدـعـيـ أـنـهـ وـرـدـ ذـكـرـهـ عـنـ الـبـخـارـيـ^(٢٠٨)
الـذـيـ قـالـ أـنـ رـسـوـلـ الـلـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ كـانـ
إـذـ اـغـتـسـلـ دـعـاـ بـشـيءـ مـنـ نـحـوـ الـجـلـابـ الـذـيـ هـوـ
ضـرـبـ مـنـ الـطـيـبـ، كـطـيـبـ حـبـةـ الـمـلـبـ^(٢٠٩).

وـتـرـدـ أـيـضـاـ مـفـرـدـةـ (الـجـلـابـ)، وـتـعـنـيـ مـاءـ
الـورـدـ، وـشـكـكـ الـعـزـفـيـ بـهـمـاـ وـلـمـ يـرـجـحـ أحـدـهـمـاـ.
إـلـاـ أـنـ أـبـاـ عـبـيـدـ الـهـرـوـيـ يـرـىـ إـنـ الـجـلـابـ ضـرـبـ
مـنـ الـطـيـبـ مـسـتـنـدـاـ إـلـىـ قـوـلـ مـنـ قـالـ أـنـ رـسـوـلـ الـلـهـ
صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ كـانـ إـذـ اـغـتـسـلـ دـعـاـ بـشـيءـ
مـنـ الـجـلـابـ وـتـطـيـبـ بـهـ^(٢١٠).

الـغـسـ:

وـهـذـهـ مـفـرـدـةـ أـخـرىـ يـنـفـرـدـ الـعـزـفـيـ بـتـنـاـولـهـاـ
فـيـقـوـلـ: إـنـاءـ وـمـكـيـالـ يـسـعـ ثـمـانـيـةـ أـرـطـالـ، مـسـتـنـدـاـ

فـيـقـيزـينـ^(١٩٢)، ضـمـ وـجـمـعـ؛ أـيـ وـبـالـلـيلـ وـمـاـ جـمـ وـضـمـ
إـلـيـهـ، وـمـاـ لـفـ فـيـ ظـلـمـتـهـ مـنـ النـاسـ وـالـدـوـابـ
وـالـهـوـامـ. وـهـذـاـ يـشـيرـ إـلـىـ أـنـ الـلـيـلـ يـسـكـنـ فـيـ كـلـ
الـخـلـقـ^(١٩٣). قـالـ اـبـنـ دـرـيـدـ^(١٩٤): وـسـقـتـ الـبـعـيرـ
مـخـفـفـاـ، حـمـلـتـ عـلـيـهـ وـسـقاـ.

وـالـوـسـقـ أـحـدـ وـحدـاتـ الـكـيـلـ، مـقـدـارـهـ سـتـونـ
صـاعـاـ بـصـاعـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ^(١٩٥)
وـبـهـ تـدـفـعـ فـرـيـضـةـ الـزـكـاـةـ فـيـ الـإـنـتـاجـ الـزـرـاعـيـ،
قـالـ الرـسـوـلـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ: " لـيـسـ فـيـماـ
دـوـنـ خـمـسـةـ أـوـسـقـ مـنـ الـحـنـطـةـ وـالـشـعـيرـ وـالـتـمـرـ
وـالـزـيـبـ صـدـقـةـ تـؤـخـدـ"^(١٩٦). وـقـدـ وـرـدـ هـذـاـ الـحـدـيـثـ
فـيـ كـتـبـ الـحـدـيـثـ وـالـسـنـنـ وـالـأـمـوـالـ، وـمـنـهـ كـتـابـ
الـأـمـوـالـ لـأـبـيـ عـبـيـدـ (تـ ٢٤ـ هـ) الـذـيـ قـالـ: " لـيـسـ
فـيـ أـقـلـ مـنـ خـمـسـةـ أـوـسـقـ صـدـقـةـ، وـالـوـسـقـ سـتـينـ
مـخـتـوـمـاـ"^(١٩٧). قـالـ هـنـتـسـ: فـيـ صـدـرـ الـإـسـلـامـ
الـوـسـقـ حـمـلـ بـعـيرـ، وـيـسـاـوـيـ سـتـينـ صـاعـاـ؛ أـيـ
حـوـالـيـ ٣،١٩٤ـ كـيـلـوـ غـرـامـ مـنـ الـقـمـحـ^(١٩٨).

الـكـرـ:

الـكـرـ مـكـيـالـ عـرـاـقـيـ قـدـيمـ يـسـعـ اـثـنـاـ عـشـرـ وـسـقاـ.
وـفـيـ حـدـيـثـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ مـسـعـودـ أـنـ كـانـتـ لـهـ
حـبـلـةـ تـحـمـلـ كـرـاـ، وـكـانـ يـسـمـيـهاـ أـمـ الـعـيـالـ. وـالـكـرـ
سـتـةـ أـوـقـارـ حـمـارـ؛ أـيـ حـمـارـ، وـهـوـ عـنـ
أـهـلـ الـعـرـاقـ سـتـونـ قـفـيزـ^(١٩٩). وـبـالـمـصـرـيـ أـرـبعـينـ
إـرـبـلـاـ^(٢٠٠).

قـالـ الـخـوارـزـميـ: " الـكـرـ بـالـعـرـاقـ (أـيـ فـيـ بـغـدـادـ
وـالـكـوـفـةـ) سـتـونـ قـفـيزـاـ، كـلـ قـفـيزـ ثـمـانـيـةـ مـكـاكـيكـ،
وـكـلـ مـكـوكـ ثـلـاثـ كـيـالـجـ^(٢٠١)". وـقـالـ هـنـتـسـ:
الـكـرـ مـكـيـالـ بـاـبـلـيـ كـانـ يـسـاـوـيـ فـيـ الـعـرـاقـ ثـلـاثـيـنـ
كـارـةـ. وـالـكـارـةـ يـتـعـالـمـ بـهـ أـهـلـ الـعـرـاقـ تـسـاوـيـ

الرطل:

وحتى الرطل لم يقف العَزَفِي على مقداره^(٢١٨). وما فطن أن الرطل يرد في وحدات الوزن وفي وحدات الكيل. وإذا جاء في الكيل يتسع الرطل البغدادي إلى مائة وثلاثين درهماً، بدراهم الإسلام، وإذا جاء مع وحدات الوزن فالرطل يزن مائة وثمانية وعشرين درهماً^(٢١٩)، أو اثنى عشر أوقية؛ أي ٥,١ كيلو غرام^(٢٢٠).

المُلْحَم:

المُلْحَم هو الآخر لم يقف العَزَفِي على مقداره. ومحتمل أن يكون اشتقاء التحمل الجرح إذا الترق. فبعض المكابيل الواح من خشب ملتقة^(٢٢١). قال أبو عبيد: المُلْحَم صاعان ونصف، أو عشرة أمداد إذا مسحت أعلاه^(٢٢٢).

المن:

المن وحدة كيل، هو الآخر لم يقف العَزَفِي على مقداره^(٢٢٣). والمن عادة يأتي مع وحدات الوزن ويُساوي شرعاً رطلين^(٢٢٤). قال الشرباصي: كيل أو وزن، والجمع أمنان، والمن رطلان^(٢٢٥).

الزيادي والخالدي:

الزيادي والخالدي ذكرهما عمرو بن بحر الجاحظ عند ذكره زيادة الأمراء في المكابيل للتحمد والثناء. فالزيادي يُنسب إلى زياد بن أبيه، والخالدي إلى خالد بن عبد الله القسري^(٢٢٦)، وكلاهما من ولادة العراق في العصر الأموي.

ومما يعنينا في هذا المقام أن أبا العباس العَزَفِي لم يقف على مقداريهما^(٢٢٧). ويبدو أنه معدور في هذه المسألة؛ لأن هذين المكابيلين استحدثا من قبل

إلى روایة عن مجاهد مؤداها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يغسل بهذا الإناء الذي تراوحت سعته بين ثمانية أرطالم وعشرة أرطالم^(٢١١).

النَّصِيف:

والغربي في أمر شيخنا أحمد العَزَفِي أنه أحياناً يأتي بوحدة كيل من غير أن يعرف سعتها. وهذا ما ذكره حول (النَّصِيف) فقال: مكيال لا أقف على مقداره. وجاء بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: " ما بلغ مُد أحدهم ولا نصيفه " ^(٢١٢). فقال: فالضمير على القول الأول يعود إلى أحدهم، وعلى القول الثاني على المُد ^(٢١٣). وهو المرجح عندنا.

السَّنْدَرَة:

مرة أخرى ترد عند العَزَفِي وحدة كيل يجهل سعتها هي (السَّنْدَرَة) التي قال عنها مكيال واسع لا أقف على مقداره. ثم جاء برواية عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قال فيها: " أكيلهم بالصاع كيل السندرة " ^(٢١٤).

فالسندرة: مكيال واسع يحتمل أن يكون قد تم صنعه من خشب شجرة السندرة التي يعمل من أغصانها أيضاً النيل والقسي^(٢١٥).

الفَالِجُ:

وكذا حال شيخنا العَزَفِي حين تناول (الفَالِجُ). قال: مكيال ضخم، ولم أقف على مقداره^(٢١٦). وشاركه في رأيه هذا الشرباصي الذي قال: أن من المحتمل أن يكون الفالج هو القفيز^(٢١٧).

٣. من هذا المنطلق جاءت أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في توضيح أهمية الموازين والمكاييل، وذلك لكي يعرف المسلم المقايير الشرعية وتحديد مقاديرها، لأداء عبادته بشكل صحيح.

٤. لذا وجدنا العَزَفِي أولى هذا الموضوع أهمية من خلال تأليف هذا الكتاب.

٥. حرص العَزَفِي على تحرير أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حول المكاييل.

٦. بين أهمية المكاييل من خلال تعلق الحقوق الشرعية بها.

٧. وذكر العَزَفِي إلى المكاييل الشرعية، والآراء في مقاديرها، ووازن بينها.

٨. حرص العَزَفِي على استقصاء جميع المكاييل وإن كان لا يعرف معلومات كافية عن بعضها.

الحواشي

(١) معركة وقعت بين الموحدين والممالك النصرانية في إسبانيا جنوب الشارات. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٤٦.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج ٣، ص ٣٧٩.

(٣) أحمد الرنداхи. ويدرك باسم جحفون الرنداхи، تولى مهمة قيادة الأسطول منذ عهد عمر المرتضى الموحدى، واستمرت هذه الخطة بيد أسرة الرنداхи إلى نحو سنة ١٣٢٠هـ/٤٦٠م. ينظر: المنوني، ورقات عن الحضارة المغربية، ص ٧٩.

(٤) هو أبو القاسم محمد بن القاضي المحدث أبي العباس أحمد بن محمد بن الفقيه العَزَفِي اللخمي، ينتهي نسبهم إلى قابوس بن النعمان بن المنذر. ينظر:

هذين الأمرين، وأن استعمالاتهما في الأسواق ومعاملات البيع والشراء كانت محدودة مكاناً وزماناً.

القبُ

وأخيراً أورد شيخنا العَزَفِي مكيالاً سماه (القبُ) بفتح القاف. وقال: تکال به الغلات، ولم يقف العَزَفِي على مقداره، ثم أورد مكيالاً آخر سماه (الفَبِي) بفتح القاف ونسبة إلى أيوب بن يحيى بن أيوب الحراني، وهو رجل تقى من الأمراء بالمعروف (ت ٢٨٢هـ). وذكر المكيال الأمير أبو نصر بن ماكولا في كتابه الإكمال^(٢٢٨). وخلاصة القول نستشهد بما قاله أبو العباس أحمد العَزَفِي: هذا إثبات ما وقع بين يديه وألفه في الأصول والدواوين، وما انتهى إليه عن العلماء والفقهاء العظام، والراوين من أسماء وحدات الكيل الشرعية وأجزائها المستعملة في أسواق الدولة الإسلامية في عمليات البيع والشراء والمتقدمة مع مقاصد الشريعة. وحسبنا أن يكون مِسَك هذه الخاتمة من البيان وحْبَك بردة تمامها بالإحسان.

الخاتمة

في نهاية بحثنا هذا توصلنا إلى مجموعة من النتائج:

١. حَثَ الشَّارِعُ الْحَكِيمُ عَلَى إِيَاعِ الْمِيزَانِ الْمَكِيلِ.

٢. أورد القرآن الكريم آيات تحت على الاهتمام بالموازين والمكاييل، فدعى الناس إلى حُسن التعامل بها، والنهي عن الغش فيها.

- (١٨) تنظر ترجمته في: ابن نقطة، إكمال الكمال، ج ٤، ص ٢٩٦. الرعيني، برنامج الرعيني، ص ٤٢. ابن الشاط، برنامج ابن أبي الربيع، ص ٦٢. التجبي، برنامج التجبي، ص ٧٦. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ٤، ص ١٤٢٢. وتاريخ الإسلام، ج ٤٦، ص ١٤١. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٧، ص ٢٢٨. ابن الخطيب، الإحاطة، ج ١، ص ٢٨٦. ابن حجر، تبصير المنتبه، ج ٣، ص ١٠٠٥. ابن ناصر الدين، توضيح المشتبه، ج ٦، ص ٢٣١. المقرى، أزهار الرياض، ج ١، ص ٣٧٤. ابن القاضي، درة الرجال، ج ١، ص ١١. التبتكي، كفاية المحتاج، ج ١، ص ٧٦. الزركلي، الأعلام، ج ١، ص ٢١٨. نوهيض، معجم المفسرين، ج ١، ص ٦٦.
- (١٩) التبتكي، كفاية المحتاج، ج ١، ص ٧٦.
- (٢٠) علي بن محمد بن علي أبو الحسن الرعيني، ولد سنة ٥٩٢هـ، فقيه أديب أندلسي، توفي سنة ٦٦٦هـ. ينظر: السيوطي، بغية الوعاء، ص ٣٤٩.
- (٢١) سبطة: مدينة مشهورة من مدن المغرب العربي. ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٧.
- (٢٢) الرعيني، برنامج الرعيني، ص ٤٢. ينظر: التبتكي، كفاية المحتاج، ج ١، ص ٧٦.
- (٢٣) الرعيني، برنامج الرعيني، ص ٤٢.
- (٢٤) برنامج ابن أبي الربيع، جمعه ابن الشاط، ص ٦٢.
- (٢٥) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ٤، ص ١٤٢٢. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٧، ص ٢٢٨.
- (٢٦) المقرى، أزهار الرياض، ج ١، ص ٣٧٤.
- (٢٧) المقرى، أزهار الرياض، ج ١، ص ٣٧٤.
- (٢٨) الإسلامي، الأعلام بمن حل مراكش، ج ٢، ص ١١١.
- (٢٩) ابن نقطة، إكمال الكمال، ج ٤، ص ٢٩٦. ابن حجر، تبصير المنتبه، ج ٣، ص ١٠٠٥.
- (٣٠) ابن الخطيب، الإحاطة، ج ٣، ص ٣. ينظر: المقرى، أزهار الرياض، ج ٢، ص ٣٧٦.
- (٣١) المقرى، نفح الطيب، ج ٥، ص ٤٦٩.
- (٣٢) ينظر: المقرى، نفح الطيب، ج ٢، ص ٣٧٥.
- المقرى، أزهار الرياض، ج ٢، ص ٢٧٤.
- (٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ج ٣، ص ٤٠١ - ٤٠٠.
- (٦) السبتي، اختصار الأخبار، ص ٣٠.
- (٧) ابن عذاري، البيان المغرب، ج ٣، ص ٤١٥.
- (٨) ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ١٨٦. الناصري، الاستقصا، ج ٣، ص ٣٤.
- (٩) الناصري، الاستقصا، ج ٣، ص ٣٤.
- (١٠) أزهار الرياض، ج ٢، ص ٣٧٤. وردت نسبة عزفة فيها تصحيف في بعض المصادر التي ترجمت له، إلى عرفة. على سبيل المثال ينظر: التبتكي، نيل الابتهاج، ص ٦٣.
- (١١) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ٤، ص ١٤٢٢. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٧، ص ٢٢٨. ابن ناصر الدين، توضيح المشتبه، ج ٦، ص ٢٣١.
- (١٢) عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبي زيد القيروانى أبو محمد، فقيه ومفسر مالكى، ولد في القيروان سنة ٣١٠هـ، توفي في شعبان سنة ٣٨٦هـ. ينظر: حالة، معجم المؤلفين، ج ٦، ص ٧٣.
- (١٣) عزفة: بفتح العين والزاي وبعدها فاء. ينظر: ابن ناصر الدين، توضيح المشتبه، ج ٦، ص ٢٣١. السيوطي، لب اللباب، ص ١٧٩. قال التبتكي: ابن أبي عرفة، نيل الابتهاج، ص ٧٧. ووافقه نوهيض، معجم المفسرين، ج ١، ص ٦٦.
- (١٤) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ٤، ص ١٤٢٢. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٧، ص ٢٢٨.
- (١٥) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٧، ص ٢٢٨.
- (١٦) الزركلي، الأعلام، ج ١، ص ٢١٨.
- (١٧) ابن نقطة، إكمال الكمال، ج ٤، ص ٢٩٦. ابن ناصر الدين، توضيح المشتبه، ج ٦، ص ٢٣٢.
- وقال الذهبي والصفدي: صاحب سبطة، تذكرة الحفاظ، ج ٤، ص ١٤٢٢. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٧، ص ٢٢٨. وحقيقة الأمر أن ابناءه هم من تولوا الحكم في سبطة بعد وفاته.

- (٥٧) السلامي، الإعلام بمن حل مراكش، ج ٢، ص ١١١.
- (٥٨) التشوف إلى رجال التصوف، ص ٣٨٣.
- (٥٩) فهرس الفهارس، ج ٢، ص ٨٢٦.
- (٦٠) البحر المديد، ج ٧، ص ١٦٦.
- (٦١) السيوطى، قوت المغتنى، ج ١، ص ١٦٨.
- الزرقانى، شرح الموطأ، ج ٤، ص ٦٩٠.
- (٦٢) الخزاعي، تخریج الدلالات، ص ٥٩٧. المقرizi، إمتناع الأسماء، ج ١، ص ٣٩١.
- (٦٣) المكناسي، شفاء الغليل، ج ٧، ص ٢٩٦.
- (٦٤) الزركلي، الأعلام، ج ١، ص ٢١٨.
- (٦٥) الكتاب مطبوع حقه الأستاذ أحمد توفيق، وطبع في الرباط سنة ١٩٨٩م. وهو في مناقب الشيخ أبي يعزى.
- (٦٦) المقرizi، إمتناع الأسماء، ج ١٠، ص ٣٢٣. ابن حجر، المجمع المؤسس، ص ٣٩٨. السبتي، اختصار الأخبار، ص ٢٠. الروداني، صلة الخلف، ص ٢٣٥. البغدادي، ايضاح المكتون، ج ٣، ص ٤٥١. الكتاني، فهرس الفهارس، ج ١، ص ١٥٦. الزركلي، الأعلام، ج ٥، ص ٣٢٣.
- كحالة، معجم المؤلفين، ج ٥، ص ٦١.
- (٦٧) الكتاب تحقيق محمد الشريف وطبع في أبو ظبي سنة ١٩٩٠م.
- (٦٨) حقه الدكتور عبد العزيز الأهوانى ونشر في المجلد الأول من مجلة معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة، ص ٢٥٢ _ ٢٧٠.
- (٦٩) ابن نقطة، إكمال الكمال، ج ٤، ص ٢٩٦. الرعينى، برنامج، ص ٤٢. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ٤، ص ١٤٢٢.
- ابن ناصر الدين، توضيح المشتبه، ج ٦، ص ٣٢٢.
- ابن حجر، تبصیر المنتبه، ج ٣، ص ١٠٠٥.
- التبكى، كفاية المحتاج، ج ١، ص ٧٦.
- (٧٠) السبتي، اختصار الأخبار، ص ٢٠.
- (٧١) السلامي، الإعلام بمن حل مراكش، ج ٢، ص ١١١.
- التادلى، التشوف، ص ٣٨٣.
- (٧٢) أبو عبيد، الأموال، ص ٥٢٠.
- (٧٣) العزفى، إثبات، ص ١٢٥.
- (٣٣) المقرى، أزهار الرياض، ج ١، ص ٣٧٥.
- (٣٤) عن مدينة زفاق. ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٧٨.
- (٣٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ج ٣، ص ٤٠٠.
- ابن الخطيب، الإحاطة، ج ٣، ص ١١. السبتي، اختصار الأخبار، ص ٣٠.
- (٣٦) ابن الخطيب، الإحاطة، ج ٣، ص ٣. ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ١٨٦.
- (٣٧) الناصري، الاستقصا، ج ٣، ص ١١٥.
- (٣٨) ابن الخطيب، الإحاطة، ج ٣، ص ٣.
- (٣٩) التبكى، نيل الابتهاج، ص ٧٧. الزركلي، الأعلام، ج ١، ص ٢١٨.
- (٤٠) الرعينى، برنامج الرعينى، ص ٤٢ وما بعدها.
- (٤١) ابن حجر، تبصیر المنتبه، ج ٣، ص ١٠٠٥.
- (٤٢) العراقي، المستخرج على المستدرک، ص ١٣.
- الزركلي، الأعلام ج ١، ص ٢١٨. نويهض، معجم المفسرين، ج ١، ص ٦٦.
- (٤٣) الرعينى، برنامج، ص ٤٢.
- (٤٤) الرعينى، برنامج، ص ٤٢.
- (٤٥) ابن الشاطى، برنامج ابن أبي الربيع، ص ٦٢.
- (٤٦) التكلمة، ج ٢، ص ٥٢.
- (٤٧) برنامج التجىبي، ص ٧٦.
- (٤٨) تذكرة الحفاظ، ج ٤، ص ١٤٢٢. أطلق عليه الملك، لأنه والد أسرة العزفيين التي تولت إمارة مدينة سبتة، استمرت الإمارة العزفية من سنة ٦٤٧٨هـ.
- (٤٩) الوافي بالوفيات، ج ٧، ص ٢٢٨.
- (٥٠) ابن الخطيب، الإحاطة، ج ١، ص ٣٢٢.
- (٥١) توضيح المشتبه، ج ٦، ص ٢٢٢.
- (٥٢) تبصیر المنتبه، ج ٣، ص ١٠٠٥.
- (٥٣) الذيل والتكلمة، ج ٢، ص ٥٦٠.
- (٥٤) التبكى، كفاية المحتاج، ج ١، ص ٧٦.
- (٥٥) السبتي، اختصار الأخبار، ص ١٣.
- (٥٦) السبتي، اختصار الأخبار، ص ٢٠.

- (٩٠) الكر: مكيال لأهل العراق. ينظر: ابن الأثير، النهاية، ج ٤، ص ١٦٢.
- (٩١) القنفل: مكيال ضخم يسع ٣٣ مناً. ينظر: السهيلي، الروض الأنف، ج ١، ص ٨٢.
- (٩٢) الحلال: مكيال يسع حلبة ناقة. ينظر: الهروي، الغربيين، ج ١، ص ٣٥٠.
- (٩٣) العس: مكيال يسع ثمانية أرطال. ينظر: الطحاوي، شرح معاني الآثار، ج ٢، ص ٤٨.
- (٩٤) السندرة: مكيال كبير. ينظر: الزمخشري، الفائق، ج ١، ص ٢٣٢.
- (٩٥) الفالج: مكيال ضخم أصله سرياني. ينظر: أبو عبيد، غريب الحديث، ج ٣، ص ٢٣٨.
- (٩٦) الرطل: يقال به. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ١١، ص ٢٨٥.
- (٩٧) مكيال تُقال به العلات. ينظر: ابن ماكولا، إكمال الكمال، ج ٧، ص ١٣٧.
- (٩٨) الملحم: مكيال يسع صاعين ونصف. ينظر: أبو عبيد، الأموال، ص ٥٢٠.
- (٩٩) المن: مكيال. ينظر: ابن سيده، المخصص، ج ٣، ص ٢٦٤.
- (١٠٠) ذكرهما الجاحظ. ينظر: البيان والتبيين، ج ١، ص ٢٥٧.
- (١٠١) الهشامي: مُد أحدهه الخليفة هشام بن عبد الملك يزيد على مُد النبي ثلاثي مد. ينظر: ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ج ٦، ص ١٧٤.
- (١٠٢) التصيف: مكيال يسع نصف مد. ينظر: قلعجي، معجم لغة الفقهاء، ص ٤٨١.
- (١٠٣) العَزْفِي، إثبات، ص ١٢٥.
- (١٠٤) العَزْفِي، إثبات، ص ١٢٥.
- (١٠٥) سورة المطففين، آية ٣.
- (١٠٦) الطبرى، جامع البيان، ج ٣٠، ص ١١٣.
- (١٠٧) العزفى، إثبات، ص ١٢٥.
- (١٠٨) المقرىزى، الأوزان، ص ٧٧.
- (١٠٩) مسلم، صحيح مسلم، ج ٤، ص ٢٠٩٠.
- (١١٠) العزفى، إثبات، ص ١٢٦.
- (٧٤) المد: وحدة كيل تستخدم في المدينة مختلف في مقداره بين رطل وثلث إلى رطلين. ينظر: ابن الأثير، النهاية، ج ٣، ص ٥.
- (٧٥) الصاع: مكيال وهو من مضاعفات المد، إذ يسع أربعة أمداد. ينظر: ابن الأثير، النهاية، ج ٣، ص ٥.
- (٧٦) القسط: مكيال يسع نصف صاع. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٧، ص ٣٧٨.
- (٧٧) الكلجة: مكيال. ينظر: الجوهرى، الصحاح، ج ١، ص ٣٢٧.
- (٧٨) المختوم: هو الصاع الذي عليه ختم الأمراء. ينظر: الطحاوى، شرح معاني الآثار، ج ٢، ص ٤٨.
- (٧٩) الصواع: إناء يقال به. ينظر: الفراهيدى، العين، ج ٢، ص ١٩٩.
- (٨٠) المكوك: مكيال عراقي سعته صاع ونصف. ينظر: ابن سيده، المخصص، ج ٣، ص ٢٦٥.
- (٨١) الحاجى: هو صاع عمر بن الخطاب وكان الحاجى يمن به على أهل العراق. ينظر: السرخسى، المبسوط، ج ٣، ص ٩٠.
- (٨٢) الفرق: مكيال ضخم لأهل العراق. ينظر: الفراهيدى، العين، ج ٥، ص ١٤٨.
- (٨٣) الويبة: مكيال قدره خمسة ونصف صاع. ينظر: قلعجي، معجم لغة الفقهاء، ص ٥١١.
- (٨٤) القفيز: مكيال يسع ثمانية مكاكيل. ينظر: المقرىزى، الأوزان والأكيل، ص ٨٠.
- (٨٥) العرق: من الأكيل المشهورة في صدر الإسلام وهو مكيال مدنى يسع ١٥ صاعاً. ينظر: ابن الرفعة، الإيضاح، ص ٦٢.
- (٨٦) المكتل: وعاء كبير يُقال به. ينظر: النووي، المجموع، ج ٦، ص ٣٣٣.
- (٨٧) الاردب: مكيال ضخم لأهل مصر. ينظر: ابن الرفعة، الإيضاح والتبيان، ص ٧٣.
- (٨٨) الجريب: مكيال يسع أربعة أقزرة. ينظر: عبد المنعم، معجم المصطلحات، ج ٣، ص ٣٤٢.
- (٨٩) الوسق: مكيال يسع ستين صاعاً. ينظر: ابن الأثير، النهاية، ج ٤، ص ٢١٠.

- (١٢٩) العزفي، إثبات، ص ١٢٧. ينظر: هننس، المكابيل والأوزان، ص ٦٦.

(١٣٠) مفاتيح العلوم، ص ٢٠. الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ١٤٩.

(١٣١) هننس، المكابيل والأوزان، ص ٧١.

(١٣٢) ينظر: أبو يوسف، الخراج، ص ٣١. الشرباصي، المعجم الاقتصادي، ص ٢٥٩.

(١٣٣) العزفي، إثبات، ص ١٢٨. المقرizi، الأوزان، ص ٦٩. الشرباصي، المعجم الاقتصادي، ص ٢٥٩.

(١٣٤) العزفي، إثبات، ص ١٢٨.

(١٣٥) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ١٩. ينظر: أبو عبيد، الأموال، ص ٥١٥.

(١٣٦) الشرباصي، المعجم الاقتصادي، ص ٢٥٩.

(١٣٧) الأموال، ص ٥١٧. ينظر: المقرizi، الأوزان، ص ٦٩. الشرباصي، المعجم الاقتصادي، ص ٥٦٠.

(١٣٨) العزفي، إثبات، ص ٤٢ _ ٤٣.

(١٣٩) العزفي، إثبات، ص ٥٩ و ١٢٨. ينظر: الطحاوي، شرح معاني الآثار، ج ٢، ص ٤٨٧.

ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ج ١، ص ٣٧١.

العيني، عمدة القاري، ج ٣، ص ٩٦.

المباركفوري، تحفة الأحوذى، ج ١، ص ١٥٣.

(١٤٠) سعد بن مالك بن سنان الخدرى الانصارى الخزرجى، أبو سعيد، صحابى، كان من ملازمى النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه أحاديث كثيرة. غزا اثنى عشرة غزوة، توفي في المدينة سنة ٥٧٤هـ. ينظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٣، ص ٤٧٩.

(١٤١) أبو عبيد، الأموال، ص ٥١٦. ينظر: البخاري، صحيح البخاري، ج ٢، ص ٥٤٠. مسلم، صحيح مسلم، ج ٢، ص ٦٧٣.

(١٤٢) م، ن. العزفي، إثبات، ص ٥٩.

(١٤٣) المكابيل والأوزان، ص ٧٤.

(١٤٤) العزفي، إثبات، ص ١٢٨.

(١٤٥) أبو عبيد، الأموال، ص ٥٢١.

(١١١) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ١٩. العزفي، إثبات، ص ١٢٧. ينظر: أبو عبيد، الأموال، ص ١٨٨.

ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ج ١، ص ٣٠٢.

(١١٢) عبد الله بن مسلم بن قتبة الديبورى، أبو محمد، من أئمة الأدب، ومن المصنفين المكثرين. ولد ببغداد سنة ٥٢١٣هـ، وسكن الكوفة. ثم ولـ قضاء الدينور مدة، فنسب إليها. له مصنفات كثيرة، وتوفى ببغداد سنة ٥٢٧٦هـ. ينظر: ابن خلkan، وفيات الأعيان، ج ١، ص ٢٥١.

(١١٣) العزفي، إثبات، ص ٤١ _ ٤٢. القاضي عياض، مشارق الأنوار، ج ١، ص ٣٧٥.

(١١٤) الأموال، ص ٥١٢. ينظر: مسلم، صحيح مسلم، ج ١، ص ٢٥٨.

(١١٥) م، ن، ص ٥١٣. ينظر: البخاري، صحيح البخاري، ج ١، ص ٨٤.

(١١٦) م، ن، ص ٥١٥.

(١١٧) هننس، المكابيل والأوزان، ص ٧٤.

(١١٨) العزفي، إثبات، ص ١٢٦.

(١١٩) الإمام الحافظ اللغوى حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي أبو سليمان، له مصنفات عددة، توفى سنة ٣٨٨هـ. ينظر: الذهبي، سير، ج ١٧، ص ٢٣.

(١٢٠) العزفي، إثبات، ص ١٢٦.

(١٢١) العزفي، إثبات، ص ١٢٦. ينظر: البخاري، صحيح البخاري، ج ٤، ص ١٩٥.

(١٢٢) العزفي، إثبات، ص ١٢٠.

(١٢٣) العزفي، إثبات، ص ١٢٧. ينظر: الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ١٩. المقرizi، الأوزان، ص ٧٠.

الشرباصي، المعجم الاقتصادي، ص ٣٥٨.

(١٢٤) الأموال، ص ٥١٣.

(١٢٥) العزفي، إثبات، ص ١٢٧.

(١٢٦) العزفي، إثبات، ص ١٢٧. ينظر: الشرباصي، المعجم الاقتصادي، ص ٣٥٨.

(١٢٧) العزفي، إثبات، ص ١٢٧.

(١٢٨) العزفي، إثبات، ص ١٢٧.

- (١٤٦) العزفي، إثبات، ص ١٢٨ _ ١٢٩. ينظر رأي الخطابي في معلم السنن، ج ٢، ص ١٤.

(١٤٧) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ٢٠.

(١٤٨) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ١٤٩. هننس، المكاييل والأوزان، ص ٧٨.

(١٤٩) العزفي، إثبات، ص ١٢٨ - ١٢٩.

(١٥٠) ينظر: أبو عبيد، الأموال، ص ٥١٦. ينظر: أبو يوسف، الخراج، ص ٥٣.

(١٥١) العزفي، إثبات، ص ١٢٩.

(١٥٢) عمرو بن بحر بن محبوب الكناني، أبو عثمان، أديب مشهور، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة. مولده بالبصرة سنة ١٦٣ هـ. توفي سنة ٢٥٥ هـ. ينظر: ياقوت، إرشاد الأريب، ج ٦، ص ٥٦.

(١٥٣) مكيال يُنسب إلى والي البصرة زياد بن أبيه. ينظر: ابن الأثير، الكامل، ج ٣، ص ٢١٩.

(١٥٤) الفالج: مكيال معروف. ينظر: ابن دريد، جمهرة اللغة، ج ١، ص ٤٨٨.

(١٥٥) مكيال يُنسب إلى والي العراق خالد بن عبد الله القسري. ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، ج ١، ص ٢٥٧.

(١٥٦) ينظر: نص الجاحظ في: البيان والتبيين، ج ١، ص ٢٥٧.

(١٥٧) العزفي، إثبات، ص ١٢٩ _ ١٣٠.

(١٥٨) جمهرة اللغة، ج ٢، ص ٧٨٥.

(١٥٩) ابن دريد، جمهرة اللغة، ج ٢، ص ٧٨٥. ينظر: المقرizi، الأوزان، ص ٧٠.

(١٦٠) العزفي، إثبات، ص ١٣٠. المقرizi، الأوزان، ص ٧٠. الشرباصي، المعجم الاقتصادي، ص ٣٣٨.

(١٦١) أبو عبيد، الأموال، ص ٥١٣ و ٥١٤ و ٥١٥ و ٥١٨ و ٥١٩.

(١٦٢) العزفي، إثبات، ص ١٣٠.

(١٦٣) هننس، المكاييل والأوزان، ص ٨٠.

- (٢١٣) العزفي، إثبات، ص ١٣٥.
- (٢١٤) العزفي، إثبات، ص ١٣٥.
- (٢١٥) الشرباصي، المعجم الاقتصادي، ص ٢٢٨.
- (٢١٦) العزفي، إثبات، ص ١٣٥.
- (٢١٧) الشرباصي، المعجم الاقتصادي، ص ٣٣٥.
- (٢١٨) العزفي، إثبات، ص ١٣٥.
- (٢١٩) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ٢٠.
- (٢٢٠) الشرباصي، المعجم الاقتصادي، ص ١٩٥.
- (٢٢١) العزفي، إثبات، ص ١٣٥.
- (٢٢٢) أبو عبيد، الأموال، ص ٥٢٠.
- (٢٢٣) العزفي، إثبات، ص ١٣٦. الشرباصي، المعجم الاقتصادي، ص ٤٤.
- (٢٢٤) هننس، المكابيل والأوزان، ص ٤٥.
- (٢٢٥) الشرباصي، المعجم الاقتصادي، ص ٤٤.
- (٢٢٦) العزفي، إثبات، ص ١٣٦ _ ١٣٧.
- (٢٢٧) العزفي، إثبات، ص ١٣٦ _ ١٣٧.
- (٢٢٨) ابن ماكولا، الإكمال، ج ٧، ص ١٠٧.
- (١٨٩) هننس، المكابيل والأوزان، ص ٦١.
- (١٩٠) العزفي، إثبات، ص ١٣٢. ينظر: الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ٢٠. ابن منظور، لسان العرب، ج ١١، ص ٤٣٢.
- (١٩١) العزفي، إثبات، ص ١٣٢. ابن سيده، المخصص، ج ٣، ص ٣١٥.
- (١٩٢) سورة الانشقاق، آية ١٧.
- (١٩٣) الطبرى، جامع البيان، ج ٣٠، ص ١٤٩.
- (١٩٤) جمهرة اللغة، ج ٣، ص ٤٤.
- (١٩٥) أبو يوسف، الخراج، ص ٥٣. ابن ادم، الخراج، ص ١١٣ و ١٢٢. أبو عبيد، الأموال، ص ٤٧٥.
- (١٩٦) البخارى، صحيح البخارى، ج ٢، ص ١٢٥. مسلم، صحيح، مسلم، ج ٣، ص ٦٦.
- (١٩٧) أبو عبيد، الأموال، ص ٤٦. ينظر: البخارى، صحيح البخارى، ج ٢، ص ٥٤٠. مسلم، صحيح مسلم، ج ٢، ص ٦٧٣.
- (١٩٨) هننس، المكابيل والأوزان، ص ٧٩.
- (١٩٩) العزفي، إثبات، ص ١٣٣. ينظر: الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ٢٠.
- (٢٠٠) العزفي، إثبات، ص ١٣٣.
- (٢٠١) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ج ٢٠.
- (٢٠٢) هننس، المكابيل والأوزان، ص ٦٩.
- (٢٠٣) الشرباصي، المعجم الاقتصادي، ص ٣٨٤.
- (٢٠٤) الهروى، الغريبين، ج ٥، ص ١٥٨٩.
- (٢٠٥) العزفي، إثبات، ص ١٣٣.
- (٢٠٦) المعجم الاقتصادي، ص ٤٤.
- (٢٠٧) العزفي، إثبات، ص ١٣٧.
- (٢٠٨) صحيح البخارى، ج ١، ص ٦٩.
- (٢٠٩) العزفي، إثبات، ص ١٣٣ _ ١٣٤.
- (٢١٠) الهروى، الغريبين، ج ٢، ص ٤٧٩. ينظر: العزفي، إثبات، ص ١٣٤.
- (٢١١) العزفي، إثبات، ص ١٣٤.
- (٢١٢) البخارى، صحيح، ج ٤، ص ١٩٥. ابن حجر، فتح البارى، ج ٧، ص ٢٨.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- إثبات ما ليس منه بد لمن أراد الوقوف علىحقيقة الدينار والدرهم والصاع والمد، تأليف: العزفي، أحمد بن محمد (ت ٦٣٣ھـ). تحقيق: محمد الشريف (أبو ظبي، المجمع التقاوی، ١٩٩٩م).
- الإحاطة في أخبار غرناطة، تأليف: ابن الخطيب، محمد بن عبد الله (ت ٧٧٦ھـ). تحقيق: محمد عبد الله عنان (القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٣م).
- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تأليف: الماوردي، علي بن محمد (ت ٤٥٠ھـ). دراسة وتحقيق: د. محمد جاسم الحديثي (بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ٢٠٠١م).
- اختصار الأخبار عما كان بثغر سبعة من سنى الآثار، تأليف: السبتي، محمد بن القاسم. تحقيق: عبد الوهاب منصور (الرباط، ١٩٨٣).
- إرشاد الأربib إلى معرفة الأديب، تأليف: ياقوت،

- تأليف: ابن الرفعة، أحمد بن محمد (ت ٧١٠ هـ). تحقيق: د . محمد أحمد (دمشق، دار الفكر، ١٩٨٠).
١٧. برنامج التجبي، تأليف: التجبي، القاسم بن يوسف (ت ٧٣٠ هـ). تحقيق: عبد الحفيظ منصور (تونس، الدار العربية للكتاب، ١٩٨١).
١٨. برنامج شيخوخ ابن أبي الربيع، تأليف: ابن الشاط، قاسم بن عبد الله (ت ٧٢٣ هـ). (الرباط، ٢٠١١).
١٩. برنامج شيخوخ الرعيني، تأليف: الرعيني، علي ابن محمد (ت ٦٦٦ هـ). تحقيق: إبراهيم شيخوخ (دمشق، ١٩٦٢).
٢٠. بغية الوعاة في طبقات اللغوبيين والزناد، تأليف: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ). تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (صيدا، المكتبة العصرية، د . ت).
٢١. البيان والتبيين، تأليف: الجاحظ، عمرو بن بحر (ت ٥٥٥ هـ). تحقيق: عبد السلام محمد هارون (القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٨).
٢٢. البيان المغرب في أخبار الأنجلوس والمغرب، تأليف: ابن عذاري، أحمد بن محمد (كان حياً سنة ٧١٢ هـ). تحقيق: ج . س. كولان وليفي بروفنسال (بيروت، دار الثقافة، د . ت).
٢٣. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تأليف: الذهبي، محمد بن أحمد (ت ٧٤٨ هـ). تحقيق: د . بشار عواد معروف (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣).
٢٤. بصیر المتنبه بتحریر المشتبه، تأليف: ابن حجر، أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ). تحقيق: محمد علي (بيروت، المكتبة العلمية، د . ت).
٢٥. تحفة الأحوذني بشرح جامع الترمذى، تأليف: المباركفوري، محمد عبد الرحمن. (بيروت، دار الكتب العلمية، د . ت).
٢٦. تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، تأليف: الخزاعي، علي بن محمد (ت ٧٨٩ هـ). تحقيق: د . إحسان عباس (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٥ هـ).
- ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦ هـ) . (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د . ت).
٦. أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تأليف: المقري، أحمد بن محمد (ت ٤١٠ هـ). (الرباط، إحياء التراث الإسلامي، ١٩٧٨).
٧. الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تأليف: السلاوي، أحمد بن خالد (ت ١٣١٥ هـ). تحقيق: جعفر ومحمد السلاوي (الدار البيضاء، دار الكتاب، ١٩٥٤).
٨. الأعلام، تأليف: محمود الزركلي . (بيروت، دار العلم للملائين، ١٩٨٠).
٩. الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، تأليف: السلامي، العباس بن إبراهيم. (الرباط، المطبعة الملكية، ١٩٩٣).
١٠. إكمال الإكمال، تأليف: ابن نقطة، محمد بن عبد الغني (ت ٦٢٩ هـ) . تحقيق: د . عبد القيوم عبد الرب (مكة المكرمة، ١٤١٠ هـ).
١١. الإكمال في رفع الارتياح عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، تأليف: ابن ماكولا، علي بن هبة الله (ت ٤٧٥ هـ). تحقيق: عبد الرحمن ابن يحيى المعلمى (القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، ١٩٦١).
١٢. إمتعة الأسماء بما النبي صلى الله عليه وسلم من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تأليف: المقريزي، أحمد بن علي (ت ٨٥٤ هـ) . تحقيق: محمد عبد الحميد (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٩).
١٣. الأموال، تأليف: أبو عبيد، القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ). تحقيق: محمد خليل هراس (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٦).
١٤. الأوزان والأكيل الشرعية، تأليف: المقريزي، أحمد بن علي (ت ٨٥٤ هـ) . تحقيق: سلطان بن هليل (بيروت، دار الشائر، ٢٠٠٧).
١٥. إيضاح المكون عن أسامي الكتب والفنون، تأليف: البغدادي، إسماعيل بن محمد . (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د . ت).
١٦. الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان،

- الكتب العلمية، د . ت).
٣٩. الروض المعطار في خبر الأقطار، تأليف: الحميري، محمد بن محمد (ت ٩٠٠ هـ). تحقيق: د. إحسان عباس (بيروت، مطبع هيدلبرغ، ١٩٨٤).
٤٠. سير أعلام النبلاء، تأليف: الذهبي، محمد بن أحمد (ت ٧٤٨ هـ). تحقيق: شعيب الارناؤوط (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣).
٤١. شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، تأليف: الزرقاني، محمد بن عبد الباقى (ت ١٢٢ هـ). (القاهرة، مطبعة الاستقامة، ١٩٥٤).
٤٢. شرح صحيح البخاري، تأليف: ابن بطال، علي بن خلف (ت ٤٩ هـ). تحقيق: ياسر إبراهيم (الرياض، مكتبة الرشد، ٢٠٠٣).
٤٣. شرح معاني الآثار، تأليف: الطحاوى، أحمد بن محمد (ت ٣٢١ هـ). تحقيق: محمد زهري النجار (القاهرة، مطبعة الأنوار المحمدية، د . ت).
٤٤. صبح الأعشى في صناعة الإنسا، تأليف: القلقشندى، أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ). (القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٩١٥).
٤٥. الصحاح، تأليف: الجوهرى، إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣ هـ). تحقيق: أحمد عبد الغفور (بيروت، دار العلم للملايين، ١٤٠٧ هـ).
٤٦. صلة الخلف بموصول السلف، تأليف: الروذانى، محمد بن سليمان (ت ١٠٩٤ هـ). تحقيق: محمد حجي (بيروت، دار الغرب الإسلامى، ١٩٨٨).
٤٧. صحيح البخاري، تأليف: البخاري، محمد بن إسماعيل بن (ت ٢٥٦ هـ). مراجعة: د. مصطفى ديب (بيروت، دار ابن كثير، ١٩٨٧).
٤٨. صحيح مسلم، تأليف: مسلم، مسلم بن الحاج (ت ٢٦١ هـ). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٥٤).
٤٩. العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تأليف: ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ). (بيروت، مؤسسة الاعلمى للمطبوعات، ١٩٧١).
٢٧. تذكرة الحفاظ، تأليف: الذهبي، محمد بن أحمد (ت ٧٤٨ هـ). تصحيح: عبد الرحمن بن يحيى المعلمى (بيروت، دار إحياء التراث العربى، ١٣٧٧ هـ).
٢٨. التشوف إلى رجال التصوف، تأليف: النادلى، يوسف بن يحيى (ت ١٢٢٠ هـ). تحقيق: أحمد التوفيق (دار البيضاء، ١٩٩٧).
٢٩. التكملة لكتاب الصلة، تأليف: ابن الآبار، محمد ابن عبد الله (ت ٦٥٨ هـ). تحقيق: د. عبد السلام الهراس (بيروت، دار الفكر، ١٩٨٥).
٣٠. تهذيب التهذيب، تأليف: ابن حجر، أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ). (بيروت، دار الفكر، ١٩٨٤).
٣١. توضيح المشتبه، تأليف: ابن ناصر الدين، محمد بن عبد الله (ت ٨٤٢ هـ). تحقيق: محمد نعيم (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣).
٣٢. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تأليف: الطبرى، محمد بن جرير (ت ٣١٣ هـ). تصحيح: صدقى جميل العطار (بيروت، دار الفكر، ١٩٨٥).
٣٣. جمهرة اللغة، تأليف: ابن دريد، محمد بن الحسن (ت ٣٢١ هـ). تحقيق: عبد السلام محمد هارون (القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٥).
٣٤. الخراج، تأليف: ابن آدم، يحيى بن آدم (ت ٢٠٣ هـ). تحقيق: أحمد محمد شاكر (بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٩).
٣٥. الخراج، تأليف: أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٢ هـ). تحقيق: أحمد محمد شاكر (بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٩).
٣٦. درة الرجال في أسماء الرجال، تأليف: المكناسى، أحمد بن محمد (ت ١٠٢٥ هـ). (القاهرة، مكتبة التراث، د . ت).
٣٧. الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تأليف: المراكشى، محمد بن محمد (ت ٧٠٣ هـ). تحقيق: د. إحسان عباس، د. محمد بن شريفة، د. بشار عواد معروف (تونس، دار الغرب الإسلامى، ٢٠١٢).
٣٨. الروض الأنف في شرح سيرة النبي ﷺ لابن هشام، تأليف: السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٥٨١ هـ). تحقيق: مجدى منصور (بيروت، دار

٦١. لسان العرب، تأليف: ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ١٢١١هـ). (بيروت، دار صادر، ١٩٥٧م).
٦٢. المبسط، تأليف: السرخسي، محمد بن أحمد (ت ٤٨٣هـ). تصحيح جماعة من العلماء (القاهرة، مطبعة السعادة، ١٣٢٤هـ).
٦٣. المجمع المفهرس للمعجم المؤسس، تأليف: ابن حجر، أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ). تحقيق: د. يوسف عبد الرحمن (بيروت، دار المعرفة، ١٩٩٢م).
٦٤. المجموع شرح المذهب، تأليف: النووي، يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ). (القاهرة، مطبعة الإمام، د. ت).
٦٥. المخصوص، تأليف: ابن سيده، محمد بن الحسن (ت ٣٢١هـ). تحقيق: رمزي منير (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م).
٦٦. المستخرج على المستدرك، تأليف: العراقي، عبد الرحيم بن الحسين (ت ٦٨٠هـ). تحقيق: محمد عبد المنعم (القاهرة، ١٩٩٠م).
٦٧. مشارق الأنوار على صحاح الآثار، تأليف: القاضي عياض، عياض بن موسى (ت ٤٥٤هـ). (بيروت، المكتبة العتيقة، د. ت).
٦٨. معالم السنن، تأليف: الخطابي، أحمد بن محمد (ت ٣٨٨هـ). (حلب، المطبعة العلمية، ١٩٣٢م).
٦٩. المعجم الاقتصادي الإسلامي، تأليف: الدكتور أحمد الشرباصي. (بيروت، دار الجيل، ١٩٨١م).
٧٠. معجم البلدان، تأليف: ياقوت، ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ). (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٧٩م).
٧١. معجم لغة الفقهاء، تأليف: الدكتور محمد راوس قلعي والدكتور حامد صادق. (بيروت، دار النفائس، ١٩٨٨م).
٧٢. معجم المؤلفين، تأليف: الدكتور عمر رضا كحالة. (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٥٧م).
٧٣. معجم المفسرين من صدر الإسلام، تأليف: عادل نويهض. (بيروت، مؤسسة نويهض الثقافية، ١٩٨٨م).
٥٥. عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، تأليف: العيني، محمود بن أحمد (ت ٨٥٥هـ). (بيروت، دار إحياء التراث، د. ت).
٥٦. العين، تأليف: الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ). تحقيق: د. إبراهيم السامرائي ود. مهدي المخزومي القاهرة، دار مكتبة الهلال، د. ت.
٥٧. غريب الحديث، تأليف: أبو عبيد، القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ). تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٣٩٦هـ).
٥٨. الغربيين في القرآن والحديث، تأليف: الهروي، أحمد بن محمد (ت ٤٠١هـ). تحقيق: أحمد فريد (الرياض، مكتبة نزار مصطفى، ١٩٩٩م).
٥٩. الفائق في غريب الحديث، تأليف: الزمخشري، محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ). تحقيق: علي محمد الباقي ومحمد أبو الفضل إبراهيم (بيروت، دار المعرفة، د. ت).
٥٥. فتح الباري شرح صحيح البخاري، تأليف: ابن حجر، أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ). (بيروت، دار المعرفة، د. ت).
٥٦. فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تأليف: الكتاني، عبد الحي بن عبد الكبير. تحقيق: د. احسان عباس (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٢م).
٥٧. قوت المغتندي على جامع الترمذى، تأليف: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ). تحقيق: د. ناصر محمد (بيروت، دار العلم للملائين، ١٩٩٨م).
٥٨. الكامل في التاريخ، تأليف: ابن الأثير، علي بن محمد (ت ٦٣٠هـ). تحقيق: عبد الله القاضي (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م).
٥٩. كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الدبياج، تأليف: التبكري، أحمد بابا (ت ١٠٣٦هـ). تحقيق: محمد مطيع (الرباط، ٢٠٠٠م).
٦٠. لب اللباب في تحرير الأنساب، تأليف: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ). (بيروت، دار صادر، د. ت).

٧٤. المعرفة والتاريخ، تأليف: البسوبي، يعقوب بن سفيان (ت ٢٧٧هـ). تحقيق: د. أكرم ضياء العمري (المدينة المنورة، مكتبة الدار، ١٤١٠هـ).
٧٥. مفاتيح العلوم، تأليف: الخوارزمي، محمد بن أحمد (ت ٣٨٧هـ). تقديم: د. عبد اللطيف محمد العبد (القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٧٧م).
٧٦. المكاييل والأوزان الإسلامية، تأليف: تأليف فالتر هننس. ترجمة: د. كامل العسلي (عمان، ١٩٧٠م).
٧٧. الموطأ، تأليف: مالك، مالك بن انس (ت ١٧٩هـ). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٥م).
٧٨. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تأليف: المغربي، أحمد بن محمد (ت ١٠٤١هـ). تحقيق: د. إحسان عباس (بيروت، دار صادر، ١٩٦٨م).
٧٩. النهاية في غريب الحديث والأثر، تأليف: ابن الأثير، المبارك بن محمد (ت ٦٠٦هـ). تحقيق: طاهر أحمد ومحمود محمد (القاهرة، المكتبة الإسلامية، ١٩٦٣م).
٨٠. نيل الابتهاج بتنطيز الديباخ، تأليف: التنبكتي، أحمد بابا (ت ١٠٣٦هـ). (طرابلس، ١٩٨٩م).
٨١. الوفافي بالوفيات، تأليف: الصفدي، خليل بن أبيك (ت ٧٦٤هـ). تحقيق: أحمد الارناوط وتركي مصطفى (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٢م).
٨٢. ورقات عن الحضارة المغربية في عصربني مرين، تأليف: محمد المنوني (الرباط، ١٩٨٥م).
٨٣. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تأليف: ابن خلكان، أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ). تحقيق: محمد محى الدين عبد الحميد (القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٤٨م).

رسالة في ترتيب مملكة الديار المصرية وأمرياتها وأركانها وأرباب الوظائف

لمؤلف مجهول

رسالة
في ترتيب
مملكة
الديار
المصرية
وأمرياتها
وأركانها
وأرباب
الوظائف
لمؤلف
مجهول

دراسة وتحقيق

د. محمد الزاهي (تونس)

مقدمة التحقيق

تحفظ مكتبة الدولة ببرلين بنسخة من رسالة متوسطة الحجم عنوانها: "كتاب في ترتيب مملكة الديار المصرية وأمرائها وأركانها وأرباب الوظائف" لمؤلف مجهول.

وتعود هذه الرسالة إلى الفترة المملوكية، وهي الفترة التي كانت فيها مصر بيد طائفة المماليلك الذين قبضوا على البلاد بيد من حديد.

وقد ارتأينا أن نمهد لهذا العمل بتقديم نبذة مختصرة عن هذه الفترة التي امتدت من سنة ١٢٥٠هـ/١١٢٧م إلى سنة ١٤٦٨هـ/١٥١٧م، وعن السلطان قانصوه الغوري إذ الرسالة كتبها مؤلفها ليقدمها إلى خزانته.^(١)

والمماليلك هم في الأصل عبيد تعود أصولهم إلى آسيا الوسطى وإلى بلاد الصقالبة، وهم في الغالب أطفال مخطوفون في غارات لصوصية أو مشترون من سوق النخاسة ويتم جلبهم إلى بلاطات الأمراء والملوك، وتقع تربيتهم وفق قواعد صارمة في ثكنات معزولة وفي مدارس الحرب ويدربهم معلمون الفروسية ومدرّبو القتال ويلقّونهم فنون الحرب والقتال والضرب بالسيوف ورمي السهام ليتخرّجوا وهم على مستويات عالية من المهارة القتالية. ثم يقع تدريّبهم على أمور القيادة ووضع الخطط الحربية والخيل والتسيير الإداري. وقد كان الملوك والسلطانين لا يتعاملون من هؤلاء المماليلك كرفيق أو عبيد بل كانوا يعاملونهم معاملة طيبة تعتمد على العطف وليس على القهر والاستغلال ليتذوّهم فيما بعد أنصارا لهم باعتبارهم أدوات عسكرية هامة لقهر الأعداء والتغلب على المناوئين، ويرقّون أحيانا إلى الوظائف السامية في الدولة.

إضافة إلى التكوين العسكري فقد كانوا ينالون أيضاً تكويناً دينياً وعلمياً في البلاطات على يد مؤذّبين وفقهاء خصوصيين. ففي المرحلة الأولى يتّعلّم الممالوك اللغة العربية قراءة وكتابة ثم بعد ذلك يدفع به إلى من يتعلّم القرآن الكريم، ثم يبدأ في تعلم مبادئ الفقه الإسلامي وآداب الشريعة الإسلامية.

- (١) حول فترة حكم المماليلك بمصر والسلطانين الذين تناوبوا على حكمها يراجع ذلك بتفصيل في:
- بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن إيماس الحنفي، تحقيق باول كاله ومحمد مصطفى ومورتن سوبرنهام، مطبعة الدولة، اسطنبول ١٩٣١ وطبعها القاهرة ١٩٣١.
 - الخطط المقريزية (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار) لتقى الدين المقريزى، تحقيق د. محمد زينهم ومديحة الشرقاوى، ط ١، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩٨، ج ٣، ص ١٢٢ فما بعدها.
 - السلوك لمعرفة دول الملوك لتقى الدين المقريزى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٧.
 - النجوم الظاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي الأتابكي، من الجزء السابع إلى آخر الأجزاء، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٢.

ويُدرب على الصلاة وكذلك على الأذكار النبوية. ويراقب الملوك مُراقبة شديدة من مؤديبه ومعلميه. إن جلب المماليك وتدربيهم وتكوينهم للاستعانة بهم هو تقليد معروف منذ العهد العباسى، فقد جلب العباسيون الألوف من العبيد من قبائل التركمان والمغول واستخدموهم حرساً لهم ومادة لجيوشهم. فقد استجلب المأمون الذي حكم من سنة ١٩٨هـ / ٧٢١م إلى سنة ٢١٨هـ / ٨٣٤م وكذلك أخوه المعتصم الذي حكم من بعده إلى سنة ٢٧٧هـ / ٨٩٠م أعداداً كبيرة من التركمان واعتمدا عليهم بعد تكوينهم لتدعم نفوذهما وتعزيز حكمهما بعدما فقدا الثقة في العرب والفرس. كما استجلبهم الطولونيون والإخشيذ والفاتميون.

وببدأ الظهور القوى للمماليك في مصر مع الأيوبيين، وهم الغراء عن مصر والمحاجون إلى تعزيز دورهم فيها بأمثالهم الغرباء. فقد اعتمد الأيوبيون كثيراً على المماليك ودعّموا بهم جيوشهم وب خاصة في عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب بعدما خرج عنه الخوارزمية المرتزقة فاضطرب إلى الإكثار من المماليك وأسكنهم في جزيرة الروضة ليكونوا بعيدين عن المدينة وأصبحوا يعرفون بالمماليك البحريه.

وببدأ نفوذ المماليك يقوى شيئاً فشيئاً في مصر بعد توران شاه بن نجم الدين أيوب. فقد انشغل توران شاه باللهو وأساء معاملة قادة الجيش من المماليك الذين كانوا عضداً لأبيه، كما أساء أيضاً إلى زوجة أبيه شجرة الدر التي تحالفت مع فارس الدين أقطاي وركن الدين بيبرس وقلدوه الصالحي وأبيك التركانى على قتلها ذبحاً سنة ٦٤٨هـ / ١٢٥١م، وبقتله انتهى حكم الأيوبيين بمصر ليُسَحِّج المجال أمام المماليك. وانتخب رؤساء المماليك الأمير أبيك التركمانى ليدبر شؤون البلاد، واكتفى في بداية الأمر بأن يحكم باسم شجرة الدر (زوجة سيده الصالح أيوب)، إلا أن الخليفة العباسى رفض أن تتولى الحكم إمرأة ولو صوريًا، فترك زوجها أبيك.

وبعد انتصاره على ناصر الدين الأيوبي وتنكيله بالكثير من المماليك أصبح أبيك سلطاناً على مصر لا ينزعه فيها منازع. وبعد قتلته نصب أمراء المماليك ابنه الأصغر سلطاناً على البلاد. ثم خلع قطر السلطان الصغير واستولى على الحكم وجهز جيشاً نحو عكا ودارت الحرب بين المسلمين والمغول في عين جالوت، وقد كان بيبرس، أحد المماليك الفارين من أبيك، دور في هذا الانتصار.

إلا أن العلاقة ساءت بين قطر وبيبرس وانتهت هذه العلاقة باغتيال قطر في أكتوبر ٦٥٨هـ / ١٢٦١م، وأعلن بيبرس ولاته على البلاد ودخل القاهرة وأقيمت له الزينة والولائم. وهو أول سلاطين دولة المماليك البحريه الذين تربعوا بمصر. وأول عمل قام به لإضفاء الشرعية على حكمه هو إرجاع المكانة للخلافة لإنقاذ المذهب الشيعي. فأحضر الخليفة إلى القاهرة في موكب حافل ليتقلّد بيبرس سلطنة البلاد.

وقد توالي على حكم مصر من المماليك البحريه تسعة وعشرون سلطاناً آخرهم الصالح زين الدين حاجي الذي خلع سنة ١٣٨٢هـ / ٧٨٤م، وانتهى بذلك حكم المماليك البحريه لتحكم بعدها أسرة المماليك البرجية نسبة إلى الأبراج التي كانوا يقطنونها في القلعة، وينتسب معظمهم إلى الجنس الجركسي. وقد امتد حكمهم من سنة ٩٢٣هـ / ١٣٨٢م إلى سنة ٩٦٧هـ / ١٤١٧م، وأشهرهم الظاهر سيف الدين برroc.

وابنه الناصر فرج والأشرف بربسي و/or الأشرف قانصوه الغوري وأخرهم الأشرف أبو النصر طومان باي. وطيلة فترة حكمهم قبض المماليك على مصر بيد من حديد لما عُرِفوا به من بطش وقسوة ومكر وتنكيل وظلم. ولكن فترتهم عرفت انتصارات جمة على مغول والتنار والصلبيين. ووقفوا سداً منيعاً لصد هجمات هذه القوى المعادية لبلاد المسلمين.

وإضافة إلى المجال الحربي والعسكري فقد كان للمماليك إنجازات حضارية كثيرة في مختلف مجالات الحياة. ففي المجال العلمي سعوا إلى تقويب العلماء وتشجيعهم فحفل عصرهم بأكبر المؤرخين والموسوعيين والمؤرخين الكبار وشيدوا المدارس الفخمة والمساجد المعترفة. وفي مجال الفنون والعمارة فقد كان لهم طراز متميز في الفنون وخاصة الحفر على الخشب والتصوير والزخرف.

وحبسوا الأموال على الخيرات وبنوا ملاجيء الأيتام وأصلاحوا التغور والمعاائق وحصنوا البلاد وحضروا الترع وبنوا الجسور. وطوروا الدواوين الإدارية القديمة وابتكروا أخرى جديدة وغيرها من الإنجازات.

وقد تطلّب ذلك منهم الأموال الطائلة فسلطوا على الرعية ألواناً من المظالم وامتصوا دماء الأهالي واستولوا على إقطاعات الدولة وطمعوا في ربع الأوقاف وأموال الأيتام، ونكلوا بعلماء الشرع الذين وقفوا ضدهم، وتدخلوا في الوظائف الشرعية كالقضاء والمظالم والحساب وأسندوها إلى غير أهلها مقابل الأموال حتى يوفّروا المال لتشييد قصورهم والتقدّن في بناء المساجد والمدارس والتكايا وغيرها من العمائر التي لم يخل منها قرن من قرون حكمهم بمصر.

أما عن السلطان قانصوه، والذي قدّمت إليه هذه الرسالة، فهو الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغوري الأشرفي.^(٢) هو مملوك شركسي خدم قايتباي، صار أمير عشرة ثم ترقى إلى قيادة طرسوس وحلب وملطية ثم أميراً لألف.

وتولى السلطة التي رفضها أول الأمر سنة ١٤٨٦هـ/١٤٨١م بعد إلحاح الأمراء عليه. يقول ابن إياس: "ثم دقّت له البشائر بالقلعة ونودي باسمه في القاهرة، وارتقت الأصوات له بالأدعية الفاخرة وزال من الشكوك والظنون وأقرت من الناس بسلطنته العيون".^(٣)

اهتم بتدبیر موارد الدولة وأراد أن يملا الخزانة ففرض ضرائب إجبارية على كلّ أنواع الممتلكات ولم يستثن أملك الوقف والخيرات، ولم يعرف هوادة ولا رفقاً في سبيل جباية هذه الضرائب الأمر الذي ولد عدّة ثورات. فقد ذكر ابن إياس: "فكان يأخذ من ربع الأوقاف سنة كاملة ومن أجرة أملاك القاهرة من بيوت وربوع وحوانيت وحمامات وغيطان ومراكب وغير ذلك، يأخذ منهم أجرة عشرة أشهر كاملة حتى من وقف البيمارستان المنصوري وسائر الأوقاف... وكتب المراسيم بمعنى ذلك إلى

(٢) انظر أخباره بتفصيل في: بداع الزهور في وقائع الدهور لابن إياس الحنفي، ج ٤، ط اسطنبول، وج ٥، ط القاهرة.

(٣) بداع الزهور لابن إياس، ج ٤، ص ص: ٤-٥.

ثغر الإسكندرية ودمياط حتى إلى دمشق وأعمالها وسائر البلاد الشامية".^(٤)

وفي موضع آخر يدقق ما آل إليه أمر الأهالي من هذه المظالم: "وأطلق في الناس جمر نار المصادرات وصار كلّ منهم في أليم الغمرات".^(٥)

وقد صرف قانصوه هذه الأموال بسخاء على المماليك الذين ساعدوه في جمعها وشراء عدد كبير من المماليك الجدد.

كما صرف جزءاً من هذه الأموال على بعض الإنجازات. فحصن الإسكندرية ومدينة رشيد وحسن مجاري المياه. وبني مسجداً فخماً ومدرسة في القاهرة وأقام مباني جديدة في القلعة كما صرف أموالاً في تجميل مكة المكرمة وزيادة المياه في طريق الحاج.

وقد كان قانصوه الغوري مولعاً بالأدب والشعر والموسيقي، وتعانى نظم الشعر والموشحات، وأحاط به الشعراً والمعنىين والقصاصين الذين احتشدوا في البلاط ونعموا بهباته الكثيرة التي لا تحصر.

وقد اهتم أيضاً بالعلم والعلماء وقرب البعض منهم وحرص على جمع المصنفات في مجالات معرفية مختلفة ليثري بها خزانة كتبه التي حوت من دواوين العلم والأدب الشيء الكثير. وقد كان العلماء والأدباء في فترة حكمه يتتسابقون لإتحافه بنسخهم الخزانية من مصنفاته.

وتوفي قانصوه بعد ستة عشر سنة من السلطنة وذلك سنة ٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م.

الرسالة:

وموضوع الرسالة واضح من عنوانها، دون فيها مؤلفها كلّ ما يتعلق بترتيب مملكة الديار المصرية في العهد المملوكي وما يتصل بها من الأمراء والوظائف والرتب والأركان ومستلزمات القصر بدءاً بالسلطان وعناصر ديوانه إلى أسط موظف في القلعة مقرّ الحكم. ومؤلفها مجھول إذ لم نظر بالمخوطط بآية إشارة توحى لنا من قريب أو من بعيد بمؤلف هذه الرسالة. إلا أنّ أسلوبها يوحى لنا بأنّ مؤلفها لا يتقن العربية فعله من مماليك السلطان قانصوه إذ أنّ العجمة ظاهرة وجلية في بعض مواضع الرسالة، هذا إضافة إلى كثرة الأخطاء الإملائية وال نحوية.

للرسالة قيمة كبيرة إذ أطلعنا فيها مؤلفها بكل التفاصيل الدقيقة عن سير دوليб الدولة المملوكيّة في مصر.

والتأليف في هذا الباب سابق لهذه الرسالة، وكان ذلك في صلب بعض الموسوعات التي تعرّضت أثناء حديثها عن مملكة الديار المصرية إلى ذكر هذه الوظائف والمراتب والأركان مثل كتاب صبح الأعشى للفاقشندي وكتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار وكتاب التعريف بالمصطلح الشريف وكلاهما لابن فضل الله العمري وكتاب زينة كشف المالك في بيان الطرق والمسالك لابن شاهين وملخصه "الصفوة في ترتيب المملكة المصرية" لمحمد أبي الفتح الصوفي وكتاب نهاية الأربع في

(٤) نفسه، ص: ١٥.

(٥) نفسه، ص: ١٦.

إلا أنّ ما يميّز هذه الرسالة عن هذه المصنفات المذكورة أنّها:

١- طرقت هذا الموضوع في شكل مستقلّ ولعلّها الرسالة الوحيدة أو الكتاب الوحيد الذي كتب في هذا الموضوع في تلك الفترة الأمر الذي يكسبها قيمة وطراقة.

٢- أنّ المؤلّف اتّبع منهجاً واضحاً ودقيقاً في تقديم المادة. فيذكر المفردة (أي المصطلح) ثم يقدّم شرحها تارة بتوسيع وأخرى بإيجاز مشيراً أحياناً إلى أصل الكلمة هل هي عربية أم فارسية أم تركية وهل هي مركبة وموضحاً أيضاً ما شاع بين الناس من أوهام أو تحريف في النطق بها، مثل ذلك قول حول كلمة "دار" بالفارسية: "وكثير من الناس يظنون أنها (أي دار) عربية بمعنى المُحكم لدار السلطان وليس كذلك"، وغير ذلك كثير في الرسالة.

٣- الإطناب في التّدقيق والوصف أحياناً كحدّيثه عن عمامة الوزير وكيفية رفعها عن الكوفية وطريقة صنع هذه الأخيرة والمواد التي صنعت منها وكذلك العنبرانية والخفة ومواد صنع البيارق والسروج ومختلف الألوان وغير ذلك كثير، وهو ما لا نظرف به في المصادر الأخرى.

وقد بنى المؤلّف هذه الرسالة على مقدمة موجزة جدّاً وفصل أول خصّصه للسلطان وجعله كما ذكر هو على عشرين باباً وهي: - حلّة الملك التي يلبسها حين يعهد إليه بالسلطنة والعمامة المدوره وجبة الحرير السوداء - سرير الملك - المقصورة - الدعاء على المنابر في الخطبة - وضع اسمه صكّة على النقود ورقم اسمه على قماشكسوة البيت الحرام - الغاشية - المظلة - الرقبة - الجفتاه - العصائب - الشّتابة - الأوزان أو الأوّاصاب - الجوashiya - الطبردارية - نجمة الملك - الزردية - الكرّاتة - شقق الحرير - الجمدار وأخيراً نوبة خاتون.

وبعد هذا الفصل الأول ذكر ثمانية مقاصد يمكن عدها أبواباً أخرى للرسالة.

فالقصد الأول خصّه لذكر أرباب السيوف، وخصّ المقصد الثاني للمماليك السلطانية، وهو مقصد غير تام لسقوط بعض الأوراق. المقصد الثالث وقد ذكر فيه أرباب الوظائف كالوزير والنائب الكافل والأمير الكبير والمشير وغيرهم. وقد خصّ المقصد الرابع إلى أرباب الوظائف من الأمراء العشرات في حين ذكر في المقصد الخامس أمراء الخمسات وفي المقصد السادس ذكر المشدّين الذين لم يكن بيدهم إمرأة كشاد الدواوين وشاد العمائـر وغيرها، وخصّ المقصد السابع إلى الجنـد من المماليك السلطانية وأرباب الوظائف المشهورة والمقصد الأخير خصّه لمهاترة البيوت.

وقد تعرّض المؤلّف في رسالته بعد ذلك إلى ذكر من يتولّ بالحضرـة من أرباب الوظائف فذكر القضاء وقضاء العـسـكـر وإفتـاء دـار العـدـل ثم التـارـيسـ بـأـنـوـاعـهـاـ وـمـشـيـخـاتـ الـخـوانـقـ وـالـخـطـابـةـ وـالـإـمامـةـ ثم نـظـرـ الـوـظـائـفـ الـدـينـيـةـ وـهـيـ اـثـنـاـ عـشـرـ وـظـيـفـةـ وـهـيـ نـظـرـ الـأـشـرافـ وـالـحـسـبـةـ وـالـأـحـبـاسـ وـالـجـوـالـيـ وـالـكـسوـةـ وـالـأـوقـافـ وـدارـ الـضـربـ وـخـزـائـنـ السـلاحـ وـالـبـيـمارـسـتـانـ الـمـنـصـورـيـ وـالـزـرـدـخـانـهـ وـالـحرـمـ الشـرـيفـ وـالـصـندـوقـ.

وختم المؤلف رسالته بفصل ذكر فيه الوظائف الدينية المنفردة الخارجة عن الأنظار وذكر فيه:
نقابة الأشراف – ووكالة بيت المال.

وقد قدّم المؤلف هذه المادة بأسلوب يتّأرجح بين أنيق العبارة في بعض المواقع والعمدة التي تفقد
النصّ أحياناً رونقه.

هذا إلى الكثير من الأخطاء الإملائية واللغوية والتعابير السقئية كقوله: "وقد يجتمع خزندار العين
 وخزندار الصنف لواحد فرد، أو قوله: ولا كان يؤهّل للتقليد" وغيرها من التعبيرات.

أمّا عن مصادره لتدوين هذه الرسالة فقد ذكر المؤلف مصدريين أساسين هما: كتاب التعريف
 بالمصطلح الشريف وكتاب مسالك الأبصرار لابن فضل الله العمري للتعرّيف بهذه المصطلحات.

ولعلّ سبب عدم تكثيف المؤلف لهذه المصادر راجع إلى سببين: أولهما: ندرة المصادر في هذا
 الباب، أي المصطلحات المملوكيّة والثاني: أن مؤلف الرسالة كان، على ما يبدو، من المماليك ونرّجح
 أنه عون من أعون الطاقم السلطاني ومُطلع على كلّ أركان القصر ومن ثمّ فإنّه ملّ بكلّ الدقائق
 والتّفاصيل المتعلّقة بهذه الوظائف. وهذا ما أكسب هذه الرسالة قيمة.

والملحوظ أنّ المؤلف في نقوله من هذين المصدررين لم يكن مجرّد ناقل بل تصرّف أحياناً في عبارة
 النصوص المقتطعة.

وإضافة إلى هذين المصدررين الأساسيين ذكر المؤلف ثلاثة مصادر في ثلاّث مناسبات: الأول كتاب
 الأحكام السلطانية للماوردي في حديثه عن القضاء وتفسير البغوي في حديثه عن نقابة الأشراف وكتاب
 صاحب حماة أبي الفداء المختصر في أخبار البشر أött.

أمّا طريقته في تقديم المادة أو تعريف المصطلح فإنّه يذكر المصطلح محدداً أصله وأحياناً مع الضبط
 التام لكلّ حروفه ثمّ شرح الوظيفة أو الرتبة ومكانة أصحابها في طاقم القصر السلطاني مدفقاً صنف
 مرسوم تقليده.

النسخة الخطية لهذه الرسالة:

توجد من هذه الرسالة نسخة وحيدة محفوظة بمكتبة الدولة ببرلين وتقع في ٥١ ورقة (وجه-ظهر)
 وهي نسخة خزانة تعود إلى خزانة السلطان أبي النصر قانصوه الغوري مسّطرتها: ٩، وعدد كلمات
 كلّ سطر يتراوح بين خمس وستّ كلمات، وهي نسخة مشكولة ولكن هذا الشكل لا يتّوافق أحياناً مع
 القواعد النحوية بل هو لمجرّد الزركشة. والنسخة مزخرفة باللون يطغى عليها اللون الأزرق والبنيّ
 وبخاصة في الظهيرية والورقة الأخيرة. وكتبت بدايات كلّ فقرة بالمداد الأحمر. والنسخة مراجعة وبها
 تصحيحات بالحاشية أشير إليها بعبارة "صح".

وقد ورد عنوانها في أعلى وأسفل الظهيرية، أمّا التنصيص على انتسابها لخزانة السلطان قانصوه
 فقد ورد في وسط الظهيرية في إطار دائري ملوّن متكون من إنصاف دوائر صغيرة. ونصّ العنوان هو:

• كتاب في ترتيب مملكة الديار المصرية وأمرائها وأرkanها وأرباب الوظائف •

أمّا نصّ انتسابها إلى خزانة قانصوه فهو:

• برسم خزانة المقام الشريف ملك البرين والبحرين مولانا السلطان الملك الأشرف أبي النصر قانصوه الغوري عزّ نصره •

وورد في الورقة الأخيرة من المخطوط في شكل دائري متكون من أنصاف دوائر وملون باللون الأزرق هذا النصّ:

• خدمة الملوك كسباي من أقربدي من طبقة الرفوف بالميدان الملكي الأشرفية •

ودون أحد المستشرقين على الظهرية ما يدلّ على أنّ هذه النسخة قدّمت هدية إلى الملوك كسباي. وهو من طبقة الرفوف، والطباقي هي ثكنات المماليك بقلعة الحبل، وطبقة الرفوف هذه هي أولى هذه الطباقي؛ لأنّها أقيمت فوق قصر الرفوف الذي عمّره الأشرف محمد بن قلاوون.

وقد سقطت بعض الأوراق من المخطوط في بعض المواقع من الرسالة وهي: بين الورقة ١٢ ظهر و ١٣ وجه وبين الورقة ١٤ ظهر إلى ١٥ وجه وبين الورقة ٣٦ ظهر إلى ٣٧ وجه.

ونقدر أن عدد هذه الأوراق الساقطة لا يتجاوز ثمانية أوراق وذلك لعدد الكلمات المحدود في الصفحة الواحدة.

وفيما يلي تفصيل لهذا السقوط:

- ورد في تعقيبة الورقة ١٢ ظهر عبارة: لانتشار، إلا أنّ الكلمة الأولى من الورقة ١٣ وجه هي: في التعريف، وهو ما يدلّ على أنّ المؤلّف كان ينقل من كتاب التعريف بالمصطلح الشريف للعمري.

- ورد في تعقيبة الورقة ١٤ ظهر عبارة: مع، إلا أنّ الكلمة الأولى من الورقة ١٥ وجه هي: المال.

كما ورد في الورقة ١٤ ظهر ذكر السادس من أصحاب الوظائف المتصلين بالسلطان وهو أمير مجلس، في حين أنّ في الورقة ١٥ وجه نجد ذكر الثامن من أصحاب هذه الوظائف وهو الدوادار ومن ثم سقطت الورقة المتضمنة بقية الحديث عن الرتبة السادسة وبداية الرتبة السابعة.

في الورقة ١٩ وجه يتحدث المؤلّف في السطرين الأخيرين عن أتباع "أمير رأس نوبة التوب"، وذكر تابعه الأول وهو: رأس نوبة الميسير، ويقول في السطر الأخير من هذه الورقة حول هذا التابع: ... وله الحكم والتصرف كال Amir رأس نوبة التوب ...".

في حين أنّ في بداية الورقة ١٩ ظهر نجد: "ثم ثالث ورابع من الطلاخات والعشرات إلى نحو العشرين" وهذا الكلام لا علاقة له بما ورد في آخر الورقة ١٩ وجه. كما نجد في نفس الورقة ١٩ ظ ذكر العاشر من أتباع أمير رأس نوبة التوب وبالتالي سقطت الأوراق المتعلقة بالأتباع من الرقم ٢ إلى الرقم ٩.

- ورد في التعقيبة في الورقة ٣٦ ظهر: أما مذهب، أي أنه سينذكر رأي فقهاء مذاهب أخرى حول مسألة تولي القضاء، إلا أننا نجد في بداية الورقة ٣٧ وجه قوله: "والقاضي مشتق من قضى الأمر"، وهو لا يتناسب مع ما سبق ذكره في الورقة السابقة.

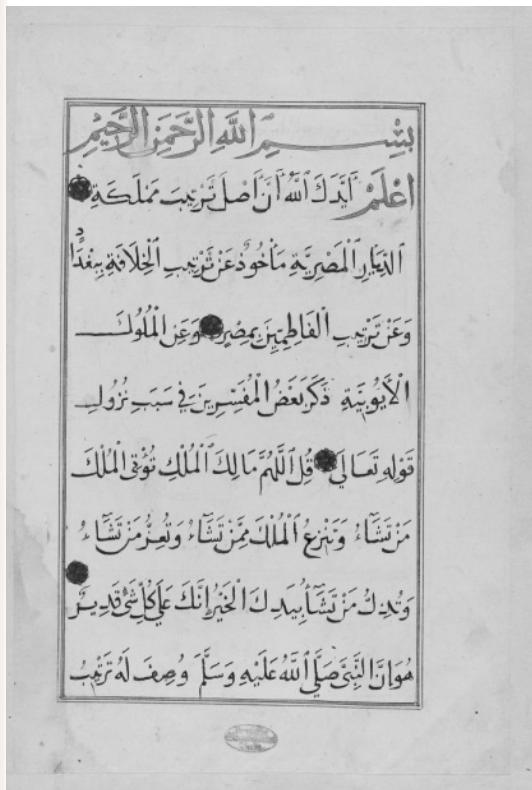
عملنا في تحقيق هذا النص:

حرصنا كلّ الحرص على أن ثبت نصاً صحيحاً كما أراده مؤلفه. فأصلحنا الأخطاء اللغوية والإملائية التي شابت بعض فقرات النص أحلنا عليها في الهامش. وقد رجعنا إلى المصادر التي اعتمدتها المؤلف وقارنا بين ما ورد فيها وما ورد في نص المخطوط وأحلنا على هذه المصادر بالجزء والصفحة، ولم نعرّف بالأعلام الواردة في النص وبخاصة السلاطين والخلفاء الذين تولوا حكم مصر إذ أنّ كتب التاريخ والحواليات بسطت القول حول سيرهم فاكتفيينا بذلك مذكرة حكمهم. وعرّفنا في بعض المواضع ببعض الأماكن كالمدارس والخوانق وبعض العبارات التي قدرنا ضرورة التعريف بها.

كما اعتمدنا مصادر ومراجع وردت فيها المصطلحات المذكورة في المخطوط وأحلنا عليها ذلك تتميمها لفائدة لمن أراد التوسيع فيها.

ونرجو بهذه المساهمة المتواضعة أننا وفقنا في تقديم نص طريف يتعلق بالتنظيم الإداري لدولة المالك بمصر وما التوفيق إلا من الله العلي القدير.

نماذج من المخطوط



رسالة
في ترتيب
مملكة
الديار
المصرية
وأمرائها
وأركانها
وأرباب
الوظائف
لمؤلف
مجهول

ورقة الأولى من المخطوط



ورقة العنوان (الظهرية)



ورقة الأخيرة من المخطوط

نَصُّ الرِّسَالَةِ

[اظ] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِعْلَمْ – أَيْدِكَ اللَّهُ – أَنْ أَصْلَ ترتيب مملكة الديار المصرية مأخوذه عن ترتيب الخلافة ببغداد وعن ترتيب الفاطميين^(١) بمصر وعن الملوك الأيوبيّة^(٢).

ذكر بعض المفسّرين في سبب نزول قوله تعالى: ﴿فَلَأَنَّهُمْ مَلِكُ الْمُلَكِ تُوفِّيَ الْمُلَكُ مَنْ شَاءَ وَتَنْزِعُ الْمُلَكُ مَمَّنْ شَاءَ وَتَوْرِزُ مَنْ شَاءَ وَتُنْزِلُ مَنْ شَاءَ يُبَدِّلُ الْعِيْدَ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٣) هو أَنَّ النَّبِيَّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وُصُّفَ لَهُ ترتيب [٢٠] مملكة الأكاسرة فقل: اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا لِأَمْتِي، فَحَقَّ اللَّهُ لَنَا ذَلِكَ.

وانقلت مملكة الأكاسرة إلى الخلفاء ببغداد ثم إلى الديار المصرية. وفيها الآن بقايا ألفاظهم المفحمة كطشت خاناه وفرش خاناه ودواودار وسلحدار ونحو ذلك. ولما حضر الفاطميون إلى الديار المصرية كان من ترتيبهم ما هو مُسْتَحْسَنْ. ثُمَّ جاءت الدولة الأيوبيّة بمحاسن في الترتيب. ثُمَّ انتقى ملوك الترك من مذهب أولئك أحسنَهُ، فهي الآن [٢٠] أحسن الممالك ترتيباً وأبهجها مَنْظَراً وأكثرها إسلاماً وأشجعها فرساناً وأوحدها ظُفراً ونُصْراً.

ويشتمل ذلك على عشرين باباً.

الأول: حُلَّةُ الْمُلَكِ الَّتِي يَلْبِسُهَا حِينَ يُعْهَدُ إِلَيْهِ بِالسُّلْطَنَةِ: وَهِيَ حُلَّةُ سُودَاءِ وَعِمَامَةٌ مُدَوَّرَةٌ، لطيفة حرير بُعْدَبَةٍ قُدْرُ ذرَاعٍ تُرْسَلُ مِنْ بَيْنِ كَتْفَيْهِ.

وأول من لبس العمامه السوداء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَحِينَ لَبَسَهُ لَهَا أَرْخَى طرفاها بين كتفيه.

ثُمَّ لَبَسَهَا جَمَاعَةُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ – مِنْهُمْ: عُمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ^(٤) [٣٠] وَقَيْسُ بْنُ سَعْدٍ بْنُ عُبَادَةَ^(٥) وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ^(٦) وَقُتْمَ بْنُ الْعَبَّاسِ^(٧). وَكُلُّ مَنْهُمْ أَرْسَلَ طرفاها بَيْنَ كَتْفَيْهِ. ثُمَّ تَبَعَّهُمْ عَلَى

(٤) حكم الفاطميون مصر من سنة ٩٦٩ـ٩٥٨هـ إلى سنة ١١٧١ـ٥٦٧هـ.

(٥) حكم الأيوبيون مصر من سنة ١١٧١ـ٥٦٧هـ إلى سنة ١٢٥٠ـ٦٤٨هـ.

(٦) الآية: ٢٦، سورة: آل عمران.

(٧) عمار بن ياسر العتيقي المذحجي، كان من أقرب وأخير أصحاب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. تَوْفَّى فِي معركة صفين سنة ٦٥٧ـ٣٧هـ. (الاستيعاب في أسماء الأصحاب للقرطبي المالكي، ط دار الكتاب العربي، بيروت ١٣٥٩هـ، ج ٢، ص: ٤٦٩ـ٤٧٤؛ الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، ط دار الكتاب العربي، بيروت ١٣٥٩هـ، ج ٢، ص: ٥٠٦ـ٥٥٠).

(٨) صحابي جليل من أكرم بيوت العرب وأعرقها نسباً. كان ملازمًا للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوْفَّى سَنَة ٦٧٩ـ٥٥٩هـ. (الاستيعاب، ج ٣، ص: ٢١٦؛ الإصابة، ج ٣، ص: ٢٣٩).

(٩) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب وبِلَاقْبَ بَحْرَ الْأَمَّةِ وَفَقِيهِهَا وَتَرْجِمَانَ الْقُرْآنِ. تَوْفَّى سَنَة ٦٨٧ـ٥٦٨هـ. (الاستيعاب، ج ٢، ص: ٣٤٢ـ٣٤٩؛ الإصابة، ج ٢، ص: ٣٢٢ـ٣٢٦).

(١٠) قتمن بن العباس بن عبد المطلب، استشهد بسمارقند سنة ٥٧٦ـ٦٧٦هـ. (الاستيعاب، ج ٣، ص: ٢٦٢؛ الإصابة، ج ٣، ص: ٢١٨ـ٢٦٧).

ذلك الخلفاء العباسيون.

وجبة حرير سوداء واسعة الكمين يسيرًا. وأول من لبسها من الصحابة عبد الله بن العباس وفُتشَ ابن العباس في وقعة الجمل. وتوارث الخلفاء العباسيون لبسها.

وأول سلطان لبس الحلة السوداء بالديار المصرية الملك الظاهر بيبرس البندقداري^(١٣) حين قدم عليه إلى الديار المصرية [٣٧] من بغداد الإمام أمير المؤمنين المستنصر بالله^(١٤) في عام تسع وخمسين وستمائة حين قلد السلطة للظاهر.

وكانت فرجية^(١٥) من الحرير الأسود بتركيبة من الزركش^(١٦) وعمامة سوداء وطوقاً من ذهب. ومن إذ ذاك استقرت حلة الملك من غير زركش ولا طوق وسيف بدّاوي يُنسب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-. بحميلة يتقلّده من أعلى كتفه الأيمن إلى جانبه الأيسر كالعرب.

وأول من تقلّده الظاهر بيبرس مع الحلة السوداء. [٤٠]

الثاني: سرير الملك^(١٧) وهو من رسوم الملوك القديمة.

وأول من اتّخذ ذلك في الإسلام معاوية بن أبي سفيان في خلافته. ثم تنافس الخلفاء والملوك فيه حتى كانت أسرة خلفاء بنى العباس تبلغ سبعة أذرع.

ثم جُعل الآن في القلعة الإيوان^(١٨) من رخام نحوًا من سبعة أذرع. أمّا جلوس الملك بالقصر فإنه يكون على كرسي من خشب لطيف دون الذراعين، وفي غير القصر على كرسي لطيف من حديد يُنقل مع خادم، وربما كان عوضه مدوره.^(١٩)

رسالة
في ترتيب
مملكة
الديار
المصرية
وأمّرائها
وأركانها
وأرباب
الوظائف
لمؤلف
مجهول

(١٢) تولي السلطة من سنة ١٢٦٩هـ / ١٢٦٠م إلى سنة ١٢٧٦هـ / ١٢٧٦م. (النجوم الزاهرة، ج ٧، ص: ١٧٦ فما بعدها؛ السلوك، ج ١، ص: ٥٢٠ فما بعدها).

(١٤) تولي الخلافة من سنة ١٢٦٩هـ / ١٢٦١م الأولى سنة ١٢٦٢هـ / ١٢٦٢م. (تاريخ الخلفاء للسيوطى، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، ط ١، مكتبة الشرق الجديد ببغداد ودار العلوم الحديثة بيروت ١٩٥٢، ص: ٤٧٧-٤٧٨).

(١٥) الفرجية: وهي رداء يُلبس فوق سائر الثياب أو يُلقى على الكفين، وله طوق وأردان طوال، ويكون أحياناً مفرجاً من الأمام من الأعلى إلى الأسفل ومُزّراً بالأزرار. (انظر: المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية، تأليف: د. حسان حلاق ود. عباس صباح، ط ١، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٩٩، ص: ١٦٠).

(١٦) كلمة فارسية مركبة من "زر" بمعنى الذهب و"كش" بمعنى السحب. وفي الاصطلاح: قماش حواشيه مطرزة بخيوط الذهب. (المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ١٠٥).

(١٧) انظر: صبح الاعشى في كتابة الإنشاء للققشندى، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٢٢، ج ٤، ص: ٦.

(١٨) الإيوان: قاعة كبيرة للاستقبال مربعة الشكل تحيط بها الجدران من ثلاث جهات فقط، أمّا الرابعة ف تكون مفتوحة. ويقال أيضاً: ليوان. (المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ٣٠).

(١٩) مصطلح يُطلق في العهد المملوكي للدلالة على صدر المجلس أو الوطاق حيث يجلس السلطان أو الأمير. (المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ٢٠٠).

[٤٤] الثالث: المقصورة^(٢٠) وهي مقصورة بجامع الخطبة بالقلعة لا تفتح لغيره.

وأول من اتّخذ ذلك معاوية بن أبي سفيان وقيل عثمان بن عفان^(٢١).

الرابع: الدّعاء على المنابر بعد الخليفة في الخطبة:

وأول من دُعي له على المنابر مع الخليفة ضد الدولة البويهي^(٢٢) في خلافة الطائع الله^(٢٣).

الخامس: وضع اسمه صَكَّة على النقود ورقم اسمه على قماش كسوة البيت الحرام وعلى الأطزرة^(٢٤).

والصَّكَّة قديمة باسم الملوك قبل الإسلام. والرّقم منقول عن خلفاء الدولتين والفااطميين.

السادس: [٥٥] الغاشية^(٢٥).

وهي غاشية سرج متّخذة من أديم مزركشة بالذّهب يحملها بعض المهاةرة^(٢٦) بين يديه في المواكب الخلفة في طرقه يلتفتها^(٢٧) يميناً وشمالاً.

السابع: المظلة^(٢٨).

ويُعبر عنها بالشتر^(٢٩) وبعض الناس يسمونها القبة. وهي من حرير أصفر خفيف مزركشة بالذّهب، على أعلىها طائر مُموَّه على قبة مُموَّهة تحمل على رأسه في المواكب الخلفة. ولا يؤهّل بحملها إلا ولد السلطان أو أخوه أو أتابك العساكر،^(٣٠) وفي الشام وحلب نائبيها.

الثامن: الرّقبة^(٣١).

وهي [٥٥] متّخذة من قطعة حرير أصفر مزركشة بقدر رقبة الفرس تُكسى بها حين ركوب السلطان عليها في المواكب الخلفة. وكانت الفرس تفعل ذلك.

(٢٠) حاجز خشبي يحيط بالمنبر والمحراب مُخصّص للسلطان وكبار رجال الدولة في المسجد الجامع. (صبح الأعشى، ج ٤، ص: ٧ - المعجم في المصطلحات المملوكيّة، ص: ٢٠٧).

(٢١) في المخطوط: عمار بن عثمان وهو سهو.

(٢٢) أبو شجاع فناخسرو ثانى ملوك بنى بُويه، حكم من سنة ٩٤٩/٥٣٣٨ م إلى سنة ٩٣٨/٥٣٧٢ م.

(٢٣) تولى الخلافة من سنة ٩٣٦/٥٣٦٣ م إلى سنة ٩٧٤/٥٣٨١ م.

(٢٤) انظر: صبح الأعشى، ج ٤، ص: ٧.

(٢٥) انظر: صبح الأعشى، ج ٤، ص: ٧ - المعجم الجامع في المصطلحات المملوكيّة، ص: ١٥٦.

(٢٦) مفتر: مهтар ومهتر وهي فارسية. وهو مصطلح يطلق في العهد المملوكي على كبير كل طائفة من غلمان المخازن السلطانية كمهتر الشرابخانة ومهتر الركاب خانة (انظر: المعجم الجامع للمصطلحات المملوكيّة، ص: ٢١٠).

(٢٧) غير واضحة في المخطوط، وما أثبتناه فهو عن: صبح الأعشى.

(٢٨) انظر: صبح الأعشى، ج ٤، ص: ٨-٧ ؛ المعجم الجامع في المصطلحات المملوكيّة، ص: ٦٠-٦١.

(٢٩) ويقال أيضًا: الجِنْر - بجيم مكسورة -.

(٣٠) هو أكبر الأمراء المقدّمين بعد النائب في الدولة المملوكيّة. (انظر: صبح الأعشى، ج ٤، ص: ١٨).

(٣١) انظر: صبح الأعشى، ج ٤، ص: ٨.

وهما أوجاقيان أشقران عليهما قباون أصفران من حرير، وعلى كلّ منها طرزاً^(٣٣) زركش وُكوفية زركش، وتحتها فرسان قرطاسان^(٣٤) يركبا بين يديه في المواكب الحفلة بازتهاشاتٍ من زركش حتى يكون الملك في طريقهما حداراً من جفيرة يعبر فيها فرس الملك.

العاشر: العصائب^(٣٥)

وهي ريات من حرير مزركشة، ورأي^(٣٦) في [٦٥] رأسها خصلة من شعر وريات صفر من حرير يسمون الصناجق.

وكان لواء النبي -صلى الله عليه وسلم- أبيض.

الحادي عشر: الشبابة:

مُتّخذة من يراع يزيد عن شبر يصيّت بها بين يديه في المواكب الحفلة، وربما كان عوضها بوق من فضة أو نحاس يصيّت بها إذا كان الملك خارج القلعة.

الثاني عشر: الأوزان:

والرأي فيه مسوبيه^(٣٧) - بالصاد-، وهي آلة أعمجية للطرب يضرب عليه في المواكب الحفلة. [٦٦] والضارب به متكلّم بالتركية في شيء تواريخت الملوك السالفة وأصحاب الواقع والشجعان، وعلى نحو ذلك الشّعراء بالدّف والموصول والكمنجاه، وهم على نوبتين في المواكب الحفلة.

الثالث عشر: الجاوشية^(٣٨):

وهم أربع نفر من الجناد فرسان يصيّتون بين يدي الملك في المواكب الحفلة بالنوبة، وركوبهم وتصبّيّتهم على نوبتين:

(٣٢) كذا في المخطوط، وفي صبح الأعشى: الجُفْتَاه من جُفت (فارسية) أي: الزوج (التعريف بالمصطلح الشريف) لابن فضل الله العمري، عني بتحقيقه وضبطه وتعليق حواشيه محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٨، ص: ٢٧٨؛ صبح الأعشى، ج٤، ص: ٨؛ المعجم الجامع في المصطلحات المملوكيّة، ص: ٦٣.

(٣٣) الطراز: الرداء المُحلّى بأشكال من التّطريز المتشابكة وخاصة الرداء المزین بالأشرطة المطرزة بالكتابات، كان من أردية المسلمين والأمراء والأعيان في الدولة المملوكيّة. (المعجم الجامع في المصطلحات المملوكيّة، ص: ١٤٣).

(٣٤) كذا بالمخطوط، وفي صبح الأعشى: وتحتها فرسان أشبيان.

(٣٥) التعريف بالمصطلح الشريف، ص: ٢٧٦؛ صبح الأعشى، ج٤، ص: ٨، وفيه: الأعلام؛ المعجم الجامع في المصطلحات المملوكيّة، ص: ١٥٢.

(٣٦) أي: ورأي منها.

(٣٧) كذا في المخطوط، ولم نهند للمعنى المقصود، ولعله يريد أن يقول: وصوابه بالصاد؛ أي الأوصان ولم نهند إلى هذا المصطلح في المصادر.

(٣٨) المعجم الجامع في المصطلحات المملوكيّة، ص: ٥٩.

الأولى: يقول: "بسم الله يرى بك لا راسها صلعا براراً"، [٧٦] والثانية: يقول: "لرن بك لار".

الرابع عشر: الطّبُرداريَّة: (٣٩)

وهم جماعة من أولاد الجندي عليهم أمير بمقام رأس النوبة عليهم، يحيطون بالملك يميناً وشمالاً حين رُكوبه، مُعدّون لضرب عدوٍ يقرب منه من غير إذن، وهم عشرة نفر.

الخامس عشر : نجمة الملك . (٤٠)

وفي أيام المواكب الحفلة تكون نِمْجَاتٌ متلاصقان في جفير^(٤١) واحدة يحملها الجوكردار أحد الخواص من الأمراء يقف بها إلى جانب الملك عن يساره، ونمة أخرى قائمة إلى جانبه، وربما توكل علىها الملك [٧٧] وقد يقارنها ترسٌ صغير من فولاذ يحمله أحد الخاصكيّة.^(٤٢)

السادس عشر : الزَّرَدِيَّة . (٤٣)

وهي زَرَدِيَّة داوِيَّة يُلْبِسُها تحت قِمَاشِه إِذَا كَانَ فِي تَسْبِيرٍ أَوْ مُوكِبٍ، جُعِلَتْ اِحْتِرازًا مِنْ عَدُوٍّ غَادِرٍ.

السابع عشر : الكراة (٤٤)

وهي خرقـة من شـاش مـلـفـوفـة بـقـدر ثـلـث ذـرـاع تـجـعـل بـيـن الـكـافـيـة^(٤٥) وـالـشـاش^(٤٦) مـن جـهـة الـيـسـار، وـرـبـما اـتـخـذـها بـعـض الـمـلـوـك مـن زـرـكـش. وـمـا اـتـخـذـها إـلـا مـلـوـك الـدـوـلـة الـتـرـكـيـة بـمـصـر.

(٣٩) الكلمة مركبة من "طبر" بمعنى الفأس و"دار" بمعنى الحامل أو الممسك. (انظر: التعريف بالمصطلح الشريف، ص: ٢٦٥ وفيه: الطّبرزин وهو الطّبر -فارسية- أي: الفأس؛ صبح الأعشى، ج ٢، ص: ١٥٠؛ المعجم الجامع في المصطلحات المملوكيّة، ص: ١٤٣).

^{٤٠} المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ٢٢١؛ معجم دوزي (تكميلة المعاجم العربية) لرينهارت دوزي، ترجمه إلى العربية وعلق عليه د. محمد سليم النعيمي، دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٨٠، ج ١٠، ص: ٣١٢.

(٤) في لسان العرب: الجفير جعبة من جلود لا خشب فيها أو من خشب لا جلد فيها. وفي معجم دوزي: الجفير غمد السيف. (لسان العرب لابن منظور، ط. دار المعارف بمصر، ١، ص: ٦٤٠؛ معجم دوزي، ج ٢، ص: ٢٣٠).

(٤٢) **الخاصة:** جماعة من المماليك السلطانية يختارهم السلطان من مماليكه الأجلاب ويتميزون عن غيرهم من المماليك بحملهم سيفهم بعد الخدمة ويتأنقون في مركوبهم وملبوسهم. (المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ٧٦-٧٧؛ معجم دوزي، ج، ص: ٩).

^{٤٣} المعجم الجامع في المصطلحات المملوکية، ص: ١٠٥.

(٤٤) معجم دوزي، ج ٩، ص: ٥٥، ويقول: "... وهي زينة خاصة بالسلطين المماليك".

(٤٥) كذا بالمخطوط، وفي معجم دوزي: كلفة، وهي الطاقية بشرط. (معجم دوزي: ج ٩، ص: ١٢٥). وفي المعجم الجامع في المصطلحات المملوکية: كُلُّوْه (فارسية) وتعني القبعة، وهي عبارة عن قبة محشوة بالقطن كان يغمرها أمراء الجند في العهد المملوکي. (ص: ١٨٩).

(٤) هو القماش الرقيق على طرفيه حرير أبيض ترقم عليه ألقاب السلطان على شكل نقش ملوّنة.

(انظر: معجم دوزي: ج ٦، ص: ٣٧٩ - المعجم الجامع في المصطلحات المملوكيّة، ص: ١٢٣).

[٨] وهي شقق مُتّخذة من الحرير الأصفر والأحمر المسمّط، تُقرش تحت قوائم فرس الملك خاصة حين قدومه من سفر بعيد يمّر عليها من باب النصر^(٤٨) أو من بين العروستين إلى باب الستار^(٤٩) بقلعة الجبل،^(٥٠) فإذا مرّ عليها الملك بفرسه قطّعت وأخذتها الحمدارية.^(٥١)

التاسع عشر: الْحِمْقَدَار: (٥٢)

اسم مركب من لغتين، تركية وهي: جُمْق وهو: الدبّوس، وفارسية: دار وهي: مُمْسِك. وشرطه أن يكون حسن الشكل عظيم الهيئة مُهاباً. يقف في أيام المواكب الحفلة [ظ] إلى جانب الملك من الجهة اليمنى رافعاً^(٥٣) يده ببعض تماثيل بدبوس كبير الرأس مُموّه بالذهب، شاخصاً بيصره إلى بصر الملك لا يشخص لغيره إلى حين قيام الملك من مجلسه.

العشرون: نوبة خاتون: (٥٤)

وهي من المفراحات يجمع فيها بالقلعة في كلّ ليلة أصحاب آلات الطّرب يقوم فيها أحد مماليك نائب القلعة بقمash كامل وبيده عصاً مُذَهْبَة وبين يديه فانوس صغير يحمله أحد البابية وينقله بخفة ورشاقة ليُطابق فعله ضرب وقوع الآلات [٩٦] وفي السفر يكون قائماً فيها أمير جندار^(٥٥) فيدور بالمدورة^(٥٦) والشقة.^(٥٧)

ونذكر ثمانية مقاصد:

المقصد الأول: في ذكر أرباب السيوف، وهم على ست طباق.

(٤٧) المعجم الجامع في المصطلحات المملوكيّة، ص: ١٢٧؛ معجم دوزي: ج٦، ص: ٣٣١.

(٤٨) هو بوابة حجرية ضخمة محسنة بُنيت جنوب باب الفتوح وشيدّها جوهر الصقلي. (انظر حوله: خطط المقرizi: ج٢، ص: ١٠٠).

(٤٩) كان هذا الباب بين ظاهر جامع القلعة الذي أنشأه محمد بن قلاوون وبين دور الحريم السلطاني. (صبح الأعشى: ج٣، ص: ٣٧١).

(٥٠) انظر حولها: خطط المقرizi: ج٣، ص: ٣٤ فما بعدها؛ صبح الأعشى: ج٣، ص: ٣٧٢ فما بعدها.

(٥١) فارسية، من "جامه" أي: اللباس، و"دار" أي: المسؤول، وهم المسؤولون عن لباس السلطان. كما تعني أيضاً فرقة من الحرس السلطاني. (المعجم الجامع في المصطلحات المملوكيّة، ص: ٦٧).

(٥٢) المعجم الجامع في المصطلحات المملوكيّة، ص: ٦٥.

(٥٣) في المخطوط: رافع.

(٥٤) المعجم الجامع في المصطلحات المملوكيّة، ص: ٢٢١.

(٥٥) هو الأمير الذي يستأذن على دخول الأمراء للخدمة ويدخل أمامهم إلى الديوان ويقدم البريد مع الدوادار وكاتب السر. (صبح الأعشى: ج٤، ص: ٢٠؛ المعجم الجامع في المصطلحات المملوكيّة، ص: ٢١).

(٥٦) المدورّة: صدر المجلس أو الوطاق حيث يجلس السلطان. (المعجم الجامع في المصطلحات المملوكيّة، ص: ٢٠٠).

(٥٧) الشقة: الخيمة الكبيرة المستديرة.

الأولى: الأمراء المقدّمون، وكلّ منهم مُقدّم على ألفٍ، ومُضافاته مائة فارس.

قال في مسالك الأنصار: "وربما زاد المُضاف العشرة والعشرين"^(٥٨) وكانوا إلى أثناء دولة المؤيد أربعة وعشرين مقدّماً بنائب ثغر الإسكندرية وباثني الوجهين القبلي والبحري.

قال في مسالك [٩٦] الأنصار: "إن أكبّر الأمراء المقدّمين يقطع إقطاع الواحد منهم مائتا ألف دينار جيشية وربما زادت على ذلك"^(٥٩).

وفي زماننا غاية ما يبلغ إقطاع المقدّم خالصاً ألف دينار خارجاً عن المَعْلَم، وربما اجتمع للأتابكي^(٦٠) تقدّمتان^(٦١) ولغيره تقدّمه وطلبخاناه أو عشرة. ويتوّلون أنسى الوظائف.

الثانية: أمراء السّبعينات وفوقهم أمراء الثمانين.

وهم الذين يضاف إليهم السبعون أو الثمانون ويكون قريباً^(٦٢) من التقدّمة، وقد يكونون من أقارب [١٠] الملك، وهو بقدر أميرٍ طبلخاناه ومنها يرتقي إلى التقدّمة.

قال في مسالك الأنصار: إنه من أمراء الطلبخانة ولكنّه يُزداد إلى سبعين وإلى ثمانين.^(٦٤)

الثالثة: أمراء الطّبلخانة:^(٦٥)

والمضاف كلّ منهم إلى أربعين، وهو الذي كانت تدقّ الطبلخانة على بابه. لكن قال في "التعريف" في أواخر المكتبات: أنه يكون للواحد منهم ثمانون فارساً.^(٦٦)

وهذه الطبقة لا ضابط لعدّة أمرائها. وإقطاع كلّ منهم يبلغ إلى ثلاثين [١٠ ظ] ألف دينار جيشية.^(٦٧)

(٥٨) مسالك الأنصار في ممالك الأنصار لابن فضل الله العمري، تحقيق كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية بيروت، ج ٣، ص: ٢٨٧، وعبارة العمري: وربما زاد بعضهم بالعشرة فوارس والعشرين.

(٥٩) هو الملك المؤيد أبو النصر شيخ بن عبد الله محمودي الظاهري سادس سلاطين الدولة المملوكية. توّلى السلطة من سنة ١٤١٥ هـ / ١٤١٢ م إلى سنة ١٤٢٤ هـ / ١٤٢١ م.

(٦٠) مسالك الأنصار: ج ٣، ص: ٢٨٨. وحول الإقطاع انظر: المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ١٩.

(٦١) الأتابك: كلمة تركية وتعني الوصي على الأمير ومدبر المملكة، ثم أصبح لقباً لكتاب الأمراء.

(معجم دوزي: ٨٠/١ – المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ١٢).

(٦٢) التقدّمة: انظر حولها: معجم دوزي: ج ٨، ص: ٢٠٢.

(٦٣) في المخطوط: قريب.

(٦٤) في مسالك الأنصار: وقد يوجد فيهم من له أزيد من ذلك إلى السبعين. (مسالك الأنصار: ج ٣، ص: ٢٨٧).

(٦٥) الطلبخانة (أو الطلبخاناه): لفظ مرکب من الكلمة طبل العربية وكلمة خانه الفارسية الدار، أي: دار الطبلول. وتعني هنا مخازن الطبلول والآلات الموسيقية المعدّة للنوبة والمواكب السلطانية. (صبح الأعشى: ج ٤، ص: ١٨؛ معجم دوزي: ج ٧، ص: ٢٤؛ المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ١٤٣).

(٦٦) التعريف بالمصطلح الشريف، ص: ١٠٣.

(٦٧) الدنانير الجيشية: هي عملة اسمية كان يستعملها أهل ديوان الجيش في عبرة الإقطاعات بأن يجعل لكلّ إقطاع عبرة دنانير معبرة من قليل أو كثير.

قال: وينقص إلى ثلاثة وعشرين ألف دينار".

وهم في زماننا لا يدق لهم طبلخاناه إلا إذا توجّهوا في ممّ شريف لكشف جسور أو قبض غالٍ ونحو ذلك.

الرابعة: أمراء العشرات:^(٦٨)

والمضاف إلى كلّ منهم عشرة فرسان.

قال في مسالك الأبصار: "وربما كان منهم من له عشرون فارساً، ولا يُعد إلا في أمراء العشرات.^(٦٩) ولا ضابط إلى عدد أمرائها بل يزيدون وينقصون، ويبلغ الواحد [١١ او] منهم تسعة آلاف دينار إلى ما دون ذلك.

الخامسة: أمراء الخمسات:^(٧٠)

والمضاف إلى كلّ منهم خمسة فوارس، وهم قليلون.^(٧١) وأكثر ما يقع ذلك في أولاد الأمراء رعاية لأبائهم. ويبلغ إقطاع الواحد منهم ثلاثة آلاف دينار جيشية.

السادسة: الجُند:

وهم على ضربين:

الأول: جند الحلقة^(٧٢) ولم يكن عليهم خدمة إلا في المهامات السلطانية. وكانت عدّتهم تبلغ إلى إثنى عشر ألف نفر ثم تناقصت، ولا ضابط لهم، ولا يُماثل، فإنّ الواحد منهم [١١ ظ] يكون له مع ...^(٧٣) بقدر سبعة أو ثمانية من رزق الشجعان وبالعكس، ومنهم من يُسمّه عشرة دنانير جيشية ولا لها مُتحصل وبالعكس. والمقدمون من جند الحلقة في زماننا تبلغ عدّتهم أربعين مُقدّماً شيوخاً لهم قدّم هجرة ورأي مُسدّد ووجهة في العسكر يحضرون بالمواكب الحافلة بالإيوان ويكونون باشات على مقطعي الحلقة في السفر في المهامات الشريفة.

(٦٨) التعريف بالمصطلح الشريف، ص: ١٠٥؛ صبح الأعشى: ج٤، ص: ١٥ وفيه أنّهم من الطبقة الثالثة؛ المعجم الجامع في المصطلحات المملوكيّة، ص: ٢٢.

(٦٩) مسالك الأبصار: ح٣، ص: ٢٨٧.

(٧٠) المعجم الجامع في المصطلحات المملوكيّة، ص: ٢١.

(٧١) في المخطوط: قليلين.

(٧٢) حول جند الحلقة انظر: زبدة كشف الممالك وبيان طرق المسالك لابن شاهين الظاهري، اعتنی بتصحیحه بولس راویس، ط٢، دار العرب للبستانی، القاهرة ١٩٨٨، ص: ١١٥؛ صبح الأعشى: ج٤، ص: ١٥.

(٧٣) غير مقروءة في المخطوط ولعلّها: جنبه.

الثاني: المماليك السلطانية: (٧٤) وينسب جميعهم إلى اللقب الملكي القائم بالملك [١٢ ظ] وإن لم يكونوا مُشتراه على وجه الإطلاق، ويتميزون في التفضيل بتجارهم أو مُعاقبيهم. وهم على ست مراتب: الأولى: **الخاصكية:** (٧٥) جعل ذلك علماً عليهم؛ لأنهم يحضرون على الملك في أوقات خلواته وفراجه وينالون من ذلك ما لا يناله أكابر المُقدّمين، ويحضرون طرفي كل نهار في خدمة القصر والإسطبل، ويركبون لركوب الملك ليلاً ونهاراً، ولا يتخلّفون في قرب ولا بعد، ويتميزون عن غيرهم في الخدمة بحملهم سيفهم ولباسهم الطرز الزركش ويدخلون [١٢ ظ] على الملك في خلوته بغير إذن ويتوجّهون في المهامات الشريفة، ويتألقون في مركوبهم وملبوسهم. وكانوا في القديم لا يزيدون على أربعة وعشرين بعدد الأمراء المُقدّمين، والآن فهم يزيدون على الأربع مائة. ولهم الرزق الواسع والعطايا الجليلة من الملوك ومن هذه الإمارة.

الثالثة: الجمدارية: (٧٦) واحدهم "جام"، وهو بالفارسية الثوب، ودار: ممسك.

وهم دون الخاصكية في الرتبة والخدمة ولم يزالوا مؤيدين على الوقف في الخدمة ... (٧٧)

النائب الكافل: (٧٨) [١٣] في التعريف: (٧٩) وهو يحكم في كل ما يحكم فيه السلطان ويعلم في التقليد والمراسيم (٨٠) والتواقيع والمناشير وغير ذلك.

قال: وهذه رتبة لا يخفى ما فيها من التمييز". (٨١)

قال في مسالك الأبصار: "يُعين أرباب الوظائف الجليلة ككتامة السرّ والوزارة وقل أن لا يُجاذب فيما يُعيّنه ويخرج الإقطاع الذي عبرته خسمائة دينار من غير زيادة. ويکاد أن يكون السلطان الثاني". (٨٢)

(٧٤) يقول الفلقشندي: "وهم أعظم الأجناد شأنًا، وأرفعهم قدرًا وأشدّهم إلى السلطان قربًا، وأوفرهم إقطاعًا، ومنهم ثُورٌّ الأمراء رتبة بعد رتبة...". (صبح الأعشى: ج ٤، ص: ١٥-١٦).

ويقول ابن شاهين: "وأمّا بقية المماليك السلطانية... منهم أصحاب وظائف والباقي بغير وظيفة، فأصحاب الوظائف منهم جملة مثل السقاة والسلامدارية والطبردارية والجمدارية والجاشنكيرية وأمراء المشوّي والبريدية... وبقيتهم بغير وظيفة، والجميع ثلاثة فرق مشتّرات، وهم المنصوبون إلى السلطان المستقر، وهم المنصوبون إلى سلاطين المتقدمة وسيفية وهم المنصوبون إلى الأمراء المتقّدين". (زبدة كشف الممالك، ص: ١١٦).

(٧٥) انظر: زبدة كشف الممالك، ص: ١١٦-١١٧.

(٧٦) الجمدار هو المسؤول عن لباس السلطان.

(٧٧) ينتهي الكلام إلى هذا الحد حول الجمدارية؛ وذلك لسقوط أوراق في المخطوط ومن ثم سقط الحديث عن بقية الرتب الداخلة في هذا الباب من أرباب السيفوف.

(٧٨) أضفناها لأنّ السياق يقتضيها.

(٧٩) من قوله: في التعريف: وهو يحكم... يتعلق بالنائب الكافل كما ورد في صبح الأعشى والتعريف بالمصطلح الشريف. والنائب الكافل هو من أرباب الوظائف من أرباب السيفوف الملائم للسلطان. انظر: صبح الأعشى: ج ٤، ص: ١٦ فما بعدها.

(٨٠) غير واردة في كتاب التعريف.

(٨١) التعريف بالمصطلح الشريف، ص: ٩٤.

(٨٢) مسالك الأبصار: ج ٣، ص: ٣٠٦ (بتصرف).

وقد أهملت هذه الوظيفة من أيام الناصر فرج في عام ... وثمانمائة^(٨٣) [١٣٦] وتقليده في الثنين.

واختار صاحب التعريف أن يجمع له في تقليده ذكر النيابة والكافلة^(٨٤)

الثاني: الأتابكي^(٨٥) وأصله بالتركية أطابك أي: أب أمير^(٨٦) وهو غالباً لا يكون إلا مع عدم النائب الكافل.

قال المؤيد صاحب حماه^(٨٧) وأول من لقب بذلك وزير ملكشاه بن ألب أرسلان السُّلْجُوقِي^(٨٨) حين فُوض إليه تدبير المملكة عام خمس وخمسين وأربعين مائة.

الثالث: الأمير الكبير: وهو لقب على أكبر الأمراء في زماننا وأعظمهم وأقربهم إلى [٤ او] الملك مخاطبة وجلوساً وركوبياً. ويستشيره السلطان في مهمات المملكة ويعول على رأيه.

وأول من لقب بذلك الأمير شيخون حين بلغ نهاية ما صار إليه. وقد صار لقب الأتابكي علماً عليه غالباً عند فقد الأتابكي، ولم يكن لوظيفته تقليد. ويكتب له توقيع بنظر المارستان في قطع النصف، وربما أضيف إليه النظر على خانقاه سعيد السعداء^(٨٩).

الرابع: رئيس نوبة الأمراء: وهو لقب قائم على أمير قائم على الأمر والنهي والحكم [٤٦] عليهم فيما بينهم. ويجلس من مجلس السلطان برأس الميسرة. وتبطل هذه الوظيفة أحياناً وتعمّل أحياناً ولا يكتب لها تقليد.

الخامس: أمير سلاح^(٩٠) من أكابر الأمراء، وله التحدّث على السلاح دراية والسلاح خاناه، يجلس عند الملك بمنزلة رئيس نوبة الأمراء عند فقده. ولا تبطل هذه الوظيفة ولا يكتب لها تقليد.

(٨٣) كذا في المخطوط، وقد حكم الناصر فرج من سنة ١٣٩٩هـ/١٢٠١م إلى سنة ١٤١٢هـ/٨١٥م.

(٨٤) التعريف بالمصطلح الشريف، ص: ٩٥.

(٨٥) انظر: صبح الأعشى: ج ٤، ص: ١٨.

(٨٦) كذا في المخطوط، وفي بعض المصادر: أمير أب وكذلك: الولد الأمير. انظر مثلاً: صبح الأعشى: ج ٤، ص: ١٨.

(٨٧) وهو المؤيد عماد الدين صاحب كتاب المختصر في أخبار البشر.

(٨٨) وهو الوزير نظام الملك علي بن إسحاق الطوسي، وتولى الوزارة من سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٤م إلى سنة ٤٥٨هـ/١٠٩٢م. (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، ج ٢، ص: ١٢٨-١٣١).

(٨٩) وتعرف أيضاً بالخانقاه الصلاحية، كانت أولًا دارًا تعرف بدار سعيد السعداء أحد خدام القصر المحنكين وعتيق الخليفة المستنصر. وهي أول خانقاه عملت بالديار المصرية وعرفت بدويورة الصوفية ونعت شيخها بشيخ الشيوخ. انظر حولها: خطط المقريزي (المواضع والاعتبار بذكر الخطط والآثار) لتقى الدين المقريزي، تحقيق د. محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩٨، ج ٣، ص: ٥٧٠. فما بعدها؛ الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وببلادها القيمة والشهيرة لعلي باشا مبارك، ط١، المطبعة الكبرى للأميرية، بولاق ١٣٠٦هـ، ج ٦، ص: ٥٠.

(٩٠) مسالك الأبصار: ج ٣، ص: ٣٠٨؛ المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ٢٢.

ال السادس: أمير مجلس: والأفضل التعريف فيقال: أمير المجلس، وتكون الألف واللام للعهد.

(٩٢) وهو ثالث منزلة من الأمير الكبير ويضاف [١٥] مع المال وعلى السراخورية^(٩١) والشخناه^(٩٢) والركابة^(٩٣) والأوجاقية^(٩٤) والمهاترة والركبدارية^(٩٥) والهجانة^(٩٦) ومقدميها والسيروانية^(٩٧) والنفر^(٩٨) والغلمان^(٩٩) والسياس^(١٠٠) والعليق^(١٠١) والعلوفات^(١٠٢) والأتبان وقمash الخيول والبغال والهجن والجمال والبياطر والسقائين.

ومقرّته بباب السلسلة^(١٠٢) ويُسند إليه نظر البرقوقة^(١٠٣) والقانباهية^(١٠٤) وخانقاه قوصون^(١٠٥).

الثامن: الدوادار.

(٩١) السرآخور هو القائم على العالف للاصطبلات السلطانية. (المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ١١٢).

(٩٢) لعل المقصود: الشحنة: جماعة من العسكر الشرطة يسمى قائدتها رئيس الشحنة أو صاحب الشحنة. (انظر: التعريف بالمصطلح الشريف، ص: ٨١؛ معجم دوزي: ج ٦، ص: ٢٧٠؛ المعجم في المصطلحات المملوكية، ص: ١٢٥).

(٩٣) لم نهتد إلى المعنى المقصود. ولعل المقصود ما أوردده دوزي في معنى ركب: وضع الحديد في حافر الفرس أو الذي يربّك السلطان على الفرس أو صاحب الركاب وهو مروض الجياد. (معجم دوزي: مادة ركب: ج ٥، ص: ٢٠٢ و ٢٠٣).

(٩٤) الجنود الذين يمشون أمام موكب السلطان.

(٩٥) من ركاب خانه أي دار الركاب وهي الدار التي تحفظ فيها الركائب والخيول والسرورج المعدة للركب السلطاني، وكذلك من ركابدار أي أحد حملة الغاشية ومتولى الركاب خانة.

(انظر: معجم دوزي: ج ٥، ص: ٢٠٥؛ المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ١٠٠).

(٩٦) لعل المقصود هنا المشرفون على الخيل الهمجيون.

(٩٧) كذا في المخطوط، وفي المعجم الجامع للمصطلحات المملوكية: السريبوران: فارسية من "سر" أي الرئيس، و"ياور" أي المساعد، وهو رئيس المرافقين القائمين على خدمة السلطان (ص: ١١٤-١١٥).

وورد أيضاً في معجم دوزي: السيران: مكان التنزه (ج ٦، ص: ٢٠٦) وكذلك في المعجم الجامع للمصطلحات المملوكية، ص: ١٢٠، فلعل المقصود أيضاً المشرف على مرافقه السلطان وقت نزهته.

(٩٨) يقول ابن شاهين: غلمان ممالئك ونقباء غلمان الجميع من تعلقات الاصطبل. (زينة كشف الممالك، ص: ١٢٤).

(٩٩) ساس الدواب: قام عليها وروضها (سان العرب مادة: سوس).

(١٠٠) العليق: علف الدواب من الشعير. (معجم دوزي: ج ٧، ص: ٢٨٤).

(١٠١) العلوفة: مؤونة الطعام الضرورية لغذاء الدواب. (معجم دوزي: ج ٧، ص: ٢٨١؛ المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ١٥٤).

(١٠٢) خطط المقرizi: ج ٢، ص: ٢٨١-٢٨٢.

(١٠٣) المدرسة البرقوقة: أنشأها السلطان الظاهر بررقق وابتدىء في عمارتها سنة ٧٨٣ هـ / ١٣٨٢ م. (الخطط التوفيقية: ج ٦، ص: ٣).

(١٠٤) كذا بالمخطوط، ولم نهتد إلى هذه المدرسة.

(١٠٥) أنشأها الأمير سيف الدين قوصون وكملت عماراتها سنة ٧٣٦ هـ / ١٣٥١ م. فرر بها جماعة من الصوفية. (خطط المقرizi: ج ٣، ص: ٥٩٤-٥٩٥).

قال في مسالك الأنصار: (١٠٦) "وهو الذي يُبلغ الرسالة وعامة الأمور عن السلطان ويقدم القصص (١٠٧) ويتناول [٥١] ظ[العلامة] (١٠٨) ويشارر على من يحضر إلى سلطنه وعلى الأمور المهمة. وكان يكتب على القصص إشاراته بالإقطاعات قبل كتابة ناظر الجيش عليها بالكشف. وكان يُخرج التواقيع والمراسيم بالوظائف الجليلة ويعلق الرسالة لاستخراج الأمثلة بما يراه. ويتحدث على الإقطاعات والرزق والجند. ويتحدث على الأحباس بتشريف يلبسه من ثاني موكب استقراره. وله التحدث مع كاتم السر على المؤدية وما يضاف لها.

وكانت هذه الوظيفة في القديم أميرها لا يتعدى إمره الطبلخانه إلى أيام [٦١] الناصر حسن (١٠٩) فاستقر في الدوادار الأمير طغبتمر النجمي (١١٠) بتنقدمة ألف، ومن تلك الأيام وهو مقدم. وقد أورد له في التعريف وصيّة تدل على أنه كان يكتب، وله تقليد وله أتباع دونه ويطلق على كلّ منهم دواداراً مثلهم. الدوادار الثاني: يتصرف في الحكومة قُرْبًا وبُعْدًا، ويكتب بخلاص الحقوق ويشاور على الأمور المهمة، ولا يكتب في استخراج أمثلة ولا يعلق رسالة ثم بقية الدوادارية ثالث ورابع إلى عشرة.

الناسع: المشير: (١١١)

والإشارة وظيفة [٦١] ظ[حادته] لم تُعهد قديماً. ومتولّيها يتكلّم على الدواوين السلطانية وما يرد عليها وما يصدر منها، فلا يتصرف مباشرونها في أمر مهمّ فيما يتعلق بالمال إلا برأيه وشوره. وهي تُعمل أحياناً وتُبطل غالباً.

رسالة
في ترتيب
مملكة
الديار
المصرية
وأمرياتها
وأركانها
وأرباب
الوظائف
لمؤلف
مجهول

(١٠٦) صبح الأعشى: ج ٤، ص: ١٩؛ مسالك الأنصار: ج ٣، ص: ٣٠٩ (بتصرف)؛ المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ٩٢-٩١.

(١٠٧) أي رقاع المتظّلين.

(١٠٨) مصطلح يطلق على التوقيع أو الخاتم أو الطغراء يختارها السلطان ويستعملها في كافة الكتب والمراسلات الصادرة عن ديوان سلطنته. (مسالك الأنصار: ج ٣، ص: ٢٩٩-٢٩٨؛ المعجم الجامع للمصطلحات المملوكية، ص: ١٥٣).

(١٠٩) السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون، تولى الحكم سنة ١٣٤٧هـ / ٧٤٨ م ولم يبلغ بعد ثلاثة عشر سنة، ولم يكن له في أمر الملك شيئاً بل كان الأمر بيد أمرائه، ثم اعتقل ثم أعيد إلى السلطنة في سنة ١٣٥٤هـ / ٧٥٥ م وظل متربعاً على كرسي السلطنة حتى سنة ١٣٦١هـ / ٧٦٢ م. (النجوم الزاهرة: ج ١٠، ص: ١٤٨ فما بعدها؛ السلوك: ج ٤، ص: ٥٨ فما بعدها وص: ٢٠٧ فما بعدها).

(١١٠) طغبتمر بن عبد الله النجمي الدوادار، صاحب الخانقاه النجمية خارج باب المروق بالقاهرة. (النجوم الزاهرة: ج ٣، ص: ١٣٨).

(١١١) تأتي مرتبة المشير بعد مرتبة النائب الكافل والوزير، ومهتمه الإشارة بالرأي على السلطان. (المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية: ٣-٢٠٤).

العاشر: الوزير^(١٢): وأول وزير لقب في الإسلام أبو سلمة الخلال^(١٣) حين وَزَرَ لأبي العباس عبد الله السفاح^(١٤) على ما تقدّم.

وقد اختلف في اشتغال اسمه، فقيل: من الْوَزَرَ وهو المُلْجَأ؛ لأنَّ الناس يلجؤون إليه في حوائجهم. وقيل من الْوَزَرَ، وهو الْقِلْ، لأنَّه يتکفل بأثقال الملك. وقيل من الأوزار [١٧ و١٨]، وهي الأمتعة؛ لأنَّه يتکفل بأمتعة الملك وما في خزائنه. وقيل من الأَزْر، وهو الظَّهْر، لأنَّ الملك يتقوى به تقويَّ البدن بالظاهر.

والوزارة هي أعلى الوظائف وأسناها بعد السلطة.

قال في مسالك الأ بصار: وصاحبها هو باب الملك المقصود ولسانه الناطق ويده الباطشة. فلما حدث عليها النيابة تأخر بعض أمرها وقعد به أمر النائب حتى صار مُتَوَلِّها لا يتسع له في التصرف مُحالاً ولا يمتد له يد في ولاية ولا عزل.^(١٥)

والوزارة على ضربين:

وزارة تفويض ووزارة تنفيذ.

[١٧] وسيأتي الكلام عليهما في قسم الولايات - إن شاء الله تعالى -.

والوزارة على جنسين:

- الأول: إذا كان رب سيف فيقتصر في العلمية عليه بالوزير لا بالصاحب. ويكون قائماً في مجلس السلطان مع الأمراء المقدمين، وتدق له طبلخانه ويتصرف في جميع أمور الدولة، إلا أن تعلق الحسابات والتوازيع وضبط أصول المال والخصم والاستحقاقات مختص بناظر الدولة.

- الثاني: إذا كان متعمماً يُلقب بالصاحب ويضاف في ألقابه الوزير.

وأول من لقب [١٨] بالصاحب ابن عباد^(١٦)؛ لأنَّه كان يصحب ابن العميد^(١٧) قبل وزارته، فلما

(١٢) سقطت من المخطوط. حول الوزارة انظر: الأحكام السلطانية للماوردي، طبعة مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت ١٩٨٩، ص: ٣٠، فما بعدها؛ تحفة الوزراء لأبي منصور الشعابي، تحقيق حبيب علي الرواوى ود. ابتسام مرهون الصفار، ط١، الدار العربية للموسوعات، بيروت ٢٠٠٦، ص: ٣٩، فما بعدها؛ زبدة كشف الممالك، ص: ٩٣، فما بعدها؛ صبح الأعشى: ج٤، ص: ٢٩-٢٨؛ مسالك الأ بصار: ج٣، ص: ٣٠٩-٣١٠.

(١٣) أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال الهمданى المتوفى سنة ١٣٢ هـ / ٧٥٠ م. (انظر أخباره في: تحفة الوزارة، ص: ١١٨؛ وفيات الأعيان: ج٢، ص: ١٩٧-١٩٥).

(١٤) أول خلفاء بنى العباس حكم من سنة ١٣٢ هـ / ٧٥٠ م إلى سنة ١٣٦ هـ / ٧٥٤ م. (الإنباء في تاريخ الخلفاء لابن العمراني، تحقيق: د. قاسم السمرائي، ط١، دار الآفاق العربية، القاهرة ١٩٩٩، ص: ٦١).

(١٥) مسالك الأ بصار: ج٣، ص: ٣٠٩ (بتصرف).

(١٦) أبو القاسم إسماعيل بن عباس بن عباد الطالقاني الاصفهاني المعروف بالصاحب بن عباد و"كافي الكفأة" من كبار العلماء والأدباء ومشارك في مختلف العلوم. استكتبه ابن العميد ثم تولى الوزارة في عهد الملك مؤيد الدولة المويهي. توفي سنة ٢٨٥ هـ / ٩٩٦ م. (تحفة الوزارة، ص: ١٢٥؛ وفيات الأعيان: ج١، ص: ٢٢٨-٢٣٣).

(١٧) الكاتب محمد بن الحسين بن محمد المعروف بابن العميد تولى الوزارة لركن الدولة ابن بويه سنة ٣٢٨ هـ / ٩٣٩ م. (تحفة الوزارة، ص: ١٢٥؛ وفيات الأعيان: ج٥، ص: ١٠٣-١١٣).

ولي الوزارة لقب بالصاحب.

وقيل: لقب بالصاحب، لأنّ الوزير صاحب رأي الملك وتدبير أمره ويختصّ به الوزير حين ولادته أشياء نفيسة منها كوفية مزركشة بالذهب بقدس^(١١٨) قدر ثلاثة أصابع مطبقة يلبسها حين استقراره ويرفع عمامته عنها بقدر ربع ذراع حتى يبرز الزركش وعنبانية^(١١٩) مُتّخذة من أكرا^(١٢٠) العنبر الممسك يجعل في سلك من الإبريسم^(١٢١) الأخضر على عدّة طاقات [١٨] ظ[ي] يُرسل من حلقة إلى صدره، ومنها حُفَّ أخضر من الحرير السكندري يلبسه.

وله وللنائب في أيام المواكب جنبيان^(١٢٢) من خاصّ الخيل وعليها قماش من ذهب ويُشيل عليه ثوب سرج من الحرير الأصفر الأطلس بوسطه جلد فهد بِرْنَكية^(١٢٣).

ذلك الوزير عليه كاس غالب الفرس مجنوب على يد أوجاقي حشم بكافية وقماش كامل. ويختصّ بركوب ببلغة بزناري^(١٢٤) دون أرباب الوظائف الديوانية.

ويُكتب تقليده في [١٩] أو [٢٠] التلتين. ويطول الكلام على ما يتعلّق به.

الحادي عشر: أمير رأس نوبة النوب: له الأمر على المماليك السلطانية وإليه مرّجعهم في الشور والمحاكمات. وهو السفير بينهم وبين الملك في الشور وبلغة المقاصد، وهو أول من يدخل على الملك في الخدمة والقائم على مسْك من يؤمن بمسكه ويرمل^(١٢٥) حين أخذ العلامة.

وله أتباع:

الأول: رأس نوبة الميسرة، له الحكم والتصرّف كالامير رأس نوبة النوب [١٩] ظ ثم ثالث ورابع من الطلخانات والعشرات إلى نحو عشرين أمير يتصرّفون في أشغال المملكة.

رسالة
في ترتيب
مملكة
الديار
المصرية
وأمّرائها
وأركانها
وأرباب
الوظائف
لمؤلف
مجهول

(١١٨) هو كلب الماء (الفقمة) الذي يستعمل جلده كفرو ناعم (معجم دوزي: ج ٨، ص: ٣٩١).

(١١٩) نوع من الحلي مملوءة من العنبر الخام أو ظفيرة زهور يُنظم بين زهورها العنبر (معجم دوزي: ج ٧، ص: ٣٢٥).

(١٢٠) جمع أكرا: وهي الكرة، وهي عقدة على شكل تقاحة تستعمل للزيينة (معجم دوزي: ج ١، ص: ١٦٦).

(١٢١) الإبريسم: حرير مخلوط بالقطن. (معجم دوزي: ج ١، ص: ٦٧).

(١٢٢) الجنيب: الخيل والفرس يقاد خلف السلطان مجّهز بعذته. (معجم دوزي: ج ٢، ص: ٢٩٦).

(١٢٣) شعار الشرف، وهي العلامة المميزة للملوك والأمراء. (معجم دوزي: ج ٥، ص: ٢٢٥).

(١٢٤) غطاء للفرس من جوخ مفتوح من الصدر ويلتف حول الجسم بحيث لا يرى ذيل الفرس. (معجم دوزي: ج ٥، ص: ٣٦٧).

(١٢٥) أي رش الرمل على الكتابة. (معجم دوزي: ج ٥، ص: ٢١٦).

وإليه يُسند النظر إلى الشِّيخونية والصَّرْعَمْشِيَّة^(١٢٦) والجَازِيَّة^(١٢٧) والجَامِعُ الْأَخْضَرُ^(١٢٨) وغير ذلك.

الثاني عشر: أمير حاجب^(١٣٠)

ويُعَبَّر عنه في زماننا بحاجب الحِجَابِ. وأصله عَلَم على من يأخذ الإذن على الإمام، ثم فُوضَّ إلى الحُكْم عند إبطال النيابة، وصار يُرْفَعُ إليه المحاكمات التي كانت تُرْفَعُ للنائب ويطلب من البرّ ويكتب عنه المُطْلَقات^(١٣١) وكان من أركان [٢٠] الدولة الأيوبيَّة.

وقال في مسالك الأَبْصَارِ: "إِنَّهُ يُنْصِفُ بَيْنَ الْأَمْرَاءِ وَالْجُنُدِ تَارَةً بِنَفْسِهِ وَتَارَةً بِمَرَاجِعِ الْإِمَامِ. وَلَهُ أَتَابِعُ مُثْلَمٍ".^(١٣٢)

الحاجب الثاني: ويقال فيه حاجب الميسرة. ويتصرَّفُ في الحُكْم بالقاهرة.

ثم ثالث إلى ما يزيد عن عشرة برسم المحاكمات والخدمة لا غير. ويُسند لأمير حاجب النظر على الجامع العمروي بمصر^(١٣٣) وجامع الأزهر^(١٣٤) والصندوق وغير ذلك.

الثاني عشر: أمير استدار^(١٣٥)

مركَّبٌ من كلمتين فارسيتين، إحداهما استَدَّ بكسر الهمزة وسكون السين [٢٠ ظ] والدَّال وفتح التاء. ومعناها: الأَذْ، والثانية: دَارٌ ومعناها: مُمْسَكٌ، والمراد: المُتولِي لِأَخْذِ الْمَالِ؛ لأنَّهُ الَّذِي يَتولَّ قِبْضَ الْمَالِ، ويقال فيَهِ: سِتَّدَارٌ. وقد غلط بعض الكُتُبِ فضمَّوا الهمزة في أوَّلِهِ ويلحقون فيَهِ أَفَّا بَعْدَ

(١٢٦) ابتدأ بناءها الأمير سيف الدين صرغتمش الناصري سنة ١٣٥٥هـ/١٢٥٦م، وانتهت في سنة ١٣٥٦هـ/١٢٥٧م، وهي من أبدع المباني وأجلَّها. وجعلها وفقاً على الفقهاء الحنفية الأفاقية ورتب بها درساً الحديث النبوى. (خطط المقرizi: ج ٣، ص: ٤١ فما بعدها؛ الخطط التوفيقية: ج ٦، ص: ٩١).

(١٢٧) أنشأتها السُّتُّ خوندتر الحجازية ابنة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وزوجة الأمير بكتمر الحجازي. وجعلت بهذه المدرسة درساً للفقهاء الشافعية وأخر للفقهاء المالكية وجعلت بها خزانة كتب ومنبراً لخطبة الجمعة. (انظر: خطط المقرizi: ج ٣، ص: ٤٨٨-٤٨٧؛ الخطط التوفيقية: ج ٦، ص: ٦).

(١٢٨) عرف بالجامع الأخضر؛ لأنَّ بايه وقبته فيها نقش وكتابات خضراء، وهو خارج القاهرة. أنشأه خازنadarالأمير شيخو. (خطط المقرizi: ج ٣، ص: ٣٣٩؛ الخطط التوفيقية: ج ٤، ص: ٥٤).

(١٢٩) في المخطوط: العاشر، والترتيب يقتضي ما أثبتناه.

(١٣٠) صبح الأعشى: ج ٤، ص: ١٩؛ المعجم الجامع في المصطلحات المملوكيَّة، ص: ٧٠.

(١٣١) أي المكتبات السلطانية التي تصدر إلى نوابه وأمرائه وعماله. (التعريف بالمصطلح الشريف، ص: ١١٤ فما بعدها؛ المعجم الجامع في المصطلحات المملوكيَّة، ص: ٢٠٥).

(١٣٢) مسالك الأَبْصَارِ: ج ٣، ص: ٣٠٧.

(١٣٣) لعلَّ المقصود هنا: جامع عمرو بن العاص بالفسطاط. (انظر: الخطط التوفيقية: ج ٥، ص: ٦٠).

(١٣٤) انظر: خطط المقرizi: ج ٣، ص: ٢١٣ فما بعدها.

(١٣٥) في مسالك الأَبْصَارِ وصبح الأعشى: "فَإِلَيْهِ أَمْرُ بَيْوَتِ السُّلْطَانِ كُلُّهَا مِنَ الْمَطَابِخِ وَالشَّرَابِ خَانَهُ وَالحَاشِيَّةِ وَالْغَلْمَانِ... وَلَهُ حَدِيثٌ مَطْلُقٌ وَتَصْرِفُ تَامٌ فِي اسْتِدْعَاءِ مَا يَحْتَاجُهُ كُلُّ مَنْ فِي بَيْتِ السُّلْطَانِ مِنَ النَّفَقَاتِ وَالْكَسَاوِيِّ وَمَا يَجْرِي مَجْرِيَ ذَلِكَ". (صبح الأعشى: ج ٤، ص: ٢٠؛ مسالك الأَبْصَارِ: ج ٣، ص: ٣٠٨).

الناء فيقولون أُسْتَادَا الدار أو أُسْتَادَارْ ظنًا منهم المرأة بالدار المحلة وأن أُسْتَاد بمعنى السيد.

وممّن وقع في ذلك صاحب التعريف على الوصايا^(١٣٦).

قال في مسالك الأنصار: "وهو المتحدث في بيوت السلطان كلّها". وكان صاحب [٢١] وهذه الوظيفة مُقدّماً وله أتباع من الأمراء الطلبخانة والعشرات يتكلّم بعضهم في الذخيرة وبعضهم في الأموال وبعضهم في المشتراوات والمبيعات.

ويتميز المقدم بأستدار العالية.

ثم إنّ الظاهر بررقوق^(١٣٧) حين أخذ السلطة أكثر من مشترى المماليك وأفرد لهم ديواناً أضاف له بلاد برسم جوامك^(١٣٨) مماليكه وعليقهم فسمّي من إذ ذاك ديوان المفرد،^(١٣٩) وتحدث عليه أستدار العالية، وأضيف إليه التحدّث على الأموال والذخيرة وغيرهما [٢١ ظ] والتكلّم في معلوم الجامكية.

ثم في زمن الناصر فرج^(١٤٠) أضيف إليه نيابة الوجه البحري بإقطاعها. وله رفيقٌ من المتعمّمين ناظر يتكلّم معه في المال والغلال، وأتباع من المباشرين لضبط المال.

وسيأتي الكلام عليهم إن شاء الله تعالى. ويُكتب تقليده في الثنين.^(١٤١)

أما المقدّمون الخارجون عن الخدمة فثلاثة:

الأول: نائب ثغر الإسكندرية،^(١٤٢) وقد استُجّد في عام سبع وستين وسبعمائة حين طرقها الفرنج. وكان قبل طبخانه ولم يكن كافلاً^(١٤٣) إذا لم يكن مملكة ويتكلّم على [٢٢ و] جنسها وضواحيها من غير أن يكون لها عمل ولا بَرّ، وهو من جملة الأمراء المقدّمين بمصر، وتقليله في الثنين.

الثاني: نائب الوجه القبلي،^(١٤٤) وهو حادث في أيام الظاهر بررقوق وكان قبل يُسمى والي الولاية.

(١٣٦) التعريف بالمصطلح الشريف، ص: ١٣٤.

(١٣٧) السلطان الظاهر سيف الدين بررقوق الشركسي تولى السلطة من سنة ١٣٨٢ هـ / ١٧٨٤ م إلى سنة ١٣٩٩ هـ / ١٨٠١ م. (السلوك: ج٥، ص: ١٤١ فما بعدها؛ النجم الزاهرة: ج١١، ص: ٢٤١ فما بعدها).

(١٣٨) أي: الرّواتب.

(١٣٩) ديوان يتولى نفقة المماليك السلطانية بما أفرد له من بلاد. وتشتمل النفقة هنا الجوامك أي الرّواتب والعليق أي علف الخيل والكسوة (زبدة كشف الممالك، ص: ١٠٦؛ صبح الأعشى: ج٣، ص: ٤٥٧).

(١٤٠) السلطان الناصر فرج بن بررقوق عين سلطاناً يوم وفاة أبيه سنة ١٣٩٩ هـ / ١٨٠١ م وعمره ثلاثة عشرة عاماً، وساعته أحوال البلاد في عهده. (السلوك: ج٥، ص: ٤٤٨ فما بعدها؛ النجم الزاهرة: ج١٢، ص: ٢٩٢ فما بعدها).

(١٤١) التعريف بالمصطلح الشريف: ١٢٦ - صبح الأعشى: ٤٨-٤٧/٣.

(١٤٢) حول نيابة الإسكندرية انظر: صبح الأعشى: ٢٤/٤.

(١٤٣) الكافل: نائب السلطان ويسمى أيضاً النائب الكافل أو نائب السلطة، ويطلق عليه "كافل الممالك الإسلامية". (صبح الأعشى: ٤/١٦-١٨) - مسالك الأنصار: ٣٠٦-٣٠٧/٣.

(١٤٤) انظر صبح الأعشى: ٢٤-٢٥/٤.

وكان بكل إقليم متولٌ من الحضرة لم يكن لوالى الولاية عليه أمر في ولاية ولا عزل. وفي أيام المؤيد شيخ أضيفت ولاية البهنسا^(١٤٥) والأشمونين^(١٤٦) إلى نائب الوجه القبلي يُقيم فيها من يختار من جهته، ثم في أيام الأشرف برسبي^(١٤٧) في عام ثلاثين وثمانين مائة [٢٢٠ ظ] أضيف إليه التحذث على ولاية الأقاليم بالوجه القبلي جميعه، وصار مقىماً بكل إقليم نائب عنه خلا كشف الفيوم^(١٤٨) فإن مُتوليه يلبس من الحضرة، ومرجع نائب الوجه القبلي في الولاية والعزل إلى الأمير الأستدار، وتقلیده في الثلثين. وكان يُكتب له مرسوم في النصف ولا كان يُؤهّل للتقليد إذ لم يكن بالوجه القبلي كرسي ولا سماط.

الثالث: نائب الوجه البحري:^(١٤٩) وهو حادث في أيام الظاهر برقوق، وكان قبل كاشفًا^(١٥٠) يُسمى والي الولاية كما في الوجه القبلي، وهو متحذث [٢٣٠] على جميع أقاليم الوجه البحري. وليس نيايته ونيابة الوجه القبلي على قاعدة النيابات في ترتيب الحجاب والجيوش وأرباب الوظائف وركوب المراكب ولا كرسي ولا سماط بل يلبس حين استقراره أطليسين^(١٥١) ويخرج له فرس بسرج وقماش ذهب ويسير تحت شطفيتين.^(١٥٢) وكان يكتب له مرسوم في النصف ثم صار يُكتب له تقلیده في الثلثين. وقد أضيفت هذه الوظيفة إلى الأمير الأستدار من أيام الناصر فرج على ما تقدّم.

المقصد الثالث: أرباب الوظائف [٢٣٠ ظ] من الأمراء.

* **الطلخاناه**^(١٥٣) وهو اثنا عشر أمير:

* **شاد الشراب خاناه:**^(١٥٤) وربما كان مقدمًا، وهو المتحذث على ما يزيد من الشراب خاناه وما يصدر منها من مأكول ومشروب ولا ينحصر أصنافه، وهو الأمين على الشراب والطعم حين تَنَوْلُ.

(١٤٥) مدينة بمصر من الصعيد الأدنى غربي النيل، وهي كثيرة الدخل. (خطط المقرizi: ج ١، ص: ٦٦٠-٦٦٣)؛ معجم البلدان لياقوت الحموي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٧٩، ج ١، ص: ٥١٦-٥١٧.

(١٤٦) ويقال أيضاً: أشمون، وهي قصبة كورة من كور الصعيد الأدنى غربي النيل ذات بساتين ونخل كثير. (خطط المقرizi: ج ١، ص: ٦٦٤)؛ معجم البلدان: ج ١، ص: ٢٠٠).

(١٤٧) الأشرف سيف الدين برسبي الدقماقي الظاهري، تولى السلطة من سنة ١٤٢٢هـ/٨٢٥م إلى سنة ١٤٣٧هـ/٨٤١م. (السلوك: ج ٧، ص: ٥٥) فما بعدها؛ النجوم الزاهرة: ج ١٤، ص: ٧٨ فما بعدها.

(١٤٨) ولاية غريبة بينها وبين الفسطاط أربعة أيام، وهي في منخفض الأرض. (خطط المقرizi: ج ١، ص: ٦٧١-٦٧٥)؛ معجم البلدان: ج ٤، ص: ٢٨٦-٢٨٨).

(١٤٩) صبح الأعشى: ج ٤، ص: ٢٥.

(١٥٠) حول الكشاف انظر: صبح الأعشى: ج ٤، ص: ٢٥-؛ المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ١٨٣.

(١٥١) في معجم دوزي: أطلسي، من الأطلس وهو الساتان. (معجم دوزي: ج ٧، ص: ٤٥٦).

(١٥٢) الشطفة: شارة ملکية تُحمل كما يُحمل اللواء على رأس أمير الجيش. (المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ١٢٧)؛ معجم دوزي: ج ٦، ص: ٣١٢).

(١٥٣) صبح الأعشى: ج ٤، ص: ١٥.

(١٥٤) صبح الأعشى: ج ٤، ص: ٢٠ و ١٠؛ المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ١٢٢.

المَلِك له من إدخال سُمٌّ ونحوه، ويتكلّم على الأطباء والكحاليين^(١٥٥) والجرايحة والمُجبرين^(١٥٦). وله كفايته على الوزير من كلّ صنف.

الثاني: الخزندار^(١٥٧) وأصله: الخزانة دار فحذفت الألف والهاء للخفة، والمعنى: مُمسك الخزانة. وثُمّ من كتبها الخازندار وهو غير مستقيم.

[٢٤] وهو ينقسم على ثلاثة أنواع:

الأول: المتحدث على خزائن القماش المُرْكَش والمُذَهَّب والحرير والأشياء النفيسة وسروج الذهب وأصناف الورب. وله استدعاء ما يحتاج إليه الملك من ذلك من ناظر الخاص أو مشتراه من مال السلطان.

الثاني: خازنadar العين، وهو الذي يكون تحت حاصله النقود جميعها بقبض ما يرد له ثم يصرف ما رُسم له بصرفة، وربما كان حاصله الفصوص من اليواقيت وغيرها. وله رفيق ناظر لضبط ذلك ومشترى ما يحتاج إليه [٢٤ ظ] الملك كما سيأتي الكلام عليه. وعادة خازنadar المال أن يكون خادماً لأنّ المال يكون بقاعات الحريم.

وقد يجتمع خزنadar العين وخزنadar الصنف لواحد فرد.

الثالث: خزنadar الكيس، وهو المتصدي بحمل كيس العين التي برسم الصدقة وتقرّته على الفقراء حين ركوب السلطان.

الثالث: أمير آخر ثانٍ: وقد تقدم الكلام عليه.

الرابع: الدوادار الثاني: وقد تقدم الكلام عليه.

الخامس: رأس نوبة ثانٍ: وقد تقدم الكلام عليه.

السادس: الحاجب الثاني: وقد تقدم الكلام عليه.

السابع: الزمام^(١٥٨): وأصله [٢٥ و] زَبَانْ دار مُركب من لفظتين فارسيتين، فَزَبَانْ: النساء، ودار: مُمسك أي مُمسك النساء. والعامة يظنون أنّ زماماً بمعنى قائد وهو أكبر الخدام. يخاطب الملك من تعلقات الحريم وأولاد الملوك ويستدعي ما يختجن إليه ويستأنن على تزويج الخوندات والمعنقات. وله أتباع من الخدام بباب الستارة من تحت أمره يتصرفون فيما يُصرّفهم فيه من الوظائف.

(١٥٥) هم أطباء العيون. (معجم دوزي: ج ٩، ص: ٤٤).

(١٥٦) في المخطوط: المجبرون.

(١٥٧) صبح الأعشى: ج ٤، ص: ٢١ و ٤٦٢-٤٦٣؛ المعجم الجامع في المصطلحات المملوکية، ص: ٨٠.

(١٥٨) في المخطوط: الرابع، وهو خطأ لا يتوافق مع الترتيب.

(١٥٩) في المخطوط: الخامس، وهو خطأ لا يتوافق مع الترتيب.

(١٦٠) انظر صبح الأعشى: ج ٤، ص: ٢١ وفيه: زمامية الدور السلطانية؛ وج ٥، ص: ٤٦٠-٤٥٩؛ معجم دوزي: ج ٥، ص: ٢٥٣.

الثامن: مقدم المماليك:^(١٦١) وهو أعظم الخدام تُرفع إليه الحكومات في المماليك السلطانية وسفيرٌ فيما [٢٥] بينهم وبين الملوك من طلب المقاصد. ويحضر في مهماتهم حين النفقة والجامكية والكسوة والأضاحي ونحو ذلك. وله نائب معتبر يقوم مقامه عند غيبته من القلعة. وله أتباع وخدام بالطريق^(١٦٢) يُصرّفهم من تحت أمره فيما يختاره.

ورأيت في التعريف له وصيّة تدلّ على أنه كان يُكتب له تقليد.^(١٦٣)

التاسع: نائب قلعة الجبل المحروس:^(١٦٤) وهو المتحدث على الحرسيّة والأبراج، وعليه حفظ المعتقلين بها. وله الأمر على البحريّة وعلى فتح باب القلعة وغلقها، وإليه ترفع المحاكمات [٢٦] من القلعة من عامتها وعليه ذرّتها حين ظهور السلطان منها، وتقدّم أسوارها ومنافذها والأمر بعمارتها وما تحتاج إليه.

العاشر: متوّلي القاهرة: وكان يُعبر قدّيماً بصاحب الشرطة. وأول من اتّخذه في الإسلام عثمان بن عفّان رضي الله عنه. وهو يتولّ في زماننا ولاد مصر مُضافة لولاية القاهرة وضواحيها، ويحكم في القصاص وإقامة الحدود، وله الأمر على الحبس وغلق أبواب القاهرة وفتحها، وعليه الطوف بالاماكن المُتّهمة بالمال والأقمشة، [٢٦] ولا يُمكّنه النوم خارج المدينة إلاً بمرسوم خوفاً من حريق أو منسر^(١٦٥) أو كسر حاصل أو فتح سجن وغير ذلك. وتُدقّ له طبخانه على بابه. وكان له إقطاع من جملة إقطاع الطبلخانة إلى أثناء الأيام المؤدية فبطل. وكان يكتب له مرسوم بالولاية.

الحادي عشر: أمير شكار:^(١٦٦) فأمير معروف، وشكار بالفارسية: الصيد. وهو المتحدث على الطيّر والجوارح وكلاب الصيد وأحواش الطيّر وصيادي الكراكي والطائر الرقيق وله الأمر على السّواقين^(١٦٧) والحونداريّة^(١٦٨) والمعلمين [٢٧] والبزادرية^(١٦٩) والزماكين^(١٧٠) والكلابيّة.^(١٧١)

وربّما كان يتولّها مقدمو الألوف بإقطاع التقدمة. وفي زماننا قد انحطّت رتبته عن الطبلخانة وعن

(١٦١) هو من يتولّ أمر المماليك السلطانية ويشرف على توزيع رواتبهم. (صبح الأعشى: ج ٤، ص: ٢١؛ المعجم الجامع في المصطلحات المملوكيّة، ص: ٢٠٦-٢٠٧).

(١٦٢) هي ثكنات جند المماليك بقلعة الجبل في القاهرة. (المعجم الجامع في المصطلحات المملوكيّة، ص: ١٤٢).

(١٦٣) التعريف بالمصطلح الشريف، ص: ١٣٦.

(١٦٤) التعريف بالمصطلح الشريف، ص: ١٣٣-١٣٢؛ صبح الأعشى: ج ٤، ص: ٢٣.

(١٦٥) في معجم دوزي: المنسر هو الفريق من الناس أو الكتبة. (معجم دوزي: ج ١٠، ص: ٢١٤).

(١٦٦) صبح الأعشى: ج ٤، ص: ٢٢؛ المعجم الجامع في المصطلحات المملوكيّة، ص: ٢٢.

(١٦٧) في معجم دوزي: السّوق: سائق المواشي والنواب والمُكاري (معجم دوزي: ج ٦، ص: ١٢٦).

(١٦٨) الحاوندار: أصلها: حيوان دار، المسؤول عن خدمة الطيور المعدة للصيد لدى السلاطين المماليك. (صبح الأعشى: ج ٥، ص: ٤٧٠؛ المعجم الجامع في المصطلحات المملوكيّة، ص: ٧٤).

(١٦٩) البزدار هو حامل بازي الصيد. (معجم دوزي: ج ١، ص: ٣٢٤).

(١٧٠) انظر معجم دوزي: ج ٥، ص: ٣٥٩.

(١٧١) الكلابي: الفارس الذي يقود كلاب الصيد. (معجم دوزي: ج ٩، ص: ١٢٤).

العشرة. ويسمى المكان الذي هو مجمع لأرباب الصيد شكرخاناه.

الثاني عشر: جاندار: ^(١٧٢) مركب من كلمتين: إداحاما جان: الروح بالتركية ودار: ممسك، أي ممسك الروح.

وكان في القديم هو الذي يستأذن على دخول الأمراء على الملك في الخدمة ويدخل أمامهم في خدمة الإيوان. ويقدم البريد [٢٧ ظ] مع الدوادار والمُتسلّم للباب.

وله به البرددارية ^(١٧٣) والجندارية. وإذا أراد السلطان قتل أحد كان بحضوره. وهو المتسلّم للزّردخاناه التي هي أرفع قدرًا في الاعتقالات من السجن المطلق. وربما كان مقدمًا وربما كانوا أميرين طلخانتين.

وقد انحطّت رتبته عن ذلك حتى استقرّ فيها العشرات فيمن دونهم.

المقصد الرابع: أرباب الوظائف من الأمراء العشرات وهم ثمانى أمراء:

الأول: كاشف الطير: ^(١٧٤) وربما قيل فيه حارس الطير، وهو المتحدث على ... ^(١٧٥) طائفة من الجند برسم مراقبة [٢٨] الطير الذي تصيده الملوك بالجوارح إلى أن يتوطّن بمكان يألفه فيمعن من يتعرّضه أو ينزل بقربه ويعلم بذلك كاشف الطير فيتتحقق من توطين الطير ويعلم الملك بها وبعدتها لتنزل الصيد على بصيرة.

الثاني: استadar الصحبة: ^(١٧٦) وهو المتحدث على طبخ الأماق والمُستدعي لاحتياج الطعام من الوزير والمتحدث على معلمي الطبخ وصُناعهم وصبيانهم والآنية. وهو المخاطب للملك فيما يتعلق بالأطعمة. غالباً يكون معه مشرف يأمر الطباخ ما يختاره الملك.

الثالث: شاد الزّردخاناه ^{(١٧٧) ظ} وهو المتحدث على استعمال آلات الحرب والمخاطب للملك عن المقصود، ويستدعي الأصناف من جهازها مصرًا وشامًا، وله الأمر على النفطية ^(١٧٨) والبارودية ^(١٧٩) وصناع الزّردخانة والفولاذية ونحوهم. وله رفيق متعمّم لضبط الوارد والصادر ونحو ذلك.

(١٧٢) في صبح الأعشى ومسالك الأ بصار: إمرة جاندار. (صبح الأعشى: ج ٤، ص: ٢٠ وأيضاً: ٤٦٥؛ مسالك الأ بصار: ٤١٤/٣).

(١٧٣) أي الممسك بالستارة وهو الحاجب، وفي الاصطلاح في العهد المملوكي يطلق هذا اللفظ على كلّ من كان في خدمة مباشري السلطان. (صبح الأعشى: ج ٥، ص: ٤٦٨-٤٦٩؛ المعجم الجامع في المصطلحات المملوکية، ص: ٣٦).

(١٧٤) صبح الأعشى: ج ٤، ص: ٢٢، وفيه: حراسة الطير.

(١٧٥) كلمة غير مقوءة في المخطوط.

(١٧٦) صبح الأعشى: ج ٤، ص: ١٣؛ المعجم الجامع في المصطلحات المملوکية، ص: ١٥-١٦.

(١٧٧) ويقال أيضًا: السلاح خاناه. (صبح الأعشى: ج ٤، ص: ١١-١٢).

(١٧٨) ويقال أيضًا: النفاطون وهم رماة النفط من الزرّاق، والزرّاق الأنبوة التي يُزرق بها النفط. (المعجم الجامع في المصطلحات المملوکية، ص: ٢٢٠).

(١٧٩) هم مطلقو البارود. (المعجم الجامع في المصطلحات المملوکية، ص: ٣٠).

الرابع: **الجاشنكيّر**:^(١٨٠) وهو المتصدّي لـتذوق^(١٨١) المأكول والمشروب قبل السلطان خوفاً من أن يدسّ فيهما.

والجاشنكيّر مُركّب من إسمين فارسيتين أحدهما: جاشا ومعناه الذّوق، والثاني كير ومعناه: مُتعاطي، ويكون بمعنى الذي يذوق، والعلامة [٢٩٢] يسمّون ذلك الشّيشني.

وكان طبخاناه ثم صار عشرة ثم ترّكت الوظيفة وانصرف فعل الأمر بذلك للمشّد.

الخامس: والي باب القلعة:^(١٨٢) وهو الباب الثاني من المدّرّج، وهو المتحدّث على غلقه وفتحه وعليه درّكه. وله جماعة من تحت أمره واقفون به يُصرّفون فيما يختاره.

السادس: **المَهْمَنْدَار**:^(١٨٣) بفتح الميم، وأصله مَهْمَنْ، ومعناه: الضيف، ودار: مُمسِك، عباره عن الذي يتلقّى الضيّف يعني قُصاد الملوك وينزلهم بالأماكن الائقة ويستخرج لهم مُرتّباتهم على مقدار [٢٩٣] مُرسليهم. غالباً يكون ذلك من موجبات المبيع بالأسواق. وتسمى دار الضيافة بالفارسية مُنجاناه. وله نائب يقوم مقامه في ذلك.

السابع: **مقدم البريدية**: وهو مقام الرأس نوبة على جماعة البريد، وله الأمر عليهم ولا يتصرّفون في البريد إلاّ بعد علمه. ومن تحت أمره سبع مقدمين بعدد الأسبوع يكون لكلّ يوم مقدم يطلع فيه على الأمور ويطالع مقدم البريد بذلك.

الثامن: **أمير الخليفة**: ولم يكن له وظيفة بل سُمي بذلك؛ لأنّه يكون صحبة الخليفة [٣٠٣] في السفر يركب لركوبه وينزل لنزوله ويراقبه بعين الحرس ولا ينفرد عنه ولا يمكن أحداً من الاجتماع عليه ولا يبرز لقتل لملازمه الخليفة. غالباً يكون ديننا عاقلاً عارفاً مهاباً.

المقصد الخامس: **أمراء الخمسات** وهم ستّ أمراء:

الأول:^(١٨٤) **نقيب الجيش**^(١٨٥) والنقيب في اللغة هو الأمين. قال الله عزّ وجلّ: "وَبَعَثْنَا مِنْهُمْ أُنْشَئَ عَشَرَ نَقِيبًا"^(١٨٦) أي: أميناً كما حكاه البغوي.^(١٨٧) وقيل: النقيب هو ضمّن القوم، ويعبر عنه في بعض الممالك بنقيب النقباء، والصواب أن يقال [٣٠٣] فيه أميرٌ نقباء الجيوش.

(١٨٠) في المخطوط: **الجاشنكيّر**. (صبح الأعشى: ج٤، ص: ٢١ وكذلك: ج٥، ص: ٤٦٠؛ المعجم الجامع في المصطلحات المملوكيّة: ٥٧).

(١٨١) في المخطوط: لذواق.

(١٨٢) صبح الأعشى: ج٤، ص: ٢٣.

(١٨٣) صبح الأعشى: ج٤، ص: ٤٥٩؛ وكذلك: ج٥، ص: ٤٥٩؛ المعجم الجامع في المصطلحات المملوكيّة، ص: ٢١٢.

(١٨٤) سقطت من المخطوط، والسباق يقتضيها.

(١٨٥) صبح الأعشى: ج٥، ص: ٤٥٦؛ مسلك الأبصار: ج٣، ص: ٣٠٩.

(١٨٦) سورة المائدة، الآية: ١٢.

(١٨٧) معالم التنزيل للبغوي، ط١، دار ابن حزم، بيروت ٢٠٠٢، ص: ٣٦٥.

قال في مسالك الأنصار: "وهو القائم على الجندي في غرضهم وإحضار من يطلب منهم، وله انطهاب بالجرأة السلطانية في السفر والتكلم عن السلطان في المحاكمة بين الأخصام وأخذ الجواب منهم وإيضاً صاحب الملك، ويحكم في الأمور الحقيقة كأحد الحجاب". وكان في القديم أمير عشرة ثم انحطت عن الخمسة.

الثاني: أمير طبر^(١٨٨) وهو بمقام الرأس النوبية على الطبردارية وهم عشرة نفر، وقد تقدم الكلام عليهم.

وكان في القديم أمير عشرة [٣١] ثم انحطَّ وعن الخمسة.

الثالث: أمير علم^(١٨٩) والعلم في اللغة يطلق على معانٍ أحدهما: الرأبة.

وشرطه أن يكون حسن الشكل طويلاً^(١٩٠) وله التحدث على الطبول والعصائب السلطانية^(١٩١) وجماعتها.

وقد انحطَّ رتبته وعن الخمسة.

الرابع: أمير منزل: وهو القائم في الأمر على الفراشين يضرب الخيام بالأماكن الصالحة لنزول الملك ويُخْذِر الأماكن المستخرجة والرملة والغواصة ذات الهوام والأفاعي.

ويُنْزَلُ أركان الدولة بمراتبهم فإن لكل مكان من المنزلة اسم.

[٣١] الخامس: أمير مشوي: وهو القائم على ما يُشوى للملك من أصناف اللحوم والطيور. وربما كانوا أميرين بنوبتين. وقد انحطت مرتبتهما عن ذلك.

السادس: الخازن: ويتعدد إلى وظيفتين:

الأول: من يكون تحت يده حواصل الأشربة والسكر والحلوى ونحو ذلك.

الثاني: هو الذي يحمل سجادة الملك ويفرشها له وقت الصلاة.

وربما اجتمعوا في واحد. وقد انحطَّ رتبته عن ذلك.

المقصود السادس: المشدُون الذين لم يكن بيدهم إمرة وهم أربعة:

(١٨٨) مر ذكره، وانظر صبح الأعشى: ج ٥، ص: ٤٥٨ وص: ٤٦٢.

(١٨٩) صبح الأعشى: ج ٥، ص: ٤٥٦.

(١٩٠) اللَّمَّة: الشَّعْر يجاوز شحمة الأذن. (تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملاتين، بيروت ١٩٩٠م، ج ٥، ص: ٢٠٣٢).

(١٩١) العصائب السلطانية: الريات الصفراء المطرزة بالذهب، وهي من علامات السلطنة والملك. (المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ١٥٢).

الأول: (١٩٢) شاد الدواوين: (١٩٣) وكان أميرًا رفيقاً للوزير في استخلاص [٣٢] والأموال.

وقد انحطّ وصار يعمل أحياناً ويبيطل غالباً، وربما استقرّ من غير مباشرة طلباً للمعلوم.

الثاني: شاد العماير: (١٩٤) وهو القائم في عمارة الأماكن التي يُئسّها الملك، وربما استقرّ معه مُقدم في إنشاء الأماكن المهولة. ويقال له ناظر العمارة وله الأمر على المهندسين والحرّارين وصناع العماير ونحوهم.

الثالث: شاد الحوش: (١٩٥) وهو (١٩٦) القائم في عمارة ما ينهم بقلعة الجبل والأمر بتنظيف أماكنها المسروكة وإصلاح مجاري المياه بها واستدعاء أصناف [٣٢] ظ العماير من الوزير.

الرابع: شاد الخاص: رفيق لناظر الخاص في استخلاص الأموال وبيع الأصناف واستدعاء الاحتياجات.

وقد أهمل أمرها واستبدّ ناظر الخاص بذلك. (١٩٧)

المقصد السابع: الجند من المماليك السلطانية وأرباب الوظائف المشهورة
منهم خمسة.

الأول: السلحدار: (١٩٨) وهو الذي يحمل له من آلات الحرب في القتال، يختص بالملك.

الثاني: السنجدار: (١٩٩) وهو الذي يحمل السنجد على رأس الملك في حالة السفر.

والسنجد: الرُّمح ذو الشَّففة، وهو في لعبهم مصدر طعن. وهم على نوبتين.

[٣٣] الثالث: البندقدار: وهو الذي يحمل البندق مع الملك حين تصيده وربما كانا نفرين.

الرابع: الجوكاندار: (٢٠٠) وهو الذي يحمل الجوكان وهي عصا مدهونة طولها من نحو من أربعة

(١٩٢) سقطت من المخطوط والسياق يقتضيها.

(١٩٣) صبح الأعشى: ج ٤، ص: ٢٢.

(١٩٤) صبح الأعشى: ج ٤، ص: ٢٢.

(١٩٥) المعجم الجامع في المصطلحات المملوکية: ١٢١، وهناك اختلاف في مهمة شاد الحوش فيما ورد في هذا الكتاب والمخطوط.

(١٩٦) سقطت من المخطوط والسياق يقتضيها.

(١٩٧) انظر صبح الأعشى: ج ٤، ص: ٣٠.

(١٩٨) وهو الذي يتولى أمر السلاح خاناه، وقد مرّ في أمير سلاح. (صبح الأعشى: ج ٥، ص: ٤٦٢).

(١٩٩) صبح الأعشى: ج ٥، ص: ٤٥٨؛ المعجم الجامع في المصطلحات المملوکية، ص: ١١٨-١١٩.

(٢٠٠) صبح الأعشى: ج ٥، ص: ٤٥٩-٤٥٨ وفيه: هو لقب على الذي يحمل الجوكان مع السلطان في لعب الكرة؛ المعجم الجامع في المصطلحات المملوکية، ص: ٤١.

والجوكان هو المُحْجَن الذي تضرب به الكرة أي الصولجان. وانظر المعجم الجامع في المصطلحات المملوکية، ص: ٦٨.

أذرع وبرأسها خشبة مخروطة مدببة تنتف عن نصف ذراع.

الخامس: **البَجْمَدَار**:^(٢٠١) وهو الذي يحمل نعل الملك.

والبَجْمَق بالتركية: النعل.

وعادتهما نفران على نوبتين.

قاعدة: لفظة دار فارسية معربة ومعناها: ممسك فاعل من الإمساك. وكثير من الناس يظنون [٣٣] أنها عربية بمعنى المُحْكَم لدار السلطان، وليس كذلك.

المقصد الثامن: مهاترة^(٢٠٢) البيوتات: وهم سبعة، وتوقع كلّ منهم في العادة ويلقب بمجلس الصدر.

الأول: مهاتر الشراب خاناه:^(٢٠٣) وهو المتسلّم لما يرد من الشراب خاناه من الأشربة والسكر والحلوى والفواكه والثلج والمياه المقيدة^(٢٠٤) والسفوفات^(٢٠٥) المُسْهَلَة والمقبضَة والمبردَة والعطرِيات، والمُرْصِد لأسفار الملك أطيب ما يُشرب من الماء.

وربما كانوا اثنين على نوبتين.

[٤٣] الثاني: مهاتر الطشت خاناه:^(٢٠٦) وهو المتسلّم لقمash الملك الملبوس وما يتبعه من أصناف الجوهر بالخواتيم والسيوف وغير ذلك. وله الأمر على الرّختوانية^(٢٠٧) والطشت دارية ونحوهم وهما إثناان على نوبتين.

الثالث: مهاتر الفراش خاناه:^(٢٠٨)

وهو المتسلّم لقمash الخام المستخدم لرجاله والمتحدّث على ما يختار السلطان إستعماله من الخام. وهما إثناان وربما كانوا ثلاثة.

الرابع: مهاتر الطّبْل خاناه:^(٢٠٩)

(٢٠١) ويقال أيضًا: البشمدار. (انظر صبح الأعشى: ج٥، ص: ٤٥٩).

(٢٠٢) حول المهاتر يقول الفلاشندي: هو لقب واقع على كبير كل طاقة من غلمان البيوت (صبح الأعشى: ج٥، ص: ٤٧٠). والمعنى هنا: رئيس الخدم. وانظر أيضًا: المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ٢١٠.

(٢٠٣) صبح الأعشى: ج٤، ص: ١٠ وكذلك: ج٥، ص: ٤٦٩، وهو الشرbdar.

(٢٠٤) كذا بالخطوطة، ولم نهتد إلى معناها.

(٢٠٥) ذكر دوزي: سفوف دواء مركب مسحوق يلتّهم، وسفوف لولوي: دواء يُعمل مع اللؤلؤ. (معجم دوزي: ج٦، ص: ٨١).

(٢٠٦) صبح الأعشى: ج٤، ص: ١١-١٠ وكذلك: ج٥، ص: ٤٦٩ وفيه: الطشت دار وفيه أنّ الطشت دار هو الموضع الذي يُعمل فيه ملبوس الملك.

(٢٠٧) هم المشرفون على حفظ الأثاث واللباس والقمash ولوازم الزينة في القصر السلطاني. (المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ٩٩-٩٨).

(٢٠٨) صبح الأعشى: ج٤، ص: ١١.

(٢٠٩) المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ١٤٣.

وهو المُتَحَدِّثُ عَلَى الْمَطَبَّلِينَ وَالرَّمَّارِ [٤٣٦] وَالْمُنْفَرِينَ وَغَيْرِهِمْ.

وَهُمَا إِثْنَانِ وَرَبِّمَا كَانُوا ثَلَاثَةً عَلَى نُوبَتَيْنِ.

الخامس: مهتار الرّكاب خاناه:^(٢١٠)

وهو المُتَسَلِّمُ لِقَمَشِ الْخَيْلِ الْمَذَهَبِ وَالْزَرْكَشِ وَغَيْرِهِ وَالْمُتَحَدِّثُ عَلَى الرَّكَبَدَارِيَّةِ وَالْمَهْمَرَتِيَّةِ^(٢١١) وَالسُّوَاسِ وَغَلْمَانِ الْجُوقِ وَالْإِسْتِعْمَالَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكِ. وَرَبِّمَا كَانَا إِثْنَيْنِ عَلَى نُوبَتَيْنِ.

السادس: مُعلِّم الزَّرْدَخَانَاه:^(٢١٢)

وهو المُتَكَلِّمُ عَلَى الْفَوَالَذِ وَالْحَدِيدِ وَالنَّفْطِ وَالْأَخْشَابِ وَالصَّنَاعَ وَغَيْرِ ذَلِكِ.

قاعدة: لفظة خاناه بمعنى البيت مضاف إلى ذلك الصنف كالشراب خاناه [٣٥] و[٣٦] بيت الشراب، والزردخاناه بيت الزرد ونحو ذلك.

السابع: المِحَفَّدار:^(٢١٣) وهو المُتَحَدِّثُ عَلَى مَحْفَةِ الْمَلِكِ وَآلَاتِهَا وَأَقْمَشَتِهَا وَصُنَاعَهَا وَرِجَالَهَا يَحْمِلُهَا حِينَ سَفَرِهَا.

فصل في ذكر من يتولى بالحضره من أرباب الوظائف:

وهو على أربعة أنواع:

النوع الأول: القضاء، وهو على ثلاثة مراتب.

الأولى: وظيفة القضاء: والإجماع منعقد على أنّ القضاء فرض على الكفاية. ومذهب الشافعي أن يكون القاضي مُسْلِمًا؛ لأنّ الله تعالى لن يجعل للكافرين [٣٥] على المؤمنين سبيلاً، فلا يُؤْلَى الكافر ولا على أهل دينه.

فإن قيل إنَّ الْمَلِكَ يُؤْلَى الْبَطَارِكَةَ وَرَؤْسَاءِ الْيَهُودِ الْحُكْمَ عَلَى أَهْلِ مَلِلَمِ وَيَحْكُمُونَ بَيْنَهُمْ فَالْجَوابُ: إنّما يصحّ ولا يتمّ إلاّ على مذهب الإمام أبي حنيفة، وأمّا مذهب الشافعي فإنّها تكون ولاية رئاسة لا ولاية حُكْمٍ.

وأن يكون القاضي مُكَفَّلًا حُرًّا ذَكَرَ اعْدَالًا سَمِيعًا بَصِيرًا نَاطِقًا، فلا يُؤْلَى صَبِيًّا وَلَا مَجْنُونًا وَلَا رَقِيقًا وَلَا إِمْرَأَةً وَلَا فَاسِقًا لَنْقَضَهُ وَلَا إِلَّا الْأَصْمَمُ لَا يَفْرَقُ بَيْنَ إِفْرَارٍ وَإِنْكَارٍ، وَالْأَعْمَى لَا يَفْرَقُ بَيْنَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ. وفي معناه من [٣٦] و[٣٧] يرى الأسباح ولا يُفرِّقُ، والأخرين لا يُقْدِرُ عَلَى إِنْفَاذِ الْأَحْكَامِ.

(٢١٠) صبح الأعشى: ج٤، ص: ١٢؛ المعجم الجامع في المصطلحات المملوکية، ص: ١٠٠.

(٢١١) ويقال أيضًا: المَهْمَرَدِيَّةُ. وهم المتولون حفظ قماش الاصطبلات. (المعجم الجامع في المصطلحات المملوکية، ص: ٢١٢).

(٢١٢) الزردخانه: المكان الذي يحفظ فيه سلاح ودروع السلطان، وقد يطلق على السلاح ذاته. ويقال لها أيضًا: السلاح خاناه. (صبح الأعشى: ج٤، ص: ١٢-١١؛ المعجم الجامع في المصطلحات المملوکية، ص: ٤٠٤).

(٢١٣) صبح الأعشى: ج٥، ص: ٤٧٠.

وأن يكون كافياً فلا يُولى مَعْفَل ولا من اخْتَلَ بِكَبَرٍ. وأن يكون مجتهداً فلا يُولى جاهل بالأحكام الشرعية وطرقها المحتاج إلى تقليد غيره فيها، ولأنه لا يصلح للفتوى فالقضاء أولى.

وأن المجتهد يعرف من القرآن والسنة ما يتعلق بالأحكام وخاصة وعامه ومقيده ومطلقه وناسمه ومنسوخه وأسباب النزول ومتواتر السنّة، وهو الأحاديث والمتنصل والمُرسَل وحال الرواية قوّة [٣٦] وصُعْفاً لأنّه يتوصل بذلك إلى تقرير الأحكام، ولسان العرب لغةً ونحوّاً؛ لأنّ الشرع ورد بالعربية، وبهذا يُعرَف بعْرُوف عموم اللُّفْظ وخصوصه وإطلاقه وتقييده وإجماله وبيانه فيعرف ما لا بدّ منه من فهم الكتاب والسنة وأقوال العلماء من بعدهم إجمالاً وإخالفاً حتّى لا يخالف الإجماع باختيار قول السنة والقياس بأنواعه جليةً وخفيّةً.

فإن تعذر جميع هذه الشروط لخلو الزمان عن المجتهد المستعمل فولي السلطان فاسقاً أو مقلداً نفذ
قضاياه للضرورة ولا تتعطل مصالح الناس...^(٢١٤)

[٣٧] والقاضي مشتق من: قضى الأمر إذا أحكمه؛ لأن حكمه يقطع الخصومات.

وقيل: من قضى الأمر: إذا فرغ منه لأنّه يفصل الخصومات بفروع الأمر منها.

والحاكم: بمعنى القاضي، واشتقاقه من الحكمة وهي الحديدة القائمة في صدر اللجام فسُمِّي بذلك لأنّه يمنع الخصم من الجماح كما تمنع الحديدة من الجماح.

تبّيه: إذا تولى قاضٍ فِينَبِه كاتم السر الإمام على أن يأذن له في الاستخلاف ليكون أسهل عليه وأقضى إلى فصل الخصومات، فإن نهاد الإمام [٣٧] يستخلف؛ لأنّه لم يرض بنظر غيره، فإن أطلق استخلف.

وشرط المستخلف كالقاضي؛ لأنّه نائبه إلا أن يُستَخْلَف في أمر خاص ويحكم الخليفة باجتهاده أو اجتهاد مقلده إن كان مقلداً.

قاعدة: القضاة الثلاثة غير الشافعي حَدَثُوا في سنة أربع وستين وستمائة مع وجود القاضي تاج الدين بن بنت الأعز الشافعي^(٢١٥) واستمرار ولاية نظره. وكان ذلك في أيام الظاهر بيبرس. وانفرد الشافعي بأربعة أشياء: النظر على الأيتام والأوقاف وبيت المال ونواب [٣٨] البلاد، ويشارك الثلاثة فيباقي.

(٢١٤) سقوط في المخطوط.

(٢١٥) ولد سنة ١٢٠٤ هـ/١٢٠٨ م، أخذ عن فضلاء عصره كابن الوراق وابن الليب وابن السكري وتوفي سنة ١٢٦٧ هـ/١٢٠٩ م. (حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة لجلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٦٨، ج١، ص: ٤١٥؛ رفع الإصر عن قضاة مصر لابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. علي محمد عمر، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٩٨، ص: ٢٥٨، فما بعدها؛ طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي، تحقيق: محمود محمد الطماحي وعبد الفتاح محمد الحلو، ط١، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، ج٨، ص: ٣١٨).

أما تقاليدهم فكانت تكتب في قطع النصف بالمجلس العالى إلى أن ولـى عـامـ الدين الكـركـي^(٢١٦) قضاـء الشـافـعـية أـيـام سـلـطـنة الـظـاهـر بـرـقـوقـ الثـانـيـة، وـكـانـ أـخـوهـ القـاضـي عـلاءـ الدـينـ السـرـ، فـعـنـىـ بهـ فـكـتـبـ لهـ تـقـليـدـاـ فيـ قـطـعـ التـلـثـيـنـ وـلـقـبـ فـيـهـ بالـجـنـابـ العـالـيـ وـبـقـيـ التـلـثـيـنـ عـلـىـ ماـ هـ عـلـىـهـ إـلـىـ أنـ توـلـىـ جـمـالـ الدـينـ مـحـمـودـ^(٢١٧) قـضاـءـ الـحـنـفـيـةـ فـكـتـبـ لهـ تـقـليـدـاـ فيـ قـطـعـ التـلـثـيـنـ.

ولـماـ ولـىـ جـمـالـ الدـينـ يـوسـفـ [ـ٣ـ٨ـ] الـبـاسـاطـيـ الـمـالـكـيـ^(٢١٩) فيـ أـيـامـ النـاصـرـ فـرـجـ كـتـبـ لهـ تـقـوـيـضـ فيـ قـطـعـ التـلـثـيـنـ.

ولـماـ توـلـىـ القـاضـي عـلاءـ الدـينـ بنـ مـعـلـىـ فيـ دـوـلـةـ الـمـؤـيدـ كـتـبـ لهـ فيـ قـطـعـ التـلـثـيـنـ.
وـصـارـ الـأـمـرـ مـسـتـمـرـاـ عـلـىـ ذـلـكـ وـصـارـ يـمـيـزـ الشـافـعـيـ عـلـيـهـمـ بـأـنـ يـكـتـبـ لهـ الـجـنـابـ الـكـرـيمـ.
الـمـرـتـبـةـ الثـانـيـةـ: قـضاـءـ الـعـسـكـرـ:^(٢٢٠)

وـمـوـلـيـهـ يـحـضـرـ دـارـ الـعـدـلـ وـيـسـافـرـ بـالـرـكـابـ وـيـقـضـيـ وـيـحـكـمـ وـتـنـفـذـ بـهـ الـأـحـكـامـ الـشـرـعـيـةـ. وـشـرـطـهـ أـنـ يكونـ لـاحـقاـ بـصـفـةـ خـلـفـاءـ الـحـكـمـ وـيـكـونـ مـاهـراـ فـيـ الـأـحـكـامـ الـسـلـطـانـيـةـ.

[ـ٣ـ٩ـ] وـعـادـتـهـمـ ثـلـاثـةـ مـنـ كـلـ مـذـهـبـ قـاـضـ، وـلـمـ يـكـنـ لـلـحـنـبـلـيـ مـنـهـمـ حـظـ وـتـوـقـيـعـ كـلـ مـنـهـمـ فـيـ التـلـثـ.
إـقـاءـ دـارـ الـعـدـلـ:^(٢٢١)

وـهـمـ أـرـبـعـةـ مـنـ كـلـ مـذـهـبـ مـُفـتـ بـمـعـالـيمـ عـلـىـ الدـوـاـوـيـنـ الـشـرـيفـةـ. وـتـوـقـيـعـ كـلـ مـنـهـمـ فـيـ التـلـثـ.
الـنـوـعـ الثـانـيـ: التـدـارـيـسـ^(٢٢٢) وـمـشـيـخـةـ الـخـوـانـقـ وـالـخـطـابـةـ وـالـإـمـامـةـ: وـلـاـ يـتـوـلـىـ ذـلـكـ إـلـاـ مـنـ اـشـتـهـرـ عـلـمـهـ

(٢١٦) أحمد بن عيسى بن موسى العامري المقيري. ولد بالكرك سنة ٧٤١هـ/١٣٤٠م. وتوفي سنة ٨٠١هـ/١٣٩٨م.
(رفع الإصر عن قضاة مصر، ص: ٦٦ فما بعدها؛ درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة للمقريزي، تحقيق: د. محمد الجليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ٢٠٠٢، ج ١، الترجمة رقم ٩٦).

(٢١٧) هو علاء الدين علي بن عيسى الكركي المتوفى سنة ٧٩٤هـ/١٣٩١م. (حسن المحاضرة: ج ٢، ص: ٢٣٥).

(٢١٨) محمود بن محمد بن عبد الله القيصري. كان ماهراً في فنون عدّة كالعربية والمعاني والبيان. ترقى في الوظائف حتى ولـىـ الحـسـبـةـ. ولـىـ القـضاـءـ فـيـ سـنـةـ ٧٩٣ـهـ/١٣٩١ـمـ. وـتـوـقـيـعـ سـنـةـ ٧٩٩ـهـ/١٣٩٦ـمـ. (حسن المحاضرة: ج ١، ص: ٤٧٢ و ج ٢، ص: ١٨٥؛ رفع الإصر على قضاة مصر، ص: ٤٣٣).

(٢١٩) يوسف بن خالد بن نعيم البساطي المالكي. ولـدـ فـيـ حـدـودـ سـنـةـ ٧٤٠ـهـ/١٣٤٠ـمـ. تـنـفـهـ عـلـىـ أـخـيهـ وـعـلـىـ شـيـخـ الـمـذـهـبـ خـلـيلـ الـمـالـكـيـ وـابـنـ مـرـزـوقـ فـيـ عـدـّـةـ عـلـومـ. وـصـنـفـ مـصـنـفـاتـ مـنـهـاـ: شـرـحـ بـانـتـ سـعـادـ. تـوـقـيـعـ سـنـةـ ٤٢٦ـهـ/١٤٢٩ـمـ.

(حسن المحاضرة: ج ٢، ص: ١٨٩؛ رفع الإصر عن قضاة مصر، ص: ٤٧٥-٤٧٦).

(٢٢٠) يتـوـلـىـ هـذـهـ الـوـظـيـفـةـ فـيـ الـعـهـدـ الـمـمـلوـكـيـ قـاـضـ مـهـمـتـهـ التـحـدـثـ فـيـ الـقـضـاـياـ الـمـتـعـلـقـةـ بـشـؤـونـ السـعـكـرـ الـشـرـعـيـةـ وـالـفـصـلـ بـيـنـ الـجـنـدـ فـيـ خـصـومـاتـهـمـ، وـقـدـ كـانـ يـتـوـلـاـهـاـ ثـلـاثـةـ قـضاـةـ: شـافـعـيـ، حـنـفـيـ وـمـالـكـيـ. وـكـانـواـ يـحـضـرـونـ بـدارـ الـعـدـلـ وـيـسـافـرـونـ مـعـ الـسـلـطـانـ إـذـاـ سـافـرـ وـجـلـوسـهـمـ فـيـ دـارـ الـعـدـلـ يـكـونـ دونـ الـقـضاـءـ الـأـرـبـعـةـ الـعـادـيـنـ. (صبحـ الأـعـشـىـ: جـ ٤ـ، صـ ٣٦ـ؛ المعـجمـ الـجـامـعـ فـيـ الـمـصـطـلـحـاتـ الـمـمـلوـكـيـةـ، صـ ١٧٣ـ).

(٢٢١) صـبـحـ الأـعـشـىـ: جـ ٤ـ، صـ ٣٦ـ.

(٢٢٢) حول التـدـارـيـسـ وـالـخـطـابـةـ انـظـرـ: صـبـحـ الأـعـشـىـ: جـ ٤ـ، صـ ٣٩ـ.

ودينه ويكون مashi'a على طريقة السلف مدید الباع في العلوم ويُقْدِم العلامة على العالم والعالم على الفاضل [٣٩٣]، وهو على خمسة ضروب:

الضرب الأول: التداريس الشافعية: وهي أربعة:

الأول: تدريس الخشابية بجامع عمرو بن العاص بمصر وقف الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب.^(٢٢٣) وهو أمثل تداريس الشافعية. وكان مضافاً لقاضي القضاة الشافعي ثم أفرد عنه. ولم توليه توقيع في النصف.

الثاني: تدريس جامع ابن طولون^(٢٤)، وكان مضافاً لقاضي القضاة الشافعي ثم أفرد عنه. وتولي توقيع مُتوليه في الثالث.

الثالث: تدريس قبة الإمام الشافعي [٤٠] و[٤١] محمد بن إدريس -رضي الله عنه-. وكان مضافاً لقاضي القضاة الشافعي ثم أفرد عنه. وتولي توقيع مُتوليه في الثالث.

الرابع: تدريس الجمالية^(٢٥) برأس الركن المخلق وقف الأمير جمال الدين البجاسي. وتولي توقيع مُتوليه في الثالث.

رسالة
في ترتيب
مملكة
الديار
المصرية
وأمرائها
وأركانها
وأرباب
الوظائف
لمؤلف
مجهول

الضرب الثاني: تداريس الحنفية: وهي خمسة:

الأول: تدريس الشيخونية:^(٢٦) برأس الصلبية وقف الأمير شيخو في عشر السبعين من السبعينات. وهو أجل تدريس الحنفية. ولم تزل الملوك ناظرة إلى مُتوليه [٤٠] ظ] بعين التعظيم؛ لأنّه شيخ الصوفية ومدرّسهم.

وشرطه أن لا يكون قاضياً. وتولي توقيعه في قطع الثالث.

الثاني: مشيخة الظاهر برقوم بين القصرين. ومدرّسها على نحو تدريس الشيخونية. وتولي توقيعه في الثالث.

الثالث: تدريس المؤيدية داخل باب زويلة وقف السلطان الشهيد المؤيد شيخ، وهو على نحو ما تقدّم. وتولي توقيع مُتوليه في الثالث.

(٢٢٣) المشهود بصلاح الدين الأيوبي مؤسس الدولة الأيوبية والذي قاد عدّة حملات ومعارك ضدّ الصليبيين. توفي سنة ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م. (انظر: أخباره في: النواذر السلطانية والمحاسن اليوسفية لابن شداد، تحقيق: جمال الدين الشيال، ط٢، مكتبة الخانجي، ١٩٩٤).

(٢٢٤) انظر حوله خطط المقرizi: ج٣، ص: ١٩٣ فما بعدها؛ الخطط التوفيقية: ج٤، ص: ٤٥-٤٦.

(٢٢٥) حول المدرسة الجمالية انظر: خطط المقرizi: ج٣، ص: ٥١١؛ الخطط التوفيقية: ج٦، ص: ٦.

(٢٢٦) الخطط التوفيقية: ج٦، ص: ٨.

الرابع: تدريس الصرغتمشية من الصليبية، وقف الأمير صر غتمش.^(٢٢٧) ومتوّلّيه على نحو من تقدّم. [٤٦] وتوقيعه في الثالث.

الخامس: تدريس الأشرفية.^(٢٢٨) وقف السلطان المالك الملك الأشرف برسبيا في عشر الثلاثاء بعد الثمانمائة وتوقيع متوّلّيها في الثالث.

الضرب الثالث: تداريس المالكية:

ولم يكن لهم تدريس يتولّه من الحضرة سوى تدريس القمبّيّة.^(٢٢٩) بمصر. وتوقيع متوّلّيه في قطع الثالث.

الضرب الرابع: مشيخة الخوانق:^(٢٣٠) من غير تداريس وهي أربعة.

الأولى: مشيخة الخانقاه الناصرية بسر ياقوس.^(٢٣١) استجدها الناصر محمد بن [٤٦] ظ] قلاوون.^(٢٣٢) ويعُبر عن متوّلّيها بشيخ الشيوخ. وكان ذلك يطلق على شيخ الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء. وتوقيع متوّلّيها في قطع النصف.

الثانية: مشيخة الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء^(٢٣٣) وقف الشهيد الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب. ولم يكن أكثر صوفية منها ولا أحسن شرطا لأنّ الصوفي إذا توجّه منها عدّة سنين وعاد يجد معلومه، وإذا توجّه إلى القدس أو إلى الفيوم يجد بهما ما فاته من معلوم سعيد السعداء. وتوقيع [٤٦] و[٤٢] متوّلّيها في الثالث.

(٢٢٧) سيف الدين صرغتمش الناصري أحد مملوكى السلطان الناصر محمد بن قلاوون ترقى في الوظائف واشتهر برعايته لشؤون الدولة بعد شيخوخه. أسس مسجداً ومدرسة وتوفي سنة ١٣٥٩ هـ / ١٧٥٩ م. (السلوك: ج ٤، ص: ٢٣٥) فما بعدها).

(٢٢٨) انظر حولها: الخطط التوفيقية: ج ٦، ص: ٣.

(٢٢٩) بناها السلطان صلاح الدين يوسف على موضع قيسارية بباع فيها الغزل سنة ١١٧٠ هـ / ٥٦٦ م، ورتب فيها أربعة مدّسين وأوقف عليها أوقافاً بالقاهرة والفيوم. (خطط المقرizi: ج ٣، ص: ٤٣٩).

(٢٣٠) الخوانق أو الخوانك جمع خانقاه، وهي كلمة فارسية معناها بيت. وحدثت الخوانق في الإسلام في حدود الأربعينية من سنّي الهجرة، واتخذها الصوفية مقراً للعبادة. (و حول الخوانق في القاهرة انظر: خطط المقرizi: ج ٣، ص: ٥٦٧ فما بعدها؛ المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ٧٨).

(٢٣١) سرياقوس: بلدية في نواحي القاهرة. (معجم البلدان: ج ٣، ص: ٢١٨).

(٢٣٢) هو تاسع المماليك البحريّة، تسلّط ثلث مرات من سنة ١٢٩٣ هـ / ٦٩٣ م و حتى سنة ١٣٤١ هـ / ١٧٤١ م سنة وفاته. (السلوك: ج ٢، ص: ٢٤٩) فما بعدها وص: ٣١٠ فما بعدها وص: ٤٤٢ فما بعدها).

(٢٣٣) انظر حولها: خطط المقرizi: ج ٣، ص: ٥٧٠ فما بعدها؛ حسن المحاضرة: ج ٢، ص: ٢٦٠-٢٦١؛ الخطط التوفيقية: ج ٦، ص: ٥٠.

الثالثة: مشيخة خانقاه البيبرسية^(٢٣٤) برأس الجوانية. أنشأها الظاهر بيبرس الجاشنكير.^(٢٣٥) وتوقيع متولّيها في الثالث.

الرابعة: مشيخة تربة الظاهر برقوق بالصحراء، وقف ولده السلطان الشهيد الناصر فرج في العشر الأوّل من الثمانمئة. وتوقيع متولّيها في قطع الثالث.

الضرب الخامس: الخطباء والأئمة: أمّا الخطباء فلم تجر العادة باستقرار أحد منهم بالحضرة الشريفة سوى خطيب جامع قلعة الجبل. وكان يكتب توقيعه في [٤٢] ظ[الثالث]، ثم أضيفت إلى قاضي القضاة الشافعي ولهذا يُزاد في ألقابه خطيب الخطباء ويتميز به دون غيره؛ لأنّه يخطب بالملك.

والأئمة المراد بهم أئمة الملك الذي يأتي بهم في الصلاة غير أئمة القصر. وكان^(٢٣٦) إمامين على نوبتين ثم هم الآن ثلاثة. وتوقيع كلّ منهم في الثالث. وكُتب لبعضهم بالمجلس العالى في الثالث.

النوع الثالث: أنظار الوظائف الدينية: وهي إناثاً عشر وظيفة بالقاهرة.

الأولى: نظر الأشراف،^(٢٣٧) وموضوعها المتحدث على أوقف الأشراف، وهي بركة الحبس^(٢٣٨) من ضاحية [٤٣] مصر وناحية بلقس من ضواحي القاهرة وبعض مسقفات بالقاهرة، وما يستخرج منها من الأموال وصروفه على جماعة الأشراف بمصر والقاهرة في وقت معلوم من السنة للكبير والصغير والذكر والأنثى بالسوية، وربما أنفق منها على الأشراف المقيمين بمكّة والمدينة والواردين منها حين النّفقة، ولا يصرف شيء إلا على من يكون ثابتاً لنسب من الحسينين أو الحسينين. وتوقيع متولّيها في الثالث.

الثانية: نظر الحسبة وقد اختلف في اشتقاها.

[٤٣] قال الماوردي: وهي مشتقة من قوله: حسبيك بمعنى أكفّ؛ لأنّه يكفّ عن الظلم.^(٢٣٩)
وقال النحاس: أحسبه إذا كفاه لأنّه يكفي الناس مؤنة من يبخسهم حقّهم.

وحقيقته في اللغة: المجتهد في كتابة المسلمين ومنفعتهم. وأوّل من قرر ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، وموضوعها: التحدّث على أرباب المعيش والصنائع والأخذ على يد الخارج عن طريق الصلاح في معيشته أو صناعته.

(٢٣٤) انظر حولها: خطط المقريزي: ج ٣، ص: ٥٧٤ فما بعدها، ويقول فيها: وهي أجل خانقاه بالقاهرة ببنيانا وأوسعها مقداراً وأنقذها صنعة. وانظر: حسن المحاضرة: ج ٢، ص: ٢٦٥؛ الخطط التوفيقية: ج ٦، ص: ٥٠.

(٢٣٥) ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصورى وهو السلطان المملوكي الثاني عشر، تسلط لفترة وجيزة من سنة ١٣٠٣هـ / ١٣٠٩ م إلى سنة ١٣٠٩هـ / ١٣٠٣ م. (السلوك: ج ٢، ص: ٤٢٣ فما بعدها؛ النجوم الزاهرة: ج ٨، ص: ١٨٣ فما بعدها).

(٢٣٦) في المخطوط: وكانوا.

(٢٣٧) ويقال أيضاً: نقابة الأشراف. انظر: صبح الأعشى: ج ٤، ص: ٣٨-٣٧.

(٢٣٨) انظر حولها: خطط المقريزي: ج ٢، ص: ٧٢٣ فما بعدها.

(٢٣٩) لا وجود لهذا الكلام عند الماوردي في باب الحسبة في كتابه الأحكام السلطانية.

وهي على قسمين:

الأولى: حسبة القاهرة، ومتوليها له ثواب بباب وبالقاهرة [٤٤] ووجه البحري إلى قطيا^(٤٠) وبرقة^(٤١) خلا ثغر الإسكندرية فإن متولي الحسبة بها كان استقراره من الأبواب في قطع الثالث، ثم أضيف إلى نائبه. وتوقع متوليها في الثالث.

الثانية: حسبة مصر: ومتوليها له الأمر والاستابة بقلعة الجبل والصلبية إلى قناطر السابع^(٤٢) والقرافيتين والوجه القبلي بكماله، وربما أضيفت إلى حسبة القاهرة.

وكانت ولاية الحسبة منحصرة في المتعمدين ثم صار يتولاها أرباب السيف غالباً.

الثالثة: نظر الأحباس: [٤٤٤] وكان في القديم متوليها هو المتحدث في الأوقاف ثم أفرد ذلك عنه بناظر مستقل واختص بنظر الأحباس ورزق الجامع والمساجد والموقف عليها ورزق على سُبُل البر والصدقة، وكانت ما تخرج إلا بكتاب من السلطان. وتشمل تواقيعها الخط الشريف.

ثم في دولة الأشرف شعبان^(٤٤٤) صار النائب الكافل هو الذي يكتب عليها على قصص الأحباس وتواقيعها. ولما أهملت النيابة صار الدوادار الكبير هو الذي يكتب عليها، وله رفيق [٤٥] متعمم، يكون شهود الأحباس ومستوفيها بديوان عنده، وهو الأمر في كتابتها بما يراه. وإذا كان الدوادار الكبير غائباً استقل بالأمر في كتابتها. وتوقعه في الثالث.

الرابعة: نظر الجوالى: ^(٤٤٥) وينسب جهتها للديوان العزيز، وموضوعها التحدث في استخراج الجزية من أهل الذمة. وكان متوليها لا تطول يده إلا على أهل الذمة بمصر والقاهرة وضواحيها. وكان ما يستخرج من نصارى الأقاليم بالديار المصرية لمقطعي بلادها. ثم في [٤٥٤] الأيام المؤدية أضيفت جوالى البر إلى ما يتحصل من جوالى القاهرة. وينتفق على أهل العلم والمستحقين في وقت معلوم من

(٤٤٠) ذكرها السخاوي في البلدانيات وقال: وهي بين القاهرة وغزة في الرمل، بها سكان ونخيل... وكانت محل المكس فأبطله سلطان وقتنا منه. (البلدانيات لشمس الدين السخاوي، تحقيق: حسام بن حمد القطن، ط١، دار العطاء للنشر والتوزيع، الرياض ٢٠٠١، ص: ٢٤٤).

(٤٤١) يقول ياقوت الحموي: صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وإفريقية. (انظر معجم البلدان: ج١، ص: ٣٨٨ فما بعدها).

(٤٤٢) أنشأها الملك الظاهر بيبرس البندقداري ونصب عليها سباعاً من الحجارة، وكانت عالية مرتفعة. (خطط المقرizi: ج٢، ص: ٧٠٩-٧٠٨).

(٤٤٣) حول نظر الأحباس بمصر يراجع: خطط المقرizi: ج٣، ص: ٢٦٥ فما بعدها؛ صبح الأعشى: ج٤، ص: ٣٨.

(٤٤٤) السلطان شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون، تولى حكم مصر من سنة ١٣٦٣هـ-١٣٧٤م إلى سنة ١٣٧٧هـ-١٤١م. (السلوك: ج٤، ص: ٢٦٧ فما بعدها؛ التنجوم الزاهر: ج١١، ص: ٢٠ فما بعدها).

(٤٤٥) وهو المال الذي يؤخذ من أهل الذمة مقابل استمرارهم في بلاد المسلمين تحت رعايتهم، وقد أطلق هذا اللفظ منذ فترة الخلافة الراشدين واستمر استعماله حتى عهد المماليك. (قوابين الدواوين للأسعد بن مماتي، تحقيق: عزيز سوريان عطيه، ط١، مكتبة مدبولي ١٩٩١، ص: ٣٢٩-٣٣٠؛ المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ٦٩؛ معجم دوزي: ج٢، ص: ٣٥٢).

السَّنَة، وَلَا ضَابطٌ لِهِ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ. وَتَوْقِيعُ مَتَولِيهَا فِي الْثَّلَاثِ.

الخامسة: نظر الكسوة: و موضوعها التحدث على كسوة الكعبة البيت الحرام وما يستخرج من بلادها وهي ناحيتي بيسوس و سردوس^(٤٦) وأراضي بقليوب، و صرف ذلك في ثمن ما يستعمل من الذهب والحرير والأجر وغير ذلك في كل سنة، والحجرة النبوية في كل خمس سنين مرة.

وهذه الكسوة التي يفتخر بها ملك [٦٤] مصر على جميع الملوك شرقاً وغرباً.

توقيع متولّيها في الثالث.

السادسة: نظر الأوقاف: وهو موضوعها التحدث على أوقاف الحرمين بالقاهرة ومصر، وكانت مضافة للنظر للأحباس كما تقدم، ثم صارت إلى قاضي القضاة الشافعى، ثم آلت إلى ناظر مستقل، وربما تحدث فيها أرباب السبوف ويراجعوا قاضي القضاة الشافعى في بعض الأمور. ومعلومه عن ذلك من مال الأوقاف. وتوقع مُتولّيها في الثالث.

السابعة: نظر دار الضرب: وربما يعبر عنها بأدُر الضرب جمع [٦٤٦] دار؛ لأنَّ كلَّ صنف من النقود دار بمكان واحد. ولها تعلق بالخاص لأخذ الموجب.

وموضوعها التحدّث على ضرب النقود من معاملة المسلمين من الذهب والفضة والفلوس ومنع ما يُدخلها من الغشّ جملة كافية وتحرير الأوزان إن كانت عدديّة، والحرص على الختم وصون الصّكّة في مكان حرّز، ولا تُصلّك النقود إلّا بمعزل بحضره موثوق به. ومُتولّيها يتحدّث على صناعها وينقاشهم على عدم إدخال الغشّ بكلّ ممكّن وعلى تحرير الأوزان.

الثامنة: نظر خزائن السلاح: [٧٤٦] وموضوعها التحدث على خزائن السلاح. وأصل هذا السلاح أن الملكة شجر الدر أوقفت بلادا في إقليم الجزيرة وأرصدت خراجها إلى أن يشتري به أصناف السلاح من فضة وحرير وفولاذ وحديد وأجر ومعاليم، ويقام منه في كل سنة كذا قطعة تحمل للزّرْدخانه وإلى ثغور الإسلام، فأقام الأمر على ذلك عدّة سنين، ثم تلاشى أمر التواهي المستخرج منها المال فبطل استعمال السلاح، فلما تولى الناصر محمد بن قلاون قصد إعادة ذلك فأخذ في إقليم الجزيرة وأراضٍ وعمر عما واثرى أماكن، وعاد [٤٧٦] ظ عمل السلاح، فصار يُعمل في كل سنة ويحمل إلى الزّرْدخانه. ومتولّيها مُتحدث في استخراج المال من حماية والأمر يصرفه فيما يستعمل. وله التحدث على مباشرة ذلك والزّرْدكاشية^(٢٤٧) والمعلمين والصناع.

و توقعه في الثالث

^{٢٤٦}) انظر: معجم البلدان: ج ٣، ص: ٢١٠.

^{٢٤٧}) الزركاشية: هم صانعو الأسلحة والعمالون على صيانتها. (المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ١٠٦؛ معجم دوزي: ج^٥، ص: ٣٠٣).

النinth: نظر البيمارستان المنصوري:^(٢٤٨)

والبيمارستان لغة فارسية ومعناه: بيت الضعيف.

وهو وقف المنصور قلاوون^(٢٤٩) أعظم أوقاف الديار المصرية وأكثرها بِرًا. لم يباشر به ذمّي خوفاً من الدسائس ولا يُداوي به ذو عاهة حذرًا من العدوة. وكان [٤٨] نظره قدّماً للوزير مع أحد من أكابر الأمراء المقدّمين. ولما آل الأمر في نظره إلى الأمير الكبير أُبطل نظر الوزير منه وصار يتولى نظره من المتعلّمين من يؤهّل إلى نظره مع الأمير الكبير، ولا ينفرد برأيه في أمر مُهم بل بمراجعة الأمير الكبير. وتقييعه في الثالث.

العاشرة: نظر الزرداخان:

وموضوعها التحدّث على ما يستعمل بالزّرداخان من آلات الحرب والنفط واستدعاء ما يحتاج إليه من مصر والشام والغور وغيرها ولمتوليها التحدّث على جماعة الزرداخية [٤٨] [ظ] والمعلمين والصناع ونحوهم، رفيق للشاذ المتقدم ذكره. وتقييعه في قطع الثالث.

الحادية عشر: نظر الحرم النبوى: وموضوعها التحدّث على بلاد ودرمونة^(٢٥٠) يؤخذ خراجها، يجهّز في كلّ سنة إلى الخدام القائمين بخدمة الحُجرة النبوية. وأوقف السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ناحية نقاده^(٢٥١) بالقوصية^(٢٥٢) وثلث سنديس^(٢٥٣) بالقليوبية على أربعة وعشرين خادماً. ووقف السلطان الصالح إسماعيل^(٢٥٤) ثلثي سندليس على ثلاثة عشر خادماً بثلاثة عشر [٤٩] [و] جزء وعلى ستة خدام بثلاثة أجزاء لكلّ خادمين جزء.

الثانية عشر: نظر الصندوق: وموضوعها التحدّث على جهات ريحية بالمحلة وبليس والفيوم يتحصل منها ما يصرف على رجال ونساء وصغار وأطفال مستحقين بأسماء مقرّرة في وقت معلوم. ومتوليها يراجع حاجب الحاجب في أمرها. وكان تقييعه في الثالث. ثم تلاشى نظرها حتى صار حاجب الحاجب هو المستبد في استقراره وعزله من غير أن يستقرّ من الحضرة.

النوع الرابع: ما هو [٤٩] ظ خارج عن الأنظار من الوظائف الدينية المنفردة وهمما وظيفتان.

(٢٤٨) انظر حوله: خطط المقريزي: ج ٣، ص: ٤٧ فما بعدها؛ صبح الأعشى: ج ٤، ص: ٣٨-٣٩.

(٢٤٩) الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفي العلائي الصالحي، سادس سلاطين الدولة المملوكية. تقلّد السلطة سنة ٦٧٨ هـ / ١٢٧٩ م إلى سنة ٦٨٩ هـ / ١٢٩١ م. (السلوك: ج ٢، ص: ١٢٢ فما بعدها؛ النجوم الظاهرة: ج ٧، ص: ٢٤٨ فما بعدها).

(٢٥٠) كذا في المخطوط، ولم نظر بها في معاجم البلدان، ولعلّها أندونية، وهي إحدى قرى الجيزه. (انظر: خطط المقريزي: ج ١، ص: ٥٨٢).

(٢٥١) مدينة ومركز بمحافظة قنا، وتقع على الشاطئ الغربي للنيل.

(٢٥٢) كذا بالمخطوط، ولا ذكر لهذا المكان في معاجم البلدان. والمعروف مدينة قوص مدينة كبيرة وهي قصبة صعيد مصر وهي محطة التجار. (انظر: معجم البلدان: ج ٤، ص: ٤١٣).

(٢٥٣) كذا بالمخطوط ولعلّها سنبليس كما وردت في معجم البلدان: ج ٣، ص: ٢٦٨.

(٢٥٤) هو سادس عشر سلاطين الدولة المملوكية، بُويع سلطاناً على مصر والشام سنة ٧٤٣ هـ / ١٣٤٢ م إلى سنة ٧٤٦ هـ / ١٣٤٦ م.

الأولى: نقابة الأشراف: وموضوعها التحدث على صيانة ذوي الأنساب الشريفة عن ولاية من لا يكافؤهم في النسب ولا يكافؤهم في الشرف ليكون عليهم أحنى وأمره فيهم أمضى. وهي على ضربين: عامة وخاصة.

فاما الخاصة: فهو أن يقتصر بنظره على مجرد النقابة من غير مجاوزة لها إلى الحكم وإقامة حُدُّ. ولا يكون العلم معتبراً في شروطها. ويلزمه في النقابة على ما حکاه صاحب الأحكام السلطانية من حقوق [٥٠] النظر إثنا عشر حَقاً.^(٢٥٥)

واما العامة: فعموماً أن يُرْدَد إلىه في النقابة عليهم خمسة أشياء:

أحدها: الحُكم بينهم فيما تنازعوا فيه.

الثاني: الولاية على أيتامهم فيما ملوكه.

الثالث: إقامة الحدود عليهم فيما ارتكبوه.

الرابع: تزويج الأيمامي الاتي لا يتعين أولياً هنّ أو قد تعينوا فعضلوهنّ.

الخامس: إيقاع الحَجْر على من عته^(٢٥٦) منهم أو سفه، وفَكَه إذا أفاق ورشد.

فيصير بهذه الخمسة أشياء عام النقابة.

وكان في أوائل الدولة العباسية يقع ذلك على نقابة الطالبيين، وكان يضاف للنقابة النظر [٥٠-٥١] على جمع أموالهم ويفرقها عليهم. ثم استقلّ به ناظر غيره. وربما يضاف إلى نقيب الأشراف النظر إلى مشهد الحسين بالقرب من رحبة الأيدمري.^(٢٥٧) وتوقيعه في الثالث، ونعته وألقابه كأرباب السيوف.

الثانية: وكالة بيت المال: وموضوعها أن متولّيها يتحدّث فيما ببيت المال من مبيع أراض وعقارات وغير ذلك بمصر وغيرها من الممالك والمُعاقفة على ذلك. ومستداته في ذلك مُربّعات شريفة تخلّد عنده.

قال في مسالك الأبرصار: [٥١] ولا يليها إلا أهل العلم والديانة".^(٢٥٨)

قال: "ولئن مجلسه في دار العدل تارة يكون دون المحاسب وتارة أعلىه بحسب العالم منهما".

وتوقيعه في الثالث، ورأيت من كتبه في النصف.

أما غير هؤلاء من أرباب الوظائف الدينية فكثيرون، واستقرارهم بتواقيع تارة في الثالث وتارة في العادة من غير أن يُسمح لأحد منهم بلبس تشريف من الحضرة إلا من حصلت له عنایة.

وفي هذا كفاية، والحمد لله رب العالمين، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

(٢٥٥) انظر الأحكام السلطانية للمارودي، ص: ١٢٦-١٢٩.

(٢٥٦) الغته: نقصان العقل.

(٢٥٧) عرفت بهذا الإسم نسبة إلى الأيدمري مملوك عز الدين أيدمري الحلبي نائب السلطة في أيام الملك الظاهر بيبرس. (خطط المقرizi: ج ٢، ص: ٤٦٩).

(٢٥٨) في مسالك الأبرصار: ولا يلي هذه الوظيفة إلا من ذوي العدالة المبرزه. (مسالك الأبرصار، ص: ٣١١/٣).

المصادر والمراجع

- الأحكام السلطانية للماوردي، ط. مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت ١٩٨٩ م.
- الاستيعاب في أسماء الأصحاب لقرطبي المالكي (على هامش كتاب الإصابة في تمييز الصحابة)، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت ١٣٥٩ هـ.
- الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت ١٣٥٩ هـ.
- الإناء في تاريخ الخلفاء لابن العمراني، تحقيق د. قاسم السامرائي، ط ١، دار الآفاق العربية، القاهرة ١٩٩٩ م.
- بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن إياس الحنفي، تحقيق باول كاله ومحمد مصطفى ومورتس سوبرنهaim، (ج ٢)، مطبعة الدولة، اسطنبول ١٩٣١ . الجزء الخامس، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة ١٩٦١ م.
- البلدانيات لشمس الدين السخاوي، تحقيق حسام بن حمد القطان، ط ١، دار العطاء للنشر والتوزيع، الرياض ٢٠٠١ م.
- تاريخ الخلفاء لجلال الدين السيوطي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ١ ، مكتبة الشرق الجديد ببغداد ودار العلوم الحديثة بيروت ١٩٥٢ م.
- تحفة الوزراء لأبي منصور الشعالي، تحقيق حبيب علي الراوي ود. ابتسام مرهون الصفار، ط ١ ، الدار العربية للموسوعات، بيروت ٢٠٠٦ م.
- التعريف بالمصطلح الشريف لابن فضل الله العمري، عني بتحقيقه وضبطه وتعليق حواشيه محمد حسين شمس الدين، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٨ .
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة لجلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٦٨ م.
- الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وببلادها القديمة والشهيرة لعلي باشا مبارك، ط ١، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق ١٣٠٦ هـ.
- خطط المقرizi (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) لتقى الدين المقرizi، تحقيق: د. محمد زينهم ومديحة الشرقاوى، مكتبة مدبولى، القاهرة ١٩٩٨ م.
- درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة للمقرizi، تحقيق د. محمد الجليلي، ط ١، دار الغرب الإسلامي، بيروت ٢٠٠٢ م.
- رفع الإصر عن قضاة مصر لابن حجر العسقلاني، تحقيق د. علي محمد عمر، ط ١ ، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٩٨ م.

- زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك لابن شاهين الظاهري، اعتنى بتصحیحه بولس راویس، ط٢، دار العرب للسبتاني، القاهرة ١٩٨٨ م.
- السلوك لمعرفة دول الملوك لقى الدين المقرizi، تحقيق محمد عبد القادر عطاء، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٧ م.
- صبح الأعشى في كتابة الإنشاء للقلقشندی، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٢٢ م.
- الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط ٤، دار العلم للملاتين، بيروت ١٩٩٠ م.
- طبقات الشافعية الكبرى لتابع الدين السبكي، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، ط ١، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة.
- قوانين الدواوين للأسعد بن مماتي، تحقيق عزيز سوريان عطيه، ط ١، مكتبة مدبولي ١٩٩١ م.
- لسان العرب لابن منظور، طبعة دار المعارف، مصر.
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لابن فضل الله العمري (ج ٣)، تحقيق كامل سلمان الجبوری، دار الكتب العلمية، بيروت.
- معلم التنزيل للبغوي، ط ١، دار ابن حزم، بيروت ٢٠٠٢ م.
- معجم البلدان لياقوت الحموي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٧٩ م.
- المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبيّة والمملوكيّة والعثمانيّة ذات الأصول العربيّة والفارسيّة والتركية، تأليف: د. حسان حلاق ود. عباس صباح، ط ١، دار العلم للملاتين، بيروت ١٩٩٩ م.
- معجم دوزي (تكميلة المعاجم العربية) لرينهارت دوزي، ترجمه إلى العربية وعلق عليه د. محمد سليم النعيمي، دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٨٠ م.
- المعجم الوسيط، ط ٤، مكتبة الشروق الدولية، مصر ٢٠٠٤ م.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي الأتابكي، قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٢ م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

Views of Azafi in Islamic measuring units

Dr. Muqtadir Hamdan al-Kubaisi

Measuring units have great importance as they were the tools by which every transaction of purchase and sales were being made in the market of Islamic states, and in the light of them every Muslim offers his obligatory duties like paying Zakat and dowry. The verses of Holy Quran and sayings of prophet (PBUH) identified their amounts and commanded to abide by them in buying and selling in the markets. It is not surprising if Azafi deals with measuring units used by vendors in market. The objective of this research is to review the views of Azafi regarding measuring units and compare them with the views of other authors preceded him in Islamic era.

A book in the order of the Kingdom of Egypt, its princes, posts holders and employees, by: an anonymous author

Presented and edited by: Dr. Mohammed al-Zahi

The topic of the treatise is clear from its title. The author has recorded in it everything related to the order of the Kingdom of Egypt in the Mamluk era, from princes, ranks, posts and the requirements of palace to the most basic employee at the castle. The author of the book is unknown as we could not find any clue in the manuscript pointing at author. However, the language suggests that the author is not mastered in Arabic. Perhaps he is one of the Mamluk of Sultan Qansouh. He used broken Arabic in some places, add this to many spelling and grammatical errors.

Impact of senses in shaping poetic imagery in the poetry of Ibn hamdis

Dr. Ahmad Aquun

The study dealt with the role of the senses in the production of poetic images and composition, and showed how poet Ibn Hamdis drew his sensual image. It concluded that he elevated most of the images from the virtual sense level to the level of inspiration, movement and emotion effects, and in some other images he did not exceed the limits of direct expression of ideas, and transferring objects in the outside world as the eye sees and other senses feel, and visual images dominated his poetry.

Aesthetic frequency between intensity and tenderness in the Atlas of miracles, by; Salih al-Kharfy al-Zaituni al-Jazairi (1932 – 2001)

Dr. Abdul Latif Hanni

Critical studies revealed many aesthetics features of Algerian literature, and showed the correlation of revolution and nation in its topics. Many of them have considered it as a fixed feature of Algerian literature because it reflects one of the greatest revolutions the world has seen, so the Algerian creator consistently holds on to this dialectic, during and after the revolution of freedom. He went on singing and praising its championship and recording history and events, Employing alternatively revolutionary violence language that characterized his attitude about colonizer and his crimes against unarmed Algerian people and the language of tenderness, ecstasy and optimism while singing and praising his country and its brave soldiers.

Resources of forgetfulness, error and prejudice in editing texts

Mohammed Ridwan al-Dayah

Distortion and misspelling in the traditional texts of different types have always been the source of attention of scholars, narrators, writers, authors and compilers. They tried their level best to produce texts in very correct way. They were inspired by the Islamic vision under the shadow of creed. It also called on the Arabs and Muslims to forward the words of the Messenger of Allah as they heard without any minor change.

Abstracts of Articles

The phenomenon of abortion in Andalusia.

Dr. Budalia Tuwatia

The issue of abortion is as old as human existence on Earth, and one of the sensitive issues in contemporary societies as it relates to the destiny of the human being, whether the mother or fetus. Scholars from various schools have issued a fatwa prohibiting abortion after the soul is breathed into. In addition to the Fiqh medicine was an active factor in this process as a humanitarian mission is to rescue the lives guided by the Almighty saying, "and if anyone saved a life, it would be as if he saved the life of all mankind."

The French orientalist Robert Brunschvig and his works

Abdul Wahid Jhdani

Robert Brunschvig is considered one of the brightest French Orientalists in late twentieth century. While some people in the Arab world classifies Brunschvig as «the most prominent historians of the French specialists in the history of the Islamic world in general, and the Moroccan Arab, in particular», that offers a false image about the researcher who had interest in history at the beginning of his scientific career. But later he specialized in the field of Islamic jurisprudence and its fundamentals.

A study regarding the usage of Hassan al-Attar for poetic verses in manuscript ‘Rahatul abdan fi Nuzhatil azhan’

Aiman Yaseen Atat

Poetry is one of the many features of the Arabic language, where Arab excelled in writing poetry since the age of ignorance and across the Arabic Renaissance right up to the present era. A number of Arab doctors were familiar with Arabic literature but some of them were characterized by poetic writings, as some medical books contain a number of poetic verses on different topics, but it is the main character in some of those books. Hassan al-Attar (1180-1250AH / 1766-1835AD) is one of the prominent figures of Arab civilization who excelled in both medicine and literature at once.

INDEX

Editorial

Correct endeavor to reform the status of our nation

Editing Director 4

Researches Titles:

The phenomenon of abortion in Andalusia.

Dr. Budalia Tuwatia 6

The French orientalist Robert Brunschvig and his works

Abdul Wahid Jhdani 23

A study regarding the usage of Hassan al-Attar for poetic verses in manuscript 'Rahatul abdan fi Nuzhatil azhan'

Aiman Yaseen Atat 39

Impact of senses in shaping poetic imagery in the poetry of Ibn hamdis

Dr. Ahmad Aqun 55

Aesthetic frequency between intensity and tenderness in the Atlas of miracles, by; Salih al-Kharfy al-Zaituni al-Jazairi
(1932 – 2001)

Dr. Abdul Latif Hanni 83

Resources of forgetfulness, error and prejudice in editing texts

Mohammed Ridwan al-Dayah 47

Views of Azafi in Islamic measuring units

Dr. Muqtadir Hamdan al-Kubaisi 126

Manuscripts' Verification:

8 – A book in the order of the Kingdom of Egypt, its princes, posts holders and employees, by: an anonymous author

Presented and edited by:

Dr. Mohammed al-Zahi 149

Abstracts 198



'Āfāq Al Thaqāfah Wa'l-Turāth

A Quarterly Journal of Cultural Heritage

Volume 24 : No. 95 - Dhu'l Hijjah - 1437 A.H. - September 2016

INTERNATIONAL RECORD NUMBER

ISSN 1607 - 2081

This Journal is listed in
the "Ulrich's International
Periodicals Directory" under
record No. 349378

EDITORIAL BOARD

EDITING DIRECTOR

Dr. Azzeddine Benzeghiba

EDITING SECRETARY

Muna Mugahed Al Matari

EDITORIAL BOARD

Prof. Fatima Al Sayegh

Prof. Hamza Abdulla Al Malibari

Prof. Salamah M. Al Harfi Al Bluwi

Dr. Muhammad Ahmad Al Qurashi

ANNUAL
SUBSCRIPTION
RATE

	U.A.E.	Other Countries
Institutions	100 Dhs.	150 Dhs.
Individuals	70 Dhs.	100 Dhs.
Students	40 Dhs.	75 Dhs.

Articles in this magazine represent the views of their authors and do not necessarily reflect those of the center or the magazine, or their officers.

الشروط الخاصة بنشر كتب محكمة ضمن سلسلة آفاق الثقافة والتراث

- ١ - أن يكون الموضوع المطروق متميّزاً بالجدة والموضوعية والشمول والإثراء المعرفي، وأن يتناول أحد أمرين:
 - قضية ثقافية معاصرة، يعود بحثها بالفائدة على الثقافة العربية والإسلامية، وتسهم في تجاوز المشكلات الثقافية.
 - قضية تراثية علمية، تسهم في تنمية الزاد الفكري والمعرفي لدى الإنسان العربي المسلم، وتشري الثقافة العربية والإسلامية بالجديد.
- ٢ - ألا يكون الكتاب جزءاً من رسالة الماجستير أو الدكتوراه التي أعدّها الباحث، وألا يكون قد سبق نشره على أيٍ نحوٍ كان، ويشمل ذلك الكتب المقدمة للنشر إلى جهة أخرى، أو تلك التي سبق تقديمها للجامعات أو الندوات العلمية وغيرها، ويثبت ذلك بإقرار بخط الباحث وتوقيعه.
- ٣ - يجب أن يُراعى في الكتب المتضمنة لنصوص شرعية ضبطها بالشكل مع الدقة في الكتابة، وعزو الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة.
- ٤ - يجب أن يكون الكتاب سليماً خالياً من الأخطاء اللغوية والنحوية، مع مراعاة علامات الترقيم المتعارف عليها في الأسلوب العربي، وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط.
- ٥ - يجب اتّباع المنهج العلمي من حيث الإحاطة، والاستقصاء، والاعتماد على المصادر الأصيلة، والإسناد، والتوثيق، والحوالشى، والمصادر، والمراجع، وغير ذلك من القواعد المرعية في البحوث العلمية، مع مراعاة أن تكون مراجع كل صفحة وحواشيها أسفلها.
- ٦ - بيان المصادر والمراجع العلمية ومؤلفيها في نهاية كل كتاب مرتبة ترتيباً هجائياً تبعاً للعنوان، مع بيان جهة النشر وتاريخه.
- ٧ - أن يكون الكتاب مجموعاً بالحاسوب، أو مرقوناً بالآلة الكاتبة، أو بخط واضح، وأن تكون الكتابة على وجه واحد من الورقة.
- ٨ - على الباحث أن يرفق ببحثه نبذة مختصرة عن حياته العلمية، مبيّناً اسمه الثلاثي ودرجته العلمية، ووظيفته، ومكان عمله من قسم وكلية وجامعة، إضافة إلى عنوانه، بصورة شخصية ملونة حديثة.
- ٩ - يمكن أن يكون الكتاب تحقيقاً لمخطوطة تراثية، وفي هذه الحالة تتبع القواعد العلمية المعروفة في تحقيق التراث، وترفق بالكتاب صور من نسخ المخطوط المحقق الخطية المعتمدة في التحقيق.
- ١٠ - أن لا يقل الكتاب عن مئة صفحة ولا يزيد عن مئتين.
- ١١ - تخضع الكتب المقدمة للتقويم والتحكيم حسب القواعد والضوابط التي يلتزم بها، ويقوم بها كبار العلماء والمحتصين، قصد الارتقاء بالبحث العلمي خدمةً للأمة ورفعاً ل شأنها، ومن تلك القواعد عدم معرفة المحكمين أسماء الباحثين، وعدم معرفة الباحثين أسماء المحكمين، سواء وافق المحكمون على نشر البحث من غير تعديل أو أبدوا بعض الملاحظات عليها، أو رأوا عدم صلاحيتها للنشر.

ملاحظات

- ١ - ما ينشر في هذه السلسلة من آراء يعبر عن فكر أصحابها، ولا يمثل رأي الناشر أو اتجاهه.
- ٢ - لا تُرد الكتب المرسلة إلى أصحابها، سواءً نشرت أو لم تنشر.
- ٣ - لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر كتابه بعد عرضه على التحكيم إلا لأسباب تقتنع بها اللجنة المشرفة على إصدار السلسلة، وذلك قبل إشعاره بقبول كتابه للنشر.
- ٤ - يُستبعد أي كتاب مخالف للشروط المذكورة.
- ٥ - يدفع المركز مكافآت مقابل الكتب المنشورة وثلاثين نسخة من الكتاب المطبوع.

Āfāq Al Thaqafah Wa'l-Turāth

A Quarterly Journal of Cultural Heritage



Juma Al Majid Center
for Culture and
Heritage - Dubai

Volume 24 : No. 95 - Dhu'l Hijjah - 1437 A.H. - September 2016



الإقليم الجديد

المؤلف: الأمير محمد بن الأمير حسن السعدي ، تاريخ النسخ : ذو الحجة ٩٩١ هجري

New Territory

By. Al-Amir Mohammed bin Al-Amir Hasan Al-Saudi , Scribed in Dhulhij 991 AH

Published by:

Department of Studies, Publications and Foreign Affairs
Juma Al Majid Center for Culture and Heritage